من غرائب التأليف وفرائده في التراث العربي

عبدالرحمن بن حمد العكرش

قسم علوم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

ملخص. ترمي هذه الدراسة إلى تبيّن إسهام المؤلفين المسلمين في الكتابة في الموضوعات التي تتسم بالطرافة والتفرد، إما من ناحية المحتوى أو طريقة الطرح، والفترات التاريخية التي ظهر أكثره فيها، وما قد يكون للعامل الجغرافي من أثر في هذا. وربما تعين في معرفة جوانب من الحياة الاجتماعية في البلدان والفترات التي ظهرت فيها. وقد اقتصرت على الأعمال القائمة بذاتها التي ظهرت في صورة كتاب أو رسالة. وأعدّ الباحث ثبتاً بـ ١٧٦٧ عنواناً رأى أنها تفردت في الموضوعات التي طرقتها، أو في طريقة عرضها، أو في الظروف التي ظهرت فيها. وقد جمعها من كتب الضبط الببليوجرافي، وكتب التاريخ والتراجم العامة، وكتب القرون، وكتب العلوم؛ وحقق موضوعاتها، وتواريخ وفيات مؤلفيها؛ وبلدانهم، وصنفها موضوعياً وجعلها في تسعة وعشرين موضوعاً. وقد اتسم التوزيع الموضوعي لها بشيء من التكتل، وظهر خلال القرن الثالث أكثر مما ظهر خلال أي قرن آخر، وأسهم المؤلفون الذين عاشوا في العراق أو وفدوا إليها بما يقرب من أربعة وأربعين في المئة من الإنتاج المدروس. وشكل إنتاجهم مع إنتاج مؤلفي مصر والشام خمسة وستين في المئة من مجمل هذا الإنتاج، وأمكن تحديد ٦٢٩ مؤلفاً معروفاً أسهموا بـ ١٥٤٣ عملاً، إضافة إلى ٢٣٤ عملاً لمؤلفين مجهولين لا يعرف عددهم. ورجّحت الدراسة أثر الأوضاع الاجتماعية في اتجاهات التأليف.

مقدمة

كان للمسلمين إسهام كبير في الحركة الفكرية الإنسانية. فمنذ القرن الأول الهجري بدأت بواكير التأليف تظهر في العلوم النظرية والعملية المختلفة. وكان القرآن الكريم والسنة النبوية مدار التأليف الإسلامي الذي شهد انطلاقته الكبيرة الأولى في القرن الثاني بظهور الصحاح والسنن، وشهد انطلاقته الكبيرة الثانية في القرن الرابع الهجري بوضع الأعمال المشهورة في اللغة والعلوم.

ففي مجال المعارف العامة أرّخوا للعلوم في الفهرست، وإحصاء العلوم، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، وأسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة. وشرحوا مصطلحاتها في التعريفات، وكشاف اصطلاحات الفنون، ومفاتيح العلوم. ووضعوا الكتب الموسوعية، مثل الإمتاع والمؤانسة، والحيوان، والمعارف، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا، ومقدمة ابن خلدون، ونهاية الأرب في فنون الأدب. ورصدوا التراكم المعرفي لكثير من علمائهم في الفهارس والأثبات وبرامج العلماء، مثل برنامج الوادي آشي، وفهرست ابن عطية. وفي الفلسفة وعلم النفس كتبوا تدبير المتوحد، وكتاب النفس، وتهافت الفلاسفة، وتهافت التهافت، والمنقذ من الضلال، ورسائل الرازي الفلسفية.

على أن ما فاق المسلمون فيه غيرهم من الأمم ما كتبوه خدمة لكتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم ﷺ حيث خدموا كثيراً من أوجههما الموضوعية. فقد أحصى محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ) سبعة

وأربعين علماً بحث فيها المسلمون الأوجه الموضوعية للقرآن الكريم[1]، كما أحصى جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ) في هذا السياق ثمانين علماً أسهم المسلمون إسهاماً وافراً في كل منها [2]. فلقد كتبوا التفاسير المختصرة للقرآن، مثل تفسير الجلالين، والتفاسير المتوسطة، مثل المُحرَّر الوجيز، والتفاسير المطولة، مثل تفسير القرآن العظيم، وكان مما كُتب في هذا المجال ما يندرج في فئة تفاسير الأثر، مثل جامع البيان في تفسير القرآن، ومنها ما يندرج في فئة الرأي، مثل مفاتيح الغيب، ومنها ما جمع بين الطريقتين، مثل فتح القدير. وكان من هذه التفاسير ما خُصص لآيات الأحكام، مثل أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن للرازي، وأحكام القرآن للكيا الهراس. ووضعوا الكتب التي تناولت علومه المختلفة، فكان منها ما هو عام يأخذ الصفة الموسوعية، مثل البرهان في علوم القرآن، والإتقان في علوم القرآن، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ ومنها ما تناول أحد موضوعاته، مثل أسباب نزول القرآن، وإعراب القرآن، والتيسير، والحجة، والمحتسب، والنشر في القراءات العشر، والمفردات، ومجاز القرآن، وتفسير غريب القرآن، وكتاب المصاحف.

وتمثلت عنايتهم بسنة رسول الله ﷺ في نواحٍ ثلاث مهمة، هي الحديث، والفقه، ومصطلح الحديث. فظهرت في مجال الحديث الصحاح والسنن والمسانيد؛ وظهرت في مجال الفقه كتب المذاهب، مثل الأم، والمحلّى، والمدونة الكبرى، والمغني. وكانت هذه الأعمال أساس كثير من الكتب التي تناولتها بالشرح والتعليق. وفي مجال مصطلح الحديث ظهرت كتب كثيرة، مثل الجرح والتعديل، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ولسان الميزان، والاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح، ومعرفة علوم الحديث، وكتاب الكفاية في علم الرواية، والموقظة في علم مصطلح الحديث، وتذكرة الحفاظ، والمحدث الفاصل بين الراوي والواعي، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، والخلاصة في أصول الحديث، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. كما ظهرت كتب كثيرة في مجال العقائد، مثل الفِصل في الملل والأهواء والنحل، والفَرق بين الفِرق.

وفي العلوم الاجتماعية وضعوا كتباً كثيرة، مثل كتاب السياسة، وكتاب السياسة المدنية المسمى مبادئ الموجودات، وكتاب أيها الولد، وكتاب الأحكام السلطانية، وكتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك. كما ظهر كثير من كتب الحسبة، مثل في آداب الحسبة، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة، ومعالم القربة في أحكام الحسبة.

وظهر في مجال اللغة عدد وافر من القواميس العامة، مثل العين، والقاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج اللغة وصحاح العربية؛ والقواميس المتخصصة، مثل المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. وألّفوا الأعمال الضخمة في المعاني، مثل المخصص، والمحكم، وفقه اللغة وسر العربية، وكنز الحُفّاظ في تهذيب الألفاظ. وقعّدوا لها في كتب أخرى، مثل إصلاح المنطق، والكتاب، ومعجم مقاييس اللغة . وتناولوا كثيراً من أوجهها الموضوعية في طائفة أخرى من الكتب، مثل أساس البلاغة، وجمهرة اللغة، والأضداد في اللغة.

أما في مجال العلوم البحتة والعلوم التطبيقية فيظهر أن المؤلفين المسلمين لم يتركوا موضوعاً من موضوعاتها المعروفة إلا وكان لهم إسهام فيه ملحوظ. فقد كتبوا في النبات كتاب الجامع لصفات النبات، والفلاحة؛ وفي الرياضيات كتاب الجبر والمقابلة، وخلاصة الحساب، وكشف الأسرار عن علم الغبار؛ وفي الفيزياء كتاب المناظر، وميزان الحكمة؛ وفي الطب والصيدلة كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية، والحاوي في التداوي، والقانون، وتذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، وتشريح القانون، وفردوس الحكمة، ومنافع الأغذية. وكانت إسهاماتهم في هذا المجال

الأساس المكين الذي قامت عليه نهضة العصر الحديث.

وظهرت في مجال الأدب الكتب الموسوعية، مثل الأغاني، وعيون الأخبار، والعقد الفريد. وكذلك الكتب المتخصصة بموضوع واحد من موضوعاته، مثل الأمالي، والبصائر والذخائر، والكامل، وجمهرة أشعار العرب، وطبقات الشعراء .

وكان للمؤلفين المسلمين إسهام وافر في مجال الجغرافيا فظهرت الأعمال العامة التي لم تقتصر على منطقة جغرافية معينة أو موضوع محدد، مثل أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وتقويم البلدان، ومعجم البلدان؛ كما ظهرت الأعمال المتخصصة، مثل صفة جزيرة العرب، ومعجم الروض المعطار، ومعجم ما استعجم.

وكان لهم الإسهام الأوفر في مجال التاريخ والأنساب والتراجم. فظهرت كتب التاريخ العامة، مثل تاريخ الأمم والملوك، والكامل، وتاريخ ابن خلدون، وتاريخ اليعقوبي، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، والآثار الباقية عن القرون الخالية. وظهرت كتب التاريخ المتخصصة، مثل نفح الطيب، والبيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، والإحاطة في أخبار غرناطة، وحُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. وظهر الكثير في مجال الأنساب، مثل جمهرة أنساب العرب، والأنساب، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

واستأثرت التراجم بعنايتهم البالغة لأهميتها في معرفة الرجال. فظهرت التراجم العامة، مثل وفيات الأعيان، وفوات الوفيات، والوافي بالوفيات، وسير أعلام النبلاء؛ والتراجم المتخصصة، مثل الطبقات الكبرى، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، والإصابة في تمييز الصحابة؛ والتراجم المكانية، مثل تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، وتاريخ علماء الأندلس، والقند في علماء سمرقند، والصلة، وبغية الملتمس، والذيل والتكملة، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وتاريخ الموصل، والحلة السِّيَراء؛ وكتب القرون، مثل البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، والحوادث الجامعة عن أخبار المئة السابعة، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، والنور السافر في أخبار القرن العاشر، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، والدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، والمسك الأذفر في تراجم القرن الثالث عشر. كما ظهرت التراجم الموضوعية، مثل الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، وطبقات الشافعية الكبرى، وتهذيب الأسماء واللغات، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، وتاج التراجم، والطبقات السنية في تراجم الحنفية، وطبقات الحنابلة، والذيل على طبقات الحنابلة، وطبقات المفسرين للسيوطي، وطبقات المفسرين للداودي، وغاية النهاية في طبقات القراء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، ولسان الميزان، وتذكرة الحفاظ، وتهذيب التهذيب، ومعجم الشعراء، والمحمدون من الشعراء، ومعجم الأدباء، ومراتب النحويين، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، وتاريخ حكماء الإسلام، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء.

كما ظهرت تراجم عالية في التخصص، كأن تكون تراجم موضوعية زمنية، مثل يتيمة الدهر، ودمية القصر وعصرة أهل العصر، وخريدة القصر وجريدة العصر، والغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة؛ أو مكانية موضوعية، مثل أخبار النحويين البصريين، وقضاة قرطبة، وقضاة الأندلس، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس؛ أو تراجم زمنية مكانية موضوعية، مثل الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة.

وقد أحصى طاش كبري زاده (٩٠٩-٩٦٨هـ) ٣٢١ علماً[٣]، وأحصى حاجي خليفة (١٠١٧-١٠٦٧هـ) نحو ثلاث مئة علم وفن[٤]، كتب فيها المسلمون. وتراوحت هذه العلوم والفنون بين العلوم الرئيسة الشائعة والعلوم الأقل شيوعاً. والمتأمل فيما أورده كل من طاش كبري زاده، وحاجي

خليفة، ومن قبلهما النديم (ت حوالي ٤٢٠هـ)، وأبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، ومن بعدهما عمر رضا كحالة، وبروكلمان، وفؤاد سزكين في هذا الصدد يدرك مدى الاتساع الموضوعي الذي شمله المسلمون بتآليفهم.

موضوع الدراسة

ظهرت بالإضافة إلى الأعمال الأساس في التراث العربي الإسلامي طائفة من المؤلفات في موضوعات تتسم بالطرافة والتفرد، إما من ناحية المحتوى أو طريقة الطرح أو الظروف التي ظهرت فيها. وربما كان أحد أسباب ظهورها شمولية تآليف المسلمين وتنوعه مما جعل اختيار الموضوع مهمة عسيرة على كثير من المشتغلين بالتأليف، لا سيما من كانت الأصالة هاجساً من هواجسه في التأليف وكأنه يقتفي أثر ابن جماعة الكناني في نصيحته للعالِم بأن يكون اعتناؤه "بما لم يُسبق إلى تأليفه."(٥).

ويظهر تعدد موضوعات هذه الأعمال في طائفة من المسميات التي أطلقها المسلمون على هذه المجالات التي اتسمت بالغرابة والطرافة. ومن هذه العلوم علم الأحاجي والأغلوطات، وعلم الاختلاج، وعلم الإخفاء، وعلم الأكتاف، وعلم الاستحضار، وعلم الحيل الساسانية، وعلم الرقص، وعلم الشامات والخيلان، وعلم الشعبذة والتخيلات، وعلم الطِّلَّسْمات، وعلم العزائم، وعلم الغنج، وعلم الفلقطيرات، وعلم النيرنجات، وعلم حساب الهواء، وعلم كشف الدك وإيضاح الشك.

وترمي هذه الدراسة إلى تبيّن إسهام المؤلفين في الكتابة في هذه الموضوعات ومثيلاتها، وكذلك الفترات التاريخية التي ظهر أكثرها فيها، وما قد يكون للعامل الجغرافي من أثر فيه. وربما تعين دراسة مثل هذه الأعمال في معرفة جوانب من الحياة الاجتماعية في البلدان والفترات التي ظهرت فيها.

حدود الدراسة وقصورها

تقتصر هذه الدراسة على الأعمال القائمة بذاتها التي ظهرت في صورة كتاب أو رسالة. وهي بهذا لا تشمل الموضوعات التي تتسم بالتفرد والطرافة وتكون جزءاً من كتاب، فالمجال قد لا يتسع لشمول هذه، ذلك أن من هذه الكثير الذي يظهر في الكتب الموسوعية، وكتب المجموعات، وكتب النوادر، وكتب الأوليات، وكتب الأدب، وكتب المعاني وقد ضربت صفحاً عن الأعمال المشهورة، فشهرتها تغني عن الحديث عنها.

ولعل من أوجه قصور هذه الدراسة تداخل الموضوعات الظاهري الذي ينتج عادة من شمول كثير من المؤلفات لأكثر من موضوع. كما أن من أوجه القصور هذه التقسيم المصطنع للفترات لغرض تحديد زمن المؤلف، ذلك أن العادة جرت أثناء إعداد البيانات على عدم احتساب العشرين سنة الأولى من عمر المؤلف، ثم وضع هذا المؤلف في الفترة التي يندرج باقي عمره فيها، وهذا إجراء إن كان له ما يبرره فإن هناك ما قد يُحسب عليه.

جمع البيانات وتنظيمها وتحليلها

أعدّ الباحث لأغراض هذه الدراسة ثبتاً بـ ١٧٦٧ عنواناً رأى أنها تفردت في الموضوعات التي طرقتها أو في طريقة عرضها أو في الظروف التي ظهرت فيها. وقد جمعها من كتب الضبط الببليوجرافية المعروفة، ومن كتب التاريخ والتراجم العامة، وكتب القرون، وكتب العلوم؛ وحقق موضوعاتها، وتواريخ وفيات مؤلفيها، وبلدانهم.

وقد استدعى هذا الرجوع إلى كتب التاريخ العامة والكتب التي أرخت للبلدان لمعرفة أحوالها في قرون مختلفة والاستعانة بهذا في فهم أسباب اتجاهات التأليف فيها. وعلى الرغم مما بذل من جهد على مدى خمس سنين فقد بقيت بعض الأعمال التي لم يُعرف مؤلفوها أو تواريخ ظهورها، وكان معظمها قصصاً ونوادر .

وقد حُسب المؤلف في القرن الذي عاش أكثر سنوات عمره فيه بعد استبعاد العشرين سنة الأولى من عمره، حيث إن هذه

سنوات التكوين. وقد يحدث أن يكون أحد المؤلفين – مثل عبد الملك الثعالبي (٣٥٠–٤٢٩هـ)، وعيسى بن عبدالعزيز الشريشي (٥٥٠–٦٢٩هـ)، وعمر بن الحسن بن دحية (٥٤٨–٦٣٣هـ) ومحمد بن أبي طالب شيخ الربوة (٦٥٤–٧٢٧هـ)، وشافع بن علي العسقلاني (٦٤٩– ٧٣٠هـ)، – قد عاش نصف عمره الأول في قرن ونصفه الأخير في قرن تال له مما يقتضي دراسة سيرة حياته دراسة متعمقه لترجيح أي من هذه الفترتين كانت أكثر نشاطا ليحسب عليها. وقد أُشير إلى تاريخ المؤلف عند ورود اسمه لأول مرة.

ونقلت البيانات إلى بطاقات ترميز صُممت لأغراض هذه الدراسة وعُينت فيها حقول لمتغيرات الموضوع والتاريخ والجغرافيا، وأُدخلت البيانات الحاسب حيث استخدمت الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS التي ساعدت على تنفيذ التساوق cross tabulation واستخراج النتائج الحسابية.

ومع أنه لا يمكن الادعاء بأن هذه الدراسة قد شملت جميع الأعمال التي تندرج في هذه الفئة فإن الحرص على كون التحيز مقبولاً في اختيار المراجع التي جمعت منها مادة الدراسة وكذلك كون العدد بهذا المقدار ربما يجعل استنتاجات هذه الدراسة قابلة للتعميم.

التوزيع الموضوعي

اتسم التوزيع الموضوعي للإنتاج المدروس بشيء من التكتل (جدول رقم ١). فقد شكلت القصص والنوادر ما يزيد قليلاً على ثلاثة عشر في المئة. وتبعتها سبعة موضوعات هي المفاخرة، والتاريخ، والحيوانات، واللغة، واللهو، والعادات والتقاليد والسلوك، والجنس، كانت أوزانها العددية متقاربة، وبلغت في مجملها ما يزيد قليلاً على خمسين في المئة من مجموع هذا الإنتاج.

جدول رقم (١)

التوزيع الموضوعي

الموضوع	عدد المؤلفات	النسبة ٪	الموضوع	عدد المؤلفات	النسبة ٪
أسلحة	٤٨	٢,٧٢	عادات وتقاليد وسلوك	١١٥	٦,٥١
أطعمة وأشربة	٤٧	٢,٦٦	عجائب	٢٣	١,٣٠
ألبسة	١٩	١,٠٨	فقه	٥٧	٣,٢٣
أنواء وماء ونبات	٥٢	٢,٩٤	قصص ونوادر	٢٣٧	١٣,٤١
تاريخ	١٥٥	٨,٧٧	كرم وبخل	١٤	٠,٧٩
تسلية ومواساة	١٣	٠,٧٤	لصوص	٢٩	١,٦٤
تصوف	٢٣	١,٣٠	لغة	١٢١	٦,٨٥
تطفيل وظرف	١٤	٠,٧٩	لهو	١٢١	٦,٨٥
جنس	٩٣	٥,٢٦	مخدرات	٤٦	٢,٦٠
حيوانات	١٣١	٧,٤١	معميات وألغاز	٢٦	١,٤٧
خلق الإنسان	١٣	٠,٧٤	مفاخرة	١٥٧	٨,٨٩
ذكاء وغفلة وجد وهزل	٢٩	١,٦٤	ملائكة وجن	٢٤	١,٣٦
شعر وأدب	٢٥	١,٤١	مهن وصناعات وعلوم	٢١	١,١٩
طب وأمراض ومرضى	٤٣	٢,٤٣	نساء وغلمان وتغزل	٥٢	٢,٩٤
طقوس جاهلية	١٩	١,٠٨	**المجموع**	**١٧٦٧**	**١٠٠,٠٠**

وقد توزع الباقي بين واحد وعشرين موضوعاً تراوحت نسبه فيها ما بين ما يقرب من ثلاثة في المئة وما يقل عن واحد في المئة. وفيما عدا القصص والنوادر استأثر موضوع المفاخرة بأكبر نسبة استأثر بها موضوع آخر، وهو أمر يحتم إيلاءه ما يستحق من اهتمام عند التحليل وسيضرب منه مثلاً على أثر الأحوال الاجتماعية في اتجاهات التأليف.

التوزيع الزمني

ظهر خلال القرن الثالث من الإنتاج المدروس أكثر مما ظهر خلال أي قرن آخر (جدول رقم ٢)، فقد زاد ذلك على القرن الذي يليه عدداً في الإنتاج وهو القرن الثاني بما يقرب من ستين في المئة. وبلغ مجموع ما ظهر في

جدول رقم (٢)

التوزيع الزمني

القرن	عدد المؤلفات	النسبة ٪	النسبة ٪ التراكمية
الثاني	٢٢٨	١٢,٩٠	
الثالث	٣٨٧	٢١,٩٠	٣٤,٨٠
الرابع	٢٠١	١١,٣٨	٤٦,١٨
الخامس	٥١	٢,٨٩	٤٩,٠٧
السادس	٧٨	٤,٤١	٥٣,٤٨
السابع	٥٧	٣,٢٣	٥٦,٧١
الثامن	٧٩	٤,٤٧	٦١,١٨
التاسع	١٨٥	١٠,٤٧	٧١,٦٥
العاشر	٦٧	٣,٧٩	٧٥,٤٤
الحادي عشر	٦٩	٣,٩٠	٧٩,٣٤
الثاني عشر	٥٣	٣,٠٠	٨٢,٣٤
الثالث عشر	٣٥	١,٩٨	٨٤,٣٢
الرابع عشر	٦	٠,٣٤	٨٤,٦٦
غير معروف	٢٧١	١٥,٣٤	١٠٠,٠٠
المجموع	١٧٦٧	١٠٠,٠٠	

القرون الثاني والثالث والرابع ما يزيد قليلاً عن ستة وأربعين في المئة من مجمل الإنتاج. وتدنى معدل ما ظهر في القرون التي تلتها حتى القرن التاسع الذي شهد زيادة كبيرة عن القرون الأربعة التي سبقته.

وتتفق هذه النتيجة مع ما عرف عن الحياة الفكرية في هذا القرن [٦] الذي شهد حرصاً متنامياً من المؤلفين المسلمين على تدوين إرثهم الفكري في مواجهة غزوات البرابرة من المشرق والمغرب، وكان من مظاهر هذا الحرص ظهور الأعمال التجميعية والكتب الموسوعية.

ويستوقف النظر في هذا السياق عدم شمول هذه الدراسة لأعمال من القرن الأول، وقلة ما أظهرته من أعمال من القرن الرابع عشر. ولعل السبب في أولهما يعود إلى ضعف تغطية أدوات الضبط البيليوجرافي لأعمال هذا القرن أو لأن ما ظهر فيه من أعمال ألفها من عاش فيه، مثل صحار العبدي، وعلاقة بن كرشم، وعبيد بن شرية، ودغفل[٧]، إنما كانت أعمالا علمية بحتة. وربما يعود السبب في آخرهما إلى ضعف تغطية أدوات الضبط البيليوجرافي لأعمال هذا القرن، ذلك أن آخر عمل ببليوجرافي شامل وهو إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون توفي صاحبه في سنة ١٣٣٩هـ، ولا بد أنه وقف به قبل هذا التاريخ أو عنده .

التوزيع الجغرافي

أسهم المؤلفون الذين عاشوا في العراق أو وفدوا إليها بما يقرب من أربعة وأربعين في المئة من الإنتاج المدروس. وشكل إنتاجهم مع إنتاج مؤلفي مصر والشام خمسة وستين في المئة من مجمل هذا الإنتاج. ومن المعروف أن هذه البلدان الثلاثة كانت مناطق جذب للعلماء بما كان فيها من مراكز سياسية وثقافية شد إليها هؤلاء رحالهم من أنحاء العالم الإسلامي المختلفة. والمتمعن في تراجم العلماء التي وردت في تاريخ بغداد، وفي تاريخ

دمشق، وفي نفح الطيب يدرك المدى الذي بلغته رحلات هؤلاء العلماء (جدول رقم ٣).

جدول رقم (٣)

التوزيع الجغرافي

المنطقة الجغرافية	عدد المؤلفات	النسبة ٪
العراق	٧٧٧	٤٣,٩٧
مصر	٢٢٤	١٢,٦٨
الشام	١٤٨	٨,٣٨
فارس	٧٢	٤,٠٧
بلاد العرب	٧١	٤,٠٢
اليمن	٤٥	٢,٥٥
تركيا	٤٢	٢,٣٨
الأندلس	٣٨	٢,١٥
شمال أفريقيا	٢٨	١,٥٨
ما وراء النهر	٢٥	١,٤١
الهند	٣	٠,١٧
غير معروفة	٢٩٤	١٦,٦٤
المجموع	**١٧٦٧**	**١٠٠,٠٠**

وكان هذا ظاهراً في العراق على وجه الخصوص، ذلك أنها كانت مركز الخلافة الإسلامية لمدة زادت على خمسمائة سنة. فمن بين المؤلفين الذين عُدّوا منها هم في حقيقتهم من غير أهلها، ومن هؤلاء من أكثروا التأليف؛ مثل أبي الفرج الأصفهاني، وأبي بكر بن محمد الكرجي، وأبي معشر البلخي، وأبي معشر السرخسي، وأبي نصر الفارابي، وأحمد بن محمد بن يزدبان الطبري، والحسن بن محمد الصغاني، وخلف بن يوسف الدستميساني، وسعيد بن إبراهيم التستري، وسهل بن بشر الهروي، وسهل بن محمد السجستاني، وسهل بن هارون الدستميساني، وصفي الدين الأرموي، وعبد الله بن درستويه، وعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة، وعلان بن مقصود الشعوبي، ومحمد بن أحمد الأبيوردي، ومحمد بن إسحق الأهوازي، ومحمد بن الحسين البرجلاني، ومحمد بن خلف بن المرزبان، ومحمد بن زكريا الرازي، ومحمد بن سهل بن المرزبان، ومحمد بن طلحة الحفار، ومحمد بن عائذ الدمشقي، ومحمد بن عبد الله بن البازيار، ومحمد بن علي الجاواني، ومحمد بن علي الشلمغاني، ومحمد بن عمران المرزباني، ومحمد بن موسى الخوارزمي، ومحمد بن حسين الشهرستاني، ومعمر بن المثنى، وموسى بن سليمان الجوزجاني، ويحيى بن ماسويه.

وما قيل عن العراق يصدق على مصر. فقد عُدّ منها من كان أصلاً ليس من أهلها بل قدم إليها من بلدان أخرى، ومنهم من كثر تأليفه؛ مثل أبي حيان الأندلسي، وابن قتيبة الدينوري، وأحمد بن عماد الآقفهسي، وأحمد بن محمد الحجازي، وأحمد بن محمد الدنيسري، وأحمد بن محمد المغربي، وأحمد بن محمد المقري، وأحمد بن محمد مكي الحموي، وسريحا بن محمد الملطي، وشافع بن علي العسقلاني، وشهاب الدين الآقفهسي، وعبد الباسط بن الوزير الملطي، وعبد الباقي بن طورسون الرومي، وعبد الرحمن بن علي الفارسكوري، وعبد الرحمن بن عليش المغربي، وعبد الرحيم بن الحسين الحافظ العراقي، وعلي بن إبراهيم الحلبي، وعلي بن عثمان بن التركماني، وعيسى بن عبد العزيز الشريشي، ومحمد الرسام الحموي، ومحمد بن الحسن بن الهيثم، ومحمد بن محمود بن منكلي بوغا، ومحمد بن يحيى الهمداني، ومحمد بن يوسف الدمشقي، والمرتضى الزبيدي، ومصطفى بن محمد الصفوي، ومغلطاي بن قليج البكجري، ونوح بن مصطفى القونوي.

ويصدق هذا على الشام التي وفد إليها كثير من العلماء من خارجها، مثل عبد الرحمن بن محمد العمادي، وعبد الرحمن بن نصر الطبري، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وعبد الواحد بن محمد المغربي، ومحمد بن عبد الله البلاطنسي، ومحمد بن فتح الله البيلوني، ومحمد بن محمد

الجزائري، ومحمد بن يوسف الأسبيري ، ومحمد صالح الوغليسي ، والمظفر بن علي الجمصي ، وياقوت الحموي.

ومما يسترعي النظر قلة ما أنتجته بلاد العرب، واليمن، والأندلس، وما وراء النهر، والهند. وربما يعود هذا إلى أسباب منها أن كثيراً من علماء هذه البلاد نزحوا إلى حواضر المشرق فعدوا من أهلها، أو أن تغطية أعمال الضبط البيبليوجرافية، وأعمال الضبط العامة، والكتب التي أرخت للعلوم غير متوازنة ابتداءً. ذلك أن المتأمل في كتب مثل هجر العلم ومعاقله في اليمن، ونفح الطيب، وتاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس، والقند في علماء سمرقند يدرك الشأو البعيد الذي بلغته الحياة العلمية في هذه البلدان الذي كان التأليف من أظهر سماته .

ويلاحظ أن بدء فترات النشاط في الحواضر الإسلامية يختلف في بعضها عن الآخر من ناحية التسلسل الزمني. ذلك أنها كانت مبكرة في المدينة، ثم تبعتها دمشق والكوفة والبصرة، ثم مدن مصر، فمدن الشمال الأفريقي، ثم مدن خراسان.

توزيع المسؤولية

أمكن تحديد ٦٢٩ مؤلفاً معروفاً ألّفوا ١٥٤٣ عملاً، (جدول رقم ٤)، أسهم تسعة وخمسون منهم بخمسة أعمال أو أكثر وقد بلغت هذه سبعمائة وأربعة أعمال، أي أن ما يزيد قليلاً على تسعة في المئة من المؤلفين أسهموا بما يزيد قليلاً على خمسة وأربعين في المئة من مجمل الإنتاج المعلوم مؤلفه. كما أن سبعة وعشرين منهم أسهموا بأربعمائة وتسعة وتسعين عملاً، أي أن ٤,٢٩ في المئة من المؤلفين أسهم بـ ٣٢,٣٤ في المئة من مجمل الإنتاج المعلوم مؤلفه.

وإضافة إلى هذا أسهم مؤلفون مجهولون بـ ٢٣٤ عملاً. ومما يلحظ في هذا السياق أن ١٦٨ من هذه الأعمال (أي بنسبة ٧١,٨ في المئة) كانت قصصاً ونوادر أو قصص عشق أو قصص لصوص وشطار. وقد لاحظ النديم أن مثل هذه الموضوعات كانت مرغوبة فصنف فيها الوراقون وكذبوا[8]، والغالب هو عدم عزوها إلى مؤلف معروف.

جدول رقم (٤)

توزيع المسؤولية

عدد الأعمال	عدد المؤلفين	مجموع المؤلفات	النسبة ٪
واحد	٤٠٢	٤٠٢	٢٢,٧٥
اثنان	٩٢	١٨٤	١٠,٤١
ثلاثة	٥١	١٥٣	٨,٦٦
أربعة	٢٥	١٠٠	٥,٦٦
خمسة	١١	٥٥	٣,١١
ستة	٦	٣٦	٢,٠٤
سبعة	٧	٤٩	٢,٧٧
ثمانية	٧	٥٦	٣,١٧
تسعة	١	٩	٠,٥١
عشرة	٥	٥٠	٢,٨٣
أحد عشر	٤	٤٤	٢,٤٩
اثنا عشر	٣	٣٦	٢,٠٤
ثلاثة عشر	٣	٣٩	٢,٢١
خمسة عشر	٣	٤٥	٢,٥٥
ستة عشر	١	١٦	٠,٩١
سبعة عشر	١	١٧	٠,٩٦
ثمانية عشر	١	١٨	١,٠٢
اثنان وعشرون	٢	٤٤	٢,٤٩
ستة وعشرون	١	٢٦	١,٤٧
اثنان وثلاثون	١	٣٢	١,٨١
ثلاثة وستون	١	٦٣	٣,٥٧
تسعة وستون	١	٦٩	٣,٩٠
المؤلف غير معروف		٢٢٤	١٢,٦٨
المجموع		**١٧٦٧**	**١٠٠,٠٠**

موضوعات الأكثرية وقرونها

أسهم مؤلفو العراق بأكثرية الإنتاج في ثلاثة وعشرين موضوعاً من موضوعات الدراسة، واقتسموا

الأكثرية مع مؤلفي مصر في موضوع واحد، ومع مؤلفي الشام في موضوع واحد. وأسهم مؤلفو مصر بأكثرية الإنتاج في موضوعين، ومؤلفو الشام ومؤلفو فارس في موضوع واحد (جدول رقم ٥).

وكان القرن الثالث هو قرن أغلبية الإنتاج في أربعة عشر موضوعاً من الموضوعات المدروسة، واقتسم الأكثرية في أربعة موضوعات أخرى مع القرن الثاني والرابع والتاسع. وقد تبعه القرن التاسع بمدى بعيد فكان قرن أغلبية الإنتاج في أربعة موضوعات، واقتسم الأغلبية مع قرنين آخرين هما الثالث والثالث عشر.

جدول رقم (٥)

موضوعات الأكثرية وقرونها

الموضوع	مجموع الإنتاج	بلد الأكثرية	إنتاجه	النسبة %	قرن الأكثرية	إنتاجه	النسبة %
أسلحة	٤٨	العراق	٢٨	٥٨,٣٣	٣،٢	١٣	٢٧,٠٨
أطعمة وأشربة	٤٧	العراق	٢٨	٥٩,٥٨	٣	٢٠	٤٢,٥٥
ألبسة	١٩	مصر	٦	٣١,٥٨	٩	٥	٢٦,٣٢
أنواء وماء ونبات	٥٢	العراق	٤٣	٨٢,٦٩	٣	٢٨	٥٣,٨٥
تاريخ	١٥٥	العراق	٩٢	٥٩,٣٥	٢	٥٥	٣٥,٤٨
تسلية ومواساة	١٣	مصر	٦	٤٦,١٥	٩	٥	٣٨,٤٦
تصوف	٢٣	فارس	٧	٣٠,٤٣	٤	٨	٣٤,٧٨
تطفيل وظرف	١٤	العراق	١٠	٧١,٤٣	٤،٣	٤	٢٨,٥٧
جنس	٩٣	العراق	٣٥	٣٧,٦٣	٣	٢٠	٢١,٥١
حيوانات	١٣١	العراق	٨٨	٦٧,١٨	٣	٤٠	٣٠,٥٣
خلق الإنسان	١٣	العراق	٦	٤٦,١٥	٣	٥	٣٨,٤٦
ذكاء وغفلة وجد وهزل	٢٩	العراق	١١	٣٧,٩٣	٣	٥	١٧,٢٤
شعر وأدب	٢٥	العراق	١٧	٦٨,٠٠	٣	٩	٣٦,٠٠
طب وأمراض ومرضى	٤٣	العراق/ الشام	٤٣	٣٠,٢٣	٣	١٣	٣٠,٢٣
طقوس جاهلية	١٩	العراق	١١	٥٧,٨٩	٣،٢	٥	٢٦,٣٢
عادات وتقاليد وسلوك	١١٥	العراق	٣٩	٣٣,٩١	٤	٢١	١٨,٢٦
عجائب	٢٣	مصر/ العراق	٧	٣٠,٤٣	٣	٦	٢٦,٠٩
فقه	٥٧	الشام	١٩	٣٣,٣٣	١٣،٩	١٠	١٧,٥٤
قصص ونوادر	٢٣٧	العراق	٥٤	٢٢.٧٨	٣	٣٤	١٤,٣٥
كرم وبخل	١٤	العراق	٩	٦٤,٢٩	٣	٤	٢٨,٥٧
لصوص	٢٩	العراق	٨	٢٧,٥٩	٣	٤	١٣,٧٩
لغة	١٢١	العراق	٧٨	٦٤,٤٦	٣	٢٩	٢٣,٩٧
لهو	١٢١	العراق	٦٦	٥٤,٥٥	٣	٤٠	٣٣,٠٦
مخدرات	٤٦	العراق	١٠	٢١,٧٤	١١	١٠	٢١,٧٤
معميات والغاز	٢٦	العراق	٧	٢٦,٩٢	٦	٦	٢٣,٠٨
مفاخرة	١٥٧	العراق	٦٤	٤٠,٧٦	٣	٣٨	٢٤,٢٠
ملائكة وجن	٢٤	العراق	٨	٣٣,٣٣	٩	٥	٢٠,٨٣
مهن وصناعات وعلوم	٢١	العراق	٧	٣٣,٣٣	٩،٣	٤	١٩,٠٥
نساء وغلمان وتغزل	٥٢	العراق	٢١	٤٠,٣٨	٩	١٥	٢٨,٨٥

مؤلفو الأكثرية

كـان من بين المؤلفين الذين شـملتـهم هذه الدراسـة سبـعة وعشـرين أسـهم كل منهم بعشـرة أعمـال أو أكـثـر، وكتب هؤلاء ٦٩٩ عمـلاً تمثل ٣٢،٣٤ في المئة من مـجـمل الإنتـاج المعلوم مؤلفـه (جـدول رقم ٦). وتتراوح إنتـاج هؤلاء بين عشرة أعمال وتسعة وستين عملاً .

وقد عاش أحد عشر منهم في القرن الثالث، وستة في القرن الثاني، وأربعة في القرن الرابع، وثلاثة في القرن التاسع، وواحد في كل من القرن السادس، والقرن الثامن، والقرن العـاشـر. وكان اثنان منهم من الشـام، واثنان من بلاد العـرب، وواحـد من كل من مـصـر، ومـا وراء النهـر، واليمن، وبقيتهم من العراق.

جدول رقم (٦)

مؤلفو الأكثرية

عدد المؤلفات	المؤلف	بلده	فترته
١٠	سليمان بن أيوب المدني	بلاد العرب	ت ح ٤٠٠
١٠	عبد الكريم بن محمد السمعاني	ما وراء النهر	٥٠٦ – ٥٦٢
١٠	محمد بن عبد الرحمن السخاوي	بلاد العرب	٨٣٠ – ٩٠٢
١٠	محمد بن علي بن طولون الدمشقي	الشام	٨٨٠ – ٩٥٣
١٠	يعقوب بن إسحاق بن السكيت	العراق	ت ٢٤٦
١١	محمد بن حبيب البغدادي	العراق	ت ٢٤٥
١١	محمد بن خلف بن المرزبان	العراق	ت ٣٠٩
١١	محمد بن زياد بن الأعرابي	العراق	ت ٢٣١
١١	محمد بن يعقوب الفيروزأبادي	اليمن	٧٢٩ – ٨١٧
١٢	أبو العنبس الصيمري	العراق	٢١٢ – ٢٧٥
١٢	أبو معشر السرخسي	العراق	ت ٢٨٦
١٢	الهيثم بن عدي الكوفي	العراق	١٣٠ – ٢٠٧
١٣	أبو زيد البصري	العراق	ت ٢١٥
١٣	هشام بن السائب الكلبي	العراق	ت ٢٠٦
١٣	يوسف بن الحسن بن عبد الهادي	الشام	ت ٨٨٠
١٥	أحمد بن أبي طاهر طيفور	العراق	٢٠٤ – ٢٨٠
١٥	عبد العزيز بن يحيى الجلودي	العراق	ت بعد ٣٣٢
١٥	محمد بن عمران المرزباني	العراق	٢٨٧ – ٣٨٤
١٦	أبو الفرج الأصفهاني	العراق	٢٨٤ – ٣٥٦
١٧	يعقوب بن إسحاق الكندي	العراق	ت ٢٦٠
١٨	محمد بن زكريا الرازي	العراق	ت ٣١١
٢٢	الأصمعي	العراق	١٢٣ – ٢١٥
٢٢	سهل بن محمد السجستاني	العراق	ت ٢٥٠
٢٦	الجاحظ	العراق	١٥٥ – ٢٥٥
٣٢	معمر بن المثنى	العراق	١١٠ – ٢٠٩
٦٣	علي بن محمد المدائني	العراق	١٣٥ – ٢٢٥
٦٩	جلال الدين السيوطي	مصر	٨٤٨ – ٩١١

وقد تشتتت الموضوعات التي كتبوا فيها تشتتاً بيناً. فقد كتب يوسف بن الحسن بن عبد الهادي – على سبيل المثال – ثلاثة عشر عملاً في أحد عشر موضوعاً، أي بمعدل ١,١٨ كتاباً في كل موضوع؛ بينما كتب علي ابن محمد المدائني ثلاثة وستين عملاً في اثني عشر موضوعاً، أي بمعدل ٥,٢٥ كتاباً في الموضوع (جدول رقم ٧). وهذا يدل على أن الأخير كان أكثر ميلاً إلى التخصص في كتاباته.

وكانت هناك موضوعات كتب فيها عدد كبير من مؤلفي الأغلبية، مثل موضوع الحيوانات وموضوع التاريخ،

جدول رقم (٧)

تشتت مؤلفات مؤلفي الأكثرية

المؤلف	عدد المؤلفات	عدد الموضوعات	التشتت	العلاقة بالمعدل
سليمان بن أيوب المدني	١٠	٣	٣,٣٣	+ ١,٠٥
عبد الكريم بن محمد السمعاني	١٠	٤	٢,٥٠	– ٠,٢٢
محمد بن عبد الرحمن السخاوي	١٠	٧	١,٤٣	– ٠,٨٥
محمد بن علي بن طولون الدمشقي	١٠	٨	١,٢٥	– ١,٠٣
يعقوب بن إسحاق بن السكيت	١٠	٥	٢,٠٠	– ٠,٢٨
محمد بن حبيب البغدادي	١١	٣	٣,٦٧	+ ١,٣٩
محمد بن خلف بن المرزبان	١١	٨	١,٣٨	– ٠,٩
محمد بن زياد بن الأعرابي	١١	٣	٣,٦٧	+ ١,٣٩
محمد بن يعقوب الفيروزأبادي	١١	٦	١,٨٣	– ٠,٤٥
أبو العنبس الصيمري	١٢	٦	٢,٠٠	– ٠,٢٨
أبو معشر السرخسي	١٢	٤	٣,٠٠	+ ٠,٧٢
الهيثم بن عدي الكوفي	١٢	٨	١,٥٠	– ٠,٧٨
أبو زيد البصري	١٣	٧	١,٩٦	– ٠,٣٢
هشام بن السائب الكلبي	١٣	٦	٢,١٧	– ٠,١١
يوسف بن الحسن بن عبد الهادي	١٣	١١	١,١٨	– ١,١٠
أحمد بن أبي طاهر طيفور	١٥	١١	١,٣٦	– ٠,٩٢
عبد العزيز بن يحيى الجلودي	١٥	١٠	١,٥٠	– ٠,٧٨
محمد بن عمران المرزباني	١٥	٨	١,٨٨	– ٠,٤٠
أبو الفرج الأصفهاني	١٦	٩	١,٧٨	– ٠,٥٠
يعقوب بن إسحاق الكندي	١٧	١٠	١,٧٠	– ٠,٥٨
محمد بن زكريا الرازي	١٨	٧	٢,٥٧	+ ٠,٢٩
الأصمعي	٢٢	٩	٢,٤٤	+ ٠,١٦
سهل بن محمد السجستاني	٢٢	٩	٢,٤٤	+ ٠,١٦
الجاحظ	٢٦	١٦	١,٦٣	– ٠,٦٥
معمر بن المثنى	٣٢	١٠	٣,٢٠	+ ٠,٩٢
علي بن محمد المدائني	٦٣	١٢	٥,٢٥	+ ٢,٩٧
جلال الدين السيوطي	٦٩	١٩	٣,٦٣	+ ١,٣٥
المجموع/ المعدل	**٤٩٩**	**٢١٩**	**٢,٢٨**	

حيث ظهرت في أولهما أعمال لثمانية عشر مؤلفاً وفي آخرهما لسبعة عشر. وظهرت قصص ونوادر لثلاثة عشر منهم. وكتب اثنا عشر منهم في الأطعمة والأشربة، واللهو، والمفاخرة. وكتب مؤلف واحد في كل من موضوعي التسلية والمواساة، والمعميات والألغاز (جدول رقم ٨).

موضوعات التأليف

شملت الأعمال التي قامت عليها هذه الدراسة موضوعات مختلفة جعلت في تسعة وعشرين موضوعاً. وروعي في صياغة هذه الموضوعات تصنيف المعرفة البشرية الذي ينطلق من العموم إلى الخصوص.

جدول رقم (٨)

موضوعات مؤلفي الأكثرية

المؤلف	موضوعات التأليف
الصيمري	تاريخ، جنس، شعر وأدب، عجائب، قصص ونوادر، مفاخرة.
الأصفهاني	تاريخ، تطفيل وظرف، شعر وأدب، عادات وتقاليد وسلوك، قصص ونوادر، لهو، مخدرات، مفاخرة، نساء وغلمان وتغزل.
أبو زيد البصري	أسلحة، أطعمة وأشربة، أنواء وماء ونبات، حيوانات، قصص ونوادر، الكرم والبخل، لغة.
السرخسي	أطعمة وأشربة، طب وأمراض ومرضى، لهو، نساء وغلمان وتغزل.
الأصمعي	أسلحة، أنواء وماء ونبات، حيوانات، خلق الإنسان، شعر وأدب، طقوس جاهلية، قصص ونوادر، لغة، مخدرات.
ابن أبي طاهر طيفور	أطعمة وأشربة، ألبسة، تاريخ، تطفيل وظرف، حيوانات، ذكاء وغفلة وجد وهزل، شعر وأدب، عادات وتقاليد وسلوك، لغة، لهو، مفاخرة.
الجاحظ	أسلحة، أطعمة وأشربة، تاريخ، تطفيل وظرف، جنس، حيوانات، ذكاء وغفلة وجد وهزل، طقوس جاهلية، عادات وتقاليد وسلوك، فقه، الكرم والبخل، لصوص، لهو، مفاخرة، ملائكة وجن، نساء وغلمان وتغزل .
السيوطي	أسلحة، أطعمة وأشربة، ألبسة، تاريخ، تسلية ومواساة، تطفيل وظرف، جنس، حيوانات، طب وأمراض ومرضى، عادات وتقاليد وسلوك، عجائب، فقه، لغة، لهو، مخدرات، مفاخرة، ملائكة وجن، مهن وصناعات وعلوم، نساء وغلمان وتغزل .
ابن أيوب المدني	تطفيل وظرف، لهو، نساء وغلمان وتغزل .
سهل السجستاني	أسلحة، أطعمة وأشربة، ألبسة، أنواء وماء ونبات، حيوانات، شعر وأدب، الكرم والبخل، لغة، مفاخرة .
عبد العزيز الجلودي	أطعمة وأشربة، ألبسة، أنواء وماء ونبات، تاريخ، حيوانات، قصص ونوادر، الكرم والبخل، لهو، معميات والغاز، مهن وصناعات وعلوم .
عبد الكريم السمعاني	أطعمة وأشربة، تاريخ، حيوانات، عادات وتقاليد وسلوك .
المدائني	أطعمة وأشربة، تاريخ، جنس، حيوانات، ذكاء وغفلة وجد وهزل، شعر وأدب، طب وأمراض ومرضى، طقوس جاهلية، عادات وتقاليد وسلوك، قصص ونوادر، الكرم والبخل، مفاخرة .
ابن حبيب البغدادي	أنواء وماء ونبات، تاريخ، حيوانات .
محمد بن المرزبان	تاريخ، تطفيل وظرف، جنس، طب وأمراض ومرضى، قصص ونوادر، لغة، لهو، مفاخرة .
الرازي	أطعمة وأشربة، تصوف، جنس، طب وأمراض ومرضى، عادات وتقاليد وسلوك، عجائب، لهو .
ابن الأعرابي	أنواء وماء ونبات، حيوانات، قصص ونوادر .
السخاوي	أسلحة، تسلية ومواساة، حيوانات، عادات وتقاليد وسلوك، قصص ونوادر، لهو، مفاخرة .
ابن طولون الدمشقي	أطعمة وأشربة، ألبسة، تاريخ، حيوانات، شعر وأدب، عادات وتقاليد وسلوك، فقه، ملائكة وجن.

المؤلف	موضوعات التأليف
محمد المرزباني	تاريخ، خلق الإنسان، ذكاء وغفلة وجد وهزل، شعر وأدب، عادات وتقاليد وسلوك، قصص ونوادر، لهو، ملائكة وجن.
الفيروزأبادي	جنس، حيوانات، عجائب، لغة، مخدرات، مفاخرة.
معمر بن المثنى	أسلحة، أنواء وماء ونبات، تاريخ، حيوانات، خلق الإنسان، لصوص، لهو، مفاخرة.
هشام الكلبي	تاريخ، حيوانات، طقوس جاهلية، قصص ونوادر، مفاخرة، ملائكة وجن.
الهيثم بن عدي	أسلحة، تاريخ، جنس، عادات وتقاليد وسلوك، قصص ونوادر، مفاخرة، نساء وغلمان وتغزل.
الكندي	أسلحة، أطعمة وأشربة، أنواء وماء ونبات، تاريخ، حيوانات، طقوس جاهلية، عادات وتقاليد وسلوك، عجائب، لهو، مهن وصناعات وعلوم.
ابن السكيت	أسلحة، أنواء وماء ونبات، حيوانات، قصص ونوادر، لغة.
ابن عبد الهادي	تاريخ، جنس، ذكاء وغفلة وجد وهزل، طب وأمراض ومرضى، عادات وتقاليد وسلوك، فقه، قصص ونوادر، الكرم والبخل، لصوص، ملائكة وجن، نساء وغلمان وتغزل.

١ - الأسلحة والحروب

أكثر المسلمون من التأليف في موضوع الحروب وطرائقها وأدواتها. ولعل إطلاقهم أسماء مختلفة على هذا الموضوع دليل على الشأو الذي بلغه التأليف في هذا المجال. فقد استخدموا مصطلحات مختلفة مثل علم التعابي العددية في الحروب، وعلم أيام العرب، وعلم الجهاد، وعلم المغازي، وعلم ترتيب العساكر، وعلم قود العساكر والجيوش، وعلم الآلات الحربية. وقد كانت أعمالهم فيها بالغة الرصانة نظراً لاهتمامهم بها. بل إنهم عدوا أحدها وهو الأخير أحد أركان الدين لتوقف أمر الجهاد عليه[٩] .

وقد خُصص بعض هذه الأعمال للحرب بصفة عامة، مثل كتاب آداب الحروب وصورة العسكر لعبد الجبار بن عدي (ت ح ١٧٠هـ)، ورسالة في قود الجيوش للفارابي، ورسالة بالاسم نفسه لمحمد بن الحسن بن الهيثم (ت ح ٤٣٠هـ). وكان منها ما خُصص لإحدى نواحي الاستراتيجية في الحرب، مثل كتاب الاستبداد والمشاورة في الحروب للجاحظ (١٥٥-٢٥٥هـ)، وكتاب الحيل في الحروب للهرثمي الشعراني (ت ح ٢١٠هـ)، والسر المصون فيما يقال عند فتح الحصون لعبد الوهاب بن محمد الأسعردي (٦٢٢-٦٩٢هـ)، وميادين الحصون والقلاع ورمي القنابر باليد والمقلاع، والمطالع المنيفة في الاستحكامات الخفيفة لمحمد بن صالح بن مجد الدين (ت ١٢٤٢هـ).

وحظي السلاح باهتمام المؤلفين المسلمين فتناوله بعضهم بصفة شاملة مثل الأصمعي (١٢٣ - ٢١٥هـ)، وأبي دلف العجلي (ت ١١٥هـ)، ومحمد بن الحسن بن دينار (ت ٢٥٩هـ)، ومحمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ)، والنضر بن شميل البصري (ت ٢٠٤هـ)، كما كتب محمد ابن إبراهيم بن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ) مستند الأجناد في آلات الجهاد. وعرض بعضهم لسلاح أو أكثر فكتب كل من يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت ٢٤٦هـ)، ومحمد بن الحسن بن دريد، كتاب السرج واللجام، وكتب أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠-٢٠٩هـ) كتاب السرج، وكتاب القوس، وكتاب اللجام، وكتاب السيف؛ وكتب الأصمعي كتاب السرج واللجام والشوى والنعال، وكتب الهيثم بن عدي الكوفي (١٣٠-٢٠٧هـ) كتاب النشاب، وكتب سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠هـ) كتاب السيوف والرماح، وكتاب القسي والسهام والنبال وكتاب الدرع؛ وكتب أبو زيد البصري (ت ٢١٥هـ) كتاب القوس والترس، وكتب الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤هـ) اليعسوب في القسي والرمي والسهام والنصال، وكتب جلال الدين السيوطي السماح في أخبار الرماح، وكتب أبو معشر

البلخي (ت ٢٧٢هـ) كتاب السهام، وكتب علي بن جعفر بن القطاع (٤٣٣-٥١٥هـ) كتاب السيف في أسمائه وصفاته، وكتب هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ) كتاب السيوف، وكتب يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ) كتاب السيوف وصفاتها. وكما هو متوقع فقد بلغ المجتمع المسلم شأواً فكرياً متقدماً في تقنية الأسلحة، فكتب يعقوب بن إسحاق الكندي رسالة في أنواع السيوف والحديد، ورسالة فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تتثلم.

ونال تعليم الرمي اهتماماً ملحوظاً فكتب فيه محمد ابن عبد العزيز بن جماعة (٧٥٩-٨١٩هـ) أولى الأسباب في الرمي بالنشاب، وكتب جلال الدين السيوطي غرس الأنشاب في الرمي بالنشاب، وكتب محمد بن أحمد الخلوتي تحفة أولي الألباب في الرمي بالنشاب، وكتب وكيع القاضي (ت ٣٠٦هـ) كتاب الرمي والنصال، وكتب علي بن قاسم السعدي (ت ح ٨٤٠هـ) التعليم والإعلام في رمي السهام، وكتب إبراهيم حنيف الرومي (ت ١١٨٩هـ) لوامع الإسلام في الرمي بالسهام، وكتب محمد بن مسعود العياشي (ت ح ٣٢٠هـ) كتاب السبق والرمي، وظهر فيه كتاب السبق والرمي لمحمد بن أحمد بن الجنيد (ت ٣٨١هـ)، ومفتاح كنز در النظام في أصول الرماية وتعليم الغلام لدرويش بن محمد الدمشقي (ت ح ١١٣٠هـ). كما بحثوا في أحكامها الفقهية، فظهر كتاب فلق الصبح في أحكام الرمح لمحمد بن عبد العزيز بن جماعة، والقول التام في فضل رمي السهام للسخاوي (٨٣٠-٩٠٢هـ).

وقد أسهمت العراق ثم مصر بالنصيب الأوفر من الإنتاج في هذا الموضوع. ويلاحظ - بصفة خاصة - عدم إسهام الأندلس بأي عمل فيه. وربما يعود هذا إلى أحد سببين، أولهما عدم شمولية أدوات الضبط الببليوجرافي التي رجع إليها الباحث فيما يتعلق بإنتاج الأندلسيين، أو أن الأندلس لم تسهم - فعلاً - بشيء في هذا المجال، وهو سيكون مثيراً للتساؤل، ذلك أنها كانت ثغراً من ثغور الجهاد النشطة، خصوصاً في عهد المنصور بن أبي عامر[10].

وقد ظهر أكثر من نصف مجمل الإنتاج خلال القرن الثاني والقرن الثالث. وتتفق هذه النتيجة مع أن هذه الفترة هي التي تلت حركة الفتح الإسلامي، وتبلور فيها الفكر العسكري في العالم الإسلامي.

٢ - الأطعمة والأشربة

اتسم العرب بالبساطة في المأكل، فلم يعرفوا في جزيرتهم تعدد ألوان الطعام والشراب. واعتمدوا في مآكلهم على لحم الإبل وما يُصاد ويُجنى، وكذا على أطعمة ذات تركيب يتسم بالبساطة، مثل السويق والثريد والطفيشل. على أنه بعد الاختلاط الكبير الذي تبع حركة الفتح الإسلامي والاندماج مع عناصر أخرى خصوصاً في العصر العباسي ظهرت أنواع من المآكل والمشارب لم يعرفوها قبل ذلك، مثل الشبارق، والهرائس، والقلايا، والوشيقة، والأرة، والسكباج، والفالوذج، واللوزينج. كما تناول أهل المجتمعات الزراعية مآكل تعتمد على الخضروات مثل القرع والهندباء، وتفنن من جاور منهم البحار والأنهار والبحيرات في إعداد أطباق تعتمد على ما يستخرج منها. وتبع ذلك ظهور عدد من الكتب والرسائل التي عنيت بنواحي الأكل المختلفة.

وكان من هذه الكتب ما قصر الحديث على نوع واحد من المأكولات مثل كتاب التمر لأبي زيد البصري، وكتاب السكباج وفضائلها لأحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٠٤-٢٨٠هـ)، وفضائل السكباج لجحظة البرمكي (٢٢٤-٣٢٤هـ)، ورسالة في التمر هندي لأحمد بن عبد الرحمن بن مندويه (ت ٤٤٠هـ)، والهريسة لعبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦-٥٦٢هـ)، وأصحن الصين في فوائد التين لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي

(٨٨٠-٩٥٣هـ)، ورسالة في القهوة لمحمد بن مصطفى الخادمي (ت ١١٧٦هـ)، ومقالة في الاختلاف بين الألبان لعبيد الله بن جبريل بن بختيشوع (ت ٤٥١هـ)، وكفاية المسمع المصيخ في البطيخ لإبراهيم بن محمد القبيباني (ت ٩٠٠هـ)، ونثل الكنان في الخشكنان للسيوطي. كما كان منها ما تحدث عن أكثر من مأكول مثل كتاب اللبن والحليب لأبي زيد البصري، وسهل بن محمد السجستاني، ومنهاج اللطائف في الكنافة والقطائف للسيوطي.

وكان منها ما تناول المأكولات بصفة عامة، مثل كتاب الطبيخ لإبراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٣هـ)، وأبي معشر السرخسي (ت ٢٨٦هـ)، وأحمد بن إسماعيل بن الخصيب (ت ٢٩٠هـ)، وجحظة البرمكي، وأحمد بن يوسف ابن الداية (ت ٣٣٤هـ) ، وعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت ح ٣٠٠هـ)، وأبي بكر بن محمد الكرجي (ت ٥٠٠هـ)، ويحيى بن جعفر البيكندي (ت ٢٤٣هـ)، ويحيى بن أبي منصور (٢٤١-٣٠٠هـ)، وإبراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ)، وكتاب الأطعمة لعبد العزيز بن يحيى الجلودي (ت بعد ٣٣٢هـ)، وكتاب الأغذية ليحيى بن جعفر البيكندي.

وظهرت أعمال تناولت الأشربة بصفة عامة، مثل كتاب الشراب لمحمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١هـ)، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (١٥٠-٢٣٥هـ)، وعبيد الله ابن أحمد بن خرداذبة، وكتاب الأشربة لحماد بن إسحاق الموصلي (ت ح ٢٢٠هـ)، وعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وعلي بن محمد المدائني (١٣٥ - ٢٢٥هـ)، ويحيى بن جعفر البيكندي.

ومما يلاحظ نشوء تقاليد للأكل يمكن تلمسها في كتاب الطعام والآداب لمحمد بن عبيد الله المسبحي (٣٣٦-٤٢٤هـ)، وفي مفتاح القرب لنظم آداب الأكل والشرب لمحمد بن عبد الرحيم الصمدي (ت ١١٠٠هـ). بل إن عبد الرزاق بن مصطفى الأنطاكي (آخر ق ١٢هـ) ذهب بهذه التقاليد خطوة إلى الأمام حين ألف ذريعة الطعام في علم الأكل. وكان الأكل لديهم وسيلة للاستمتاع وليس فقط للإشباع، حيث ظهر ذلك في نزهة النفوس والقلوب في لذة المأكول والمشروب، وكتاب ضوء المصباح في المآكل الملاح لموسى بن عبد الله الدهمراوي (ت ح ١٠٠٠هـ)، ونصيحة الأنام في حسن الطعام لأحمد بن إبراهيم. ونظراً لما لتنويع المآكل من أثر على الصحة ظهر كثير من الكتب التي عنت بطب الأكل مثل كتاب ترتيب أكل الفواكه، وكتاب دفع مضار الأغذية لمحمد بن زكريا الرازي ، والفرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب لمحمود بن عمر بن الرقيقة (ت ٦٣٥هـ). كما تناول يعقوب بن إسحاق الكندي كيمياء المأكولات في رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يقرب من ستين في المئة من مجمل الإنتاج. ولوحظ أن ما يقرب من ثمانين في المئة من إنتاجهم قد ظهر خلال القرن الثاني والقرن الثالث، وأنهم لم يسهموا بأي عمل بعد منتصف القرن السابع الهجري وذلك لأسباب معروفة.

ويلاحظ في هذا السياق عدم إسهام بلاد العرب بشيء في موضوع الأطعمة والأشربة، وكذلك تدني إسهام مصر. وإذا كان الأمر متوقعاً بالنسبة لبلاد العرب نظراً لبساطة مآكل سكانها فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لمصر التي تعد بوتقة انصهرت فيها أعراق مختلفة وكانت واجهة تلاقح حضاري التفنن في المآكل من سماته. كما يلاحظ عدم إسهام مؤلفي الأندلس بشيء في هذا الموضوع فيما عدا عملاً واحداً يتناول القول في أكل جبن الروم من ناحية فقهية. وهذا لا يتسق مع ما أثر عن تقدم المجتمع الأندلسي في هذا المجال [11]. وفيما يتعلق بالناحية الزمنية فقد ظهر ما يزيد على أربعين في المئة من مجمل الإنتاج خلال القرن الثالث.

٣ - الألبسة

اهتم المؤلفون المسلمون بالهيئة العامة لأفراد المجتمع الإسلامي وما ينبغي أن يكونوا عليه. وقد ظهر ذلك في المؤلفات التي ناقش بعضها مكوناً أو أكثر من مكونات المظهر لا بد أنها كانت تعكس القضايا التي أثيرت حولها. ومن الكتب التي ناقشت اللباس بصورة عامة كتاب اللباس لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب الزينة لأحمد بن محمد البرقي (ت ٣٧٦هـ)، وسهل بن محمد السجستاني، والقول المحرر في لبس المعصفر وسائر أنواع الأحمر لمحمد بن علي الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ).

واستأثرت العمامة - وهي شعار العرب - بكثير من المؤلفات، فظهر حولها كتاب صوب الغمامة في إرسال طرف العمامة لمحمد بن محمد المري (٨٢٢-٩٠٥هـ)، وأزهار الكمامة في أخبار العمامة لأحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ)، وكشف الغمامة عن أحكام العمامة لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، والمقالة العذبة في العمامة والعذبة لعلي بن محمد القاري الهروي (ت ١٠١٤هـ)، والموارد المستعذبة بمصادر العمامة والعذبة لمحمد الواعظ القلقشندي (ت ١٠٣٥هـ). كما كانت العمامة والطيلسان موضوعاً لكتاب درر الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة لابن حجر الهيثمي (٨٩٩-٩٧٤هـ)، ونافح جلال الدين السيوطي عن الطيلسان في الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان، وفي رسالة طي اللسان عن ذم الطيلسان.

كما ناقشوا مكونات أخرى من الهيئة، فظهر عن السبحة عملان هما كتاب السبحة لمحمد بن أحمد القمي (ت ح ٥٦٥هـ)، ورسالة المنحة في السبحة للسيوطي. وتحدث أحمد بن أبي طاهر طيفور عن الحجاب في كتاب الحجاب، وعرض أحمد بن إبراهيم سبط العجمي (ت ٨٨٤هـ) للسلسال في عقد الدرر واللآل فيما يقال في السلسال، وتحدث أحمد بن محمد المغربي (ت ١٠٤١هـ) عن النعال في كتاب فتح المتعال في وصف النعال.

وكان لمصر الإسهام الأوفر في التأليف في اللباس. وربما كان لانتقال حكمها من أيدي المماليك إلى أيدي العثمانيين وما تبع ذلك من تغير في الزي أثر فيما ظهر من مؤلفات حول هذا الموضوع. ويعضّد هذا كون إسهامها في هذا الموضوع إنما ظهر خلال فترة الانتقال أو قريباً منها. وقد ظهر ما يقرب من نصف مجمل الإنتاج خلال القرنين التاسع والحادي عشر.

٤ - الأنواء والماء والنبات

كتب المؤلفون المسلمون كثيراً من الكتب والرسائل العامة عن الظواهر الطبيعية والجوية، كما أفردوا بعضها بالتأليف. فمن الأعمال العامة كتاب الأمطار والرياح لما شاء الله المنجم (ت ح ٢٢٠هـ)، وسهل بن بشر الهروي (ت ٢٣٥هـ)، وكتاب الحر والبرد والشمس والقمر والليل والنهار لسهل بن محمد السجستاني، ومجمل الأسماء في معرفة أسامي الأرضين والأشجار والحيوان لظاهر بن محمد الغزنوي (ت ح ٥٦١هـ)، والرفدات بأحوال الحيوان والنبات لعبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠- ٥٩٧هـ)، ونزهة النفوس والأفكار في خواص النبات والحيوان والأشجار لعبد الرحمن بن تقي الدين الصالحي (ت ٨٥٦هـ)، وجامع فرائد الملاحة وجوامع فوائد الفلاحة لمحمد بن محمد الغزي (٨٦٢-٩٣٥هـ)، وغاية الإرشاد في معرفة الحيوان والنبات والجماد لعبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، وروح البيان في خواص النبات والحيوان لمحمد بن خليل القاوقجي (١٢٢٢-١٣٠٥هـ).

ومن الكتب التي أفردت المياه بالتأليف كتاب المياه لأبي زيد البصري، وكتاب الغيث، وكتاب المياه لسهل بن محمد السجستاني، وكتاب صفة السحاب والغيث لمحمد ابن الحسن بن دريد، وكتاب المطر لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، ومقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر

لسلامة بن مبارك بن رحمون (ت ح ٥٣٠هـ)، وأنوار الديار بحماية الآبار لمستقيم زاده سليمان (١١٣١-١٢٠٢هـ).

وتناولت مؤلفات كثيرة النبات والشجر، مثل كتاب الزرع لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب المراعي والجراد لعلي بن محمد المدائني، وكتاب صفة الزرع لمحمد بن زياد ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وكتاب الشجر لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، وكتاب النخلة، وكتاب العشب والبقل لسهل بن محمد السجستاني، وكتاب الشجر والنبات لمحمد ابن أحمد المفجع (ت ٣٢٠هـ)، وكتاب الرياحين لعبد العزيز ابن يحيى الجلودي، وفضل الرياحين لمحمد بن أحمد التوقاتي (ت ٣٨١هـ)، وكتاب الرياض لمحمد بن أحمد بن الحرون (ت ٣٩٠هـ)، وكتاب اشتقاق أسماء الرياحين ليوسف بن عبد الله الزجاجي (ت ٤١٥هـ)، وكتاب الزهر والرياض لعبد الله بن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ)، والفائق في أسماء الحدائق لأبي البركات الأنباري (٥١٣-٥٧٧هـ)، وكتاب النبات والشجر لأبي زيد البصري، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، وسهل بن محمد السجستاني، وكتاب النبات للأصمعي، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، ومحمد بن حبيب البغدادي، وسليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥هـ)، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت ٦٢٩هـ).

وعرضت أعمال للظواهر الجوية، مثل رسالة في علة الرعد والبرق والثلج والبرد ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب السماء والرعد والبرق لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب الرياح والهواء لمحمد بن السراج النحوي (ت ٣١٦هـ)، وكتاب السراب لعيينة بن المنهال. كما تحدثت كتب كثيرة عن الأنواء، ومن هذه كتاب الأنواء لأبي فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥هـ)، والنضر بن شميل البصري، والأصمعي، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، ومحمد بن حبيب البغدادي، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، وأبي محلم الشيباني (ت ٢٤٨هـ)، والمفضل بن سلمة الضبي (ت ٢٩٠هـ)، وعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة، والأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ)، ومحمد بن الحسن بن دريد.

ومما يلاحظ في هذا السياق تفوق العراق الظاهر في هذا الموضوع حيث أسهم مؤلفوها بما يزيد على ثمانين في المئة من مجمل الإنتاج، ويقابل ذلك عدم إسهام بلاد العرب والأندلس وشمال أفريقيا واليمن، وتدن واضح لما أسهمت به مصر. وربما يرجع ذلك إلى الثبات النسبي للمناخ في هذه البلدان، وتقلبه في العراق مما جعله موضوعاً من الموضوعات الخصبة للنقاش. كما قد يعود إلى أن قسماً كبيراً من المؤلفات قد تناولت الموضوع من ناحيته اللغوية، ويعضد هذا الاحتمال كون مؤلفيها من أئمة اللغة الذين عاشوا في العراق، مثل أبي زيد البصري، والأصمعي، وسهل بن محمد السجستاني، وعبد العزيز بن يحيى الجلودي، ومحمد بن الحسن بن دريد، ومحمد بن السراج النحوي، ومحمد بن حبيب البغدادي، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، والمفضل بن سلمة الضبي، والنضر بن شميل البصري، ويعقوب بن إسحاق الكندي، ويعقوب بن إسحاق ابن السكيت، ويوسف بن عبد الله الزجاجي.

وقد ظهر خلال القرن الثالث أكثر من نصف الإنتاج. وربما يعود هذا إلى أن كثيراً من المكثرين في التأليف حول هذه الموضوعات، مثل أبي محلم الشيباني، وسليمان ابن محمد الحامض، وسهل بن بشر الهروي، ومحمد بن أحمد المفجع، ومحمد بن السراج النحوي، ومحمد بن حبيب البغدادي، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، والمفضل بن سلمة الضبي، وسهل بن محمد السجستاني، ويعقوب بن إسحاق الكندي، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، قد عاشوا خلاله.

٥ - التاريخ

ظهرت الطرافة في تأليف المسلمين في هذا المجال في عدد كبير من الأعمال التي ناقشت موضوعات مختلفة.

وهذه الأعمال قد تدور حول شخص بعينه، مثل الروض النضر في حال الخضر لمحمد بن محمد الخيضري (٨٢١-٨٩٤هـ)، والروض النضر في الكلام على الخضر لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ)، وكشف الخدر عن حال الخضر لعلي بن محمد القاري الهروي، وكشف الحذر عن حال الخضر لمحمد بن مصطفى الخادمي، والقول المثبوت في قصة هاروت لمحمد الواعظ القلقشندي، وبغية الطالب لإيمان أبي طالب لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي (١٠٤٠-١١٠٣هـ)، وتاريخ الانتصار لواك النبي المختار للمرتضى الزبيدي (١١٥٤-١٢٠٥هـ)، والتحفة الجسيمة لإسلام حليمة لمغلطاي بن قليج البكجري (٦٨٩-٧٦٢هـ)، ورسالة في إيمان فرعون لمحمد بن أحمد الدواني (ت ٩٠٨هـ).

وقد تدور حول فئة اتصف أفرادها بصفات خَلْقية معينة، مثل كتاب تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان لخليفة بن هبيرة الشيباني (ت ٢٤٦هـ)، وجعفر ابن محمد الفيريابي (ت ٣٠٠هـ)، وأخبار السودان لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب العرجان والبرصان، وكتاب الطوال في أسمائهم وصفاتهم لعلي بن جعفر بن القطاع. أو تدور حول فئة اتصف أفرادها بصفات خُلُقية أو سلوكية، مثل أدعياء الجاهلية لحفص بن غياث العنبري (ت ١٩٤هـ)، وكتاب الأوفياء، وكتاب لصوص العرب، وكتاب النوائح لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب المعمرين للهيثم بن عدي الكوفي (١٣٠-٢٠٧هـ)، وكتاب الضراطين لعلي بن محمد المدائني، والسحاقات والبغائين لأبي العنبس الصيمري (٢١٢-٢٧٥هـ)، وكتاب المتوارين لعبد الغني بن سعيد الأزدي (٣٣٣-٤٠٩هـ)، وقراضة الذهب في ذكر لئام العرب لمالك بن وهيب الفاسي (ت ح ٥٣٥هـ). وقد يكون مدار العمل حادثة معينة، ويندرج في هذا عدد كبير من الكتب والرسائل، مثل كتاب من جمع أكثر من أربع نساء، وكتاب من هجاها زوجها لعلي بن محمد المدائني، ومن استجيبت دعوته، وكتاب من سُمي ببيت قاله لمحمد بن حبيب البغدادي، ومناجيب الخصيان لأبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤-٣٥٦هـ)، وكتاب الغرق والشرق فيمن مات غرقاً وشَرَقاً لمحمد بن عبيد الله المسبحي، والوشي المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ لخليل بن كيكلدي (٦٩٤-٧٦١هـ)، وتعريف الفئة فيمن عاش من هذه الأمة مائة لابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، ورريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين للسيوطي، وكشف اللثام عن وجه المشبهين بخير الأنام لمحمد بن علي ابن طولون الدمشقي .

وكان لأشخاص معينين باع طويل في مثل هذا النوع من التأليف ، منهم علي بن محمد المدائني، وأحمد بن أبي طاهر طيفور، وجلال الدين السيوطي، ومحمد بن حبيب البغدادي ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وهشام بن السائب الكلبي.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يقرب من ستين في المئة من مجمل الإنتاج. وظهر خلال القرن الثاني ما يزيد عن خمسة وثلاثين في المئة منه.

٦ - التسلية والمواساة

ظهرت بعض المؤلفات التي قصد كُتابها تسلية أنفسهم أو غيرهم حين نزول بعض النوائب. وكان لفقد الأولاد النصيب الوافر من هذه، مثل ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣٠-٩٠٢هـ)، وبرد الأكباد عند فقد الأولاد لمحمد بن عبد الله بن ناصر الدين (٧٧٧-٨٤٢هـ)، والتعريف والتبيين في ثواب فقد البنين لمحمد بن يحيى الهمداني (ت ٣٧٤هـ)، وتبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد لعمر بن أحمد ابن العديم (٥٨٦-٦٦٠هـ)، وفضل الجَلَد عند فقد الولد للسيوطي، والفضل المبين في الصبر عند فقد البنات

والبنين لمحمد بن يوسف الدمشقي (ت ٩٤٢هـ). كما ظهرت بعض الأعمال للتسلية عن فقدان آخرين، مثل تسلية المصاب عند فراق الأحباب لأبي الوفاء نصر الهوريني (ت ١٢٩١هـ)، وسلوان المصائب بفرقة الأحباب لمرعي بن يوسف الكرمي. وظهرت أعمال أخرى لتسلية من أصابته بعض العاهات أو الأمراض، مثل تسلية الأعمى عن بلية العمى لعلي بن محمد القاري الهروي، والسلو عن ذهاب البصر لمحمد بن علي بن عسكر (ت ٦٣٦هـ)، وسلوة الحزين عند شدة الأنين للحسن بن أحمد بن البناء (٣٩٦-٤٧١هـ)، وكشف العمى في فضل الحمى للسيوطي.

وقد كانت لمصر صدارة التأليف في هذا الموضوع، ذلك أن ما أنتجته يقرب مما أنتجته بقية الدول مجتمعة. وربما يعود هذا إلى فلسفة خاصة بالمجتمع المصري في نظرته إلى الحياة.

وقد ظهر ما يزيد على ثمانية وثلاثين في المئة من مجمل الإنتاج خلال القرن التاسع. ومما يسترعي النظر في هذا السياق قلة إنتاج المسلمين من كتب الطب في هذا القرن الذي حفل بالأوبئة. بل إن أغلب ما ظهر من أعمال كان في مجال وصف هذه الأوبئة والأمراض؛ وليس في طريقة التعامل الإيجابي معها. ولعل ما ظهر من كتب في التسلية والمواساة هو من هذا القبيل.

٧ - التصوف

ظهر عدد من المؤلفات حول الصوفية والتصوف. ومما يلاحظ في هذا السياق إن المؤلفات حول الصوفية والتصوف قد ظهرت في فترات مبكرة من التاريخ الإسلامي ليست ببعيدة عن القرن الثاني الهجري الذي حين فشا فيه الإقبال على الدنيا اتجه بعض الناس إلى التصوف رداً على ذلك. وقد كتب بعض هؤلاء، ومنهم الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) كتاب الرعاية في أحكام الورع ومحاسبة النفس. وألّف طيفور بن عيسى البسطامي (ت ٢٦٤هـ) معارج التحقيق، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. كما وضع محمد بن زكريا الرازي كتابه في التصوف المسمى في الأوهام والحركات والعشق، وظهر كتاب لمع في التصوف لعبد الله بن علي السراج (ت ٣٧٨هـ)، وكتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لمحمد بن علي أبو طالب المكي (الربع الأخير من القرن الرابع الهجري).

ويؤرخ بعض المؤلفات التي ظهرت في هذا الموضوع للمتصوفة، مثل أخبار الصوفية لأبي حيان التوحيدي (ت ح ٤٠٠هـ)، وطبقات الصوفية لمحمد بن الحسين السلمي (٣٣٠-٤١٣هـ)؛ أو يصف بعض طقوس التصوف، مثل لبس المرقعات لمحمد بن خفيف الشيرازي (ت ٣٧١هـ)، وكتاب آداب الصوفية، وكتاب سنن الصوفية لمحمد بن الحسين السلمي . أو ينافح عن التصوف أو بعض طقوسه، مثل فضل التصوف لمحمد بن خفيف الشيرازي، ورسالة في جواز دوران الصوفية لعلي الأطول القسطموني (ت ٩٠١هـ)، ورسالة في الذكر الجهري وتجويزه، وجواز الدوران والرد على البزازية لحسين بن عبد الرحمن (ت ٩٢٦هـ)، ورسالة التحقيقية في جواز سماع ودوران الصوفية ليوسف سنبل سنان (ت ٩٣٦هـ).

على أن كثيراً من المتأخرين من المتصوفة توغلوا في نظرتهم إلى الموضوع فدلجوا إلى الحلول والوحدة، مثل الهروي في كتاب المقامات، ومحمد بن علي بن عربي (٥٦٠-٦٣٨هـ) في مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية، وابن سبعين (٦١٣-٦٦٩هـ) في كتاب بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف.

ولم يأت القرن الثامن إلا وقد زخرت الساحة الثقافية بكثرة ما كتب في موضوعات التصوف وتعددت توجهات المؤلفين الذين طرقوها. وقد لاحظ هذا ابن خلدون حين

قال: "وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط."[١٢].

ومما يلاحظ أن ثلاثة أقاليم هي فارس وتركيا والعراق استأثرت بخمسة وسبعين في المئة من مجمل ما ظهر في هذا الموضوع من أعمال، وقابل هذا عدم ظهور أي عمل في مصر. وربما يعود هذا إلى أن أصل التصوف وحقيقته ومشروعيته لم تكن من الموضوعات المختلف عليها فيها. ومن حيث التوزيع الزمني ظهر ما يقرب من خمسة وثلاثين في المئة من مجمل الإنتاج خلال القرن الرابع.

٨ - التطفيل والظرف

امتعض المسلمون من الثقلاء - بمن فيهم من الطفيليين- فرصدوا أخبارهم وألّفوا الكتب في ذمهم. ومما ظهر في هذا كتاب الطفيليين للجاحظ، وذم الثقلاء لمحمد ابن خلف ابن المرزبان (ت ٣٠٩هـ)، وكتاب أخبار الطفيليين لأبي الفرج الأصفهاني، وأخبار الثقلاء للحسن بن محمد الخلال (ت ٤٣٩هـ)، وكتاب الطفيليين للخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ)، وإتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء للسيوطي. وتُبرز هذه الأعمال إحساس المسلمين بثقل وطأة هؤلاء في وقت مبكر من تاريخهم.

وأفرد المؤلفون المسلمون الظرف والظرفاء بالتأليف. والأعمال التي ظهرت في هذا الموضوع إما أن تكون عامة، مثل كتاب الظُّرّاف لعلي بن داود (ت ح ١٩٠هـ)، وكتاب أخبار المتظرفات والمتظرفين لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب أخبار المتظرفات لمحمد بن أحمد الوشاء (ت ٣٢٥هـ)، وكتاب التحفة والظرف لمحمد بن النجار الكوفي (٣١٣-٤٠٠هـ)، ولطائف الظرفاء لأحمد بن محمد الدنيسري (ت ٧٩٤هـ)، وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لأحمد بن محمد بن عربشاه (٧٩١-٨٥٤هـ)؛ أو تُقصر على بلد بعينه، مثل كتاب أخبار ظرفاء المدينة لسليمان بن أيوب المدني (ت ح ٤٠٠هـ)؛ أو على شخص بذاته، مثل أخبار جحظة البرمكي لأبي الفرج الأصفهاني.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يزيد عن واحد وسبعين في المئة مما كتب عن التطفيل والظرف. واقتصر إسهام مصر على عملين أحدهما عن أخبار الثقلاء وثانيهما عن التطفيل والظرفاء. وربما يدعو جمع أخبار التطفيل وأخبار الظرفاء في كتاب واحد هو لطائف التطفيل والظرفاء لأحمد بن محمد الدنيسري إلى الظن بأن نظرة المجتمع المصري إلى الطفيليين كانت محفوفة بالتسامح. وعن التوزيع الزمني ظهر خلال القرن الثالث والقرن الرابع أكثر من نصف مجمل الإنتاج.

٩ - الجنس

تناول المؤلفون المسلمون الحياة الجنسية من جوانب عديدة يطبعها الجد. فظهرت في هذا الموضوع كتب عامة، مثل كتاب النكاح لعلي بن عبيدة الريحاني (ت ٢١٩هـ)، وعلي بن ميثم التمار (ت ح ٢٥٠هـ)، وكتاب نصير الطوسي. وتحدث في فقه النكاح محمد بن حسين الشهرستاني (١٢٥٨-١٣١٥هـ) في الدر النضيد في نكاح الإماء والعبيد، ومحمد بن عمر الغمري (٧٨٦-٨٤٩هـ) في العنوان في تحريم معاشرة الشبان والنسوان، وجلال الدين السيوطي في المستظرفة في أحكام دخول الحشفة، وكتاب تشنيف الأسماع بمسائل الجماع، ومحمد بن علي بن الزملكاني (٦٦٧-٧٢٧هـ) في كتاب المنهاج، ومحمود بن عابد الصرخدي (ت ٦٧٤هـ) في تشنيف الأسماع بأحكام الجماع، وعبد القادر ابن محمد الشاذلي (ت ح ٩٣٥هـ) في تشنيف الأسماع بشرح أحكام الجماع. وعرض لآدابه مؤلفون مثل محمد بن محمد الغزي (٩٠٤-٩٨٤هـ) في آداب النكاح.

وحظيت الناحية التاريخية بكتب كثيرة، مثل كتاب المناكح لهشام بن محمد الكلبي، والواقدي (١٣٠-٢٠٧هـ)، وعلي بن محمد المدائني، وكتاب أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن للهيثم بن عدي (١٣٠-٢٠٧هـ)،

وكتاب الجواري للجاحظ، وكتاب من جمع بين الأختين ومن تزوج ابنه امرأته ومن جمع أكثر من أربع ومن تزوج مجوسية لعلي بن محمد المدائني.

وأولوا عناية واضحة للناحية التعليمية فظهرت أعمال عديدة فيها، مثل الإيضاح في أسرار النكاح لعبد الرحمن ابن نصر الطبري (ت ٧٧٤هـ)، والمفاتحة والمناكحة لمحمد ابن عبيد الله المسبحي، ورجوع الشيخ إلى صباه لأحمد ابن يوسف التيفاشي (ت ٦٥١هـ)، وكتاب في أحوال النكاح لعمر بن محمد الهذلي (ت ٧١٠هـ)، ومباسم الملاح ومناسم الصباح في مواسم النكاح للسيوطي، ونزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب لسموأل بن يحيى المغربي (ت ٥٧٠هـ).

وتناولها كثير من أطبائهم بالبحث، مثل كل من حنين ابن إسحاق (ت ٢٦٠هـ)، وقسطا بن لوقا (ت ٣٠٠هـ) في كتاب الباه، ومحمد بن زكريا الرازي في الباه ومنافعه ومضاره، والزيادة في الباه، وكتاب الأبنة وعلاجها، وكتاب الباه، ويحيى بن عدي المنطقي (ت ح ٣٩٥هـ) في منافع الباه، ويحيى بن جرير التكريتي (ت ح ٤٧٢هـ) في كتاب في الباه ومنافع الجماع ومضاره، ومحمود بن عمر بن الرقيقة في موضحة الاشتباه، وأحمد بن يوسف التيفاشي في رسالة فيما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه فيما يضر وينفع.

وتناولها من ناحية فلسفية ثلاثة من مشاهير المؤلفين. فقد كتب حنين بن إسحاق أسرار الفلاسفة، وكتب محمد ابن زكريا الرازي كتاب اللذة، وكتب محمد بن علي بن عربي كتاب الباه إلى التوالد والتناسل.

أما فوائد النكاح فتحدث عنها مؤلفون كُثُر، فكتب فيها أحمد بن يوسف التيفاشي كتاب قادمة الجناح في النكاح، وكتب جلال الدين السيوطي كتاب شقائق الإترنج، وكتاب الوشاح في فوائد النكاح، ونزهة المتأمل ومرشد المتأهل في فضائل النكاح، ونواضر الأيك. كما كتب فيها عبد القادر بن محمد الشاذلي موائد الأفراح في فوائد النكاح. وكتب محمد بن أبي محمد البكري (ت ٩٥٢هـ) تجديد الأفراح بفضائل النكاح، وغير هؤلاء كثير.

وبحث في النكاح من الناحية اللغوية عدد من المؤلفين من بينهم العالمان الشهيران محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) الذي ألف كتاب أسماء النكاح وكتاب أسمار السراح في أسماء النكاح؛ وجلال الدين السيوطي الذي ألف كتاب الإفصاح في أسماء النكاح وكتاب ضوء الصباح في لغات النكاح.

وكان للشعر حضور في هذا الموضوع حيث نظم محمد بن محمد الغزي قصيدته المسماة فصل الخطاب لوصل الأحباب في اثني عشر ألف بيت. كما صاغ محمد ابن عبد الرحمن الحضرمي (ت ١٠١٩هـ) قصيدته المسماة منظومة في النكاح.

وظهر عدد من القصص تدور حول النكاح مثل كتاب برجان وحباحب، وكتاب خطاب المكاري لجارية البقال لمحمد بن حسان النملي (ت ح ٢٤٥هـ)، وكتاب ألفية وشلفية للحكيم الأزرق (ت ح ٤٢٠هـ)، إضافة إلى عدد كبير منها لا يعرف مؤلفوه، مثل كتاب الألفية الكبير، وكتاب الجواري الحبايب، وكتاب السراري الذهبيات، وكتاب عاشق الصورة، وكتاب عاشق الكف.

وظهرت بعض الكتب التي تعكس بعض التوجهات غير المألوفة، مثل كتاب البغاء ولذاته لعلي بن الشاه الظاهري (ت ٢٥٢هـ) وكتاب الوساطة بين الزناة واللاطة لعلي بن الحسين الطبيب (ت ٤٢٠هـ)، وكتاب تقعقع السن في نكاح الجن لحامد ابن علي العمادي (١١٠٣-١١٧١هـ)، كما ظهرت كتب كثيرة تتناول بعض مظاهر الشذوذ، مثل كتاب الخضخضة في جلد عميرة، وكتاب السحاقات والبغائين لأبي العنبس الصيمري، وكتاب البغاء، وكتاب السحق لمحمد بن حسان النملي. وأكدوا

على سوء اللواط وعاقبته في عدد كبير من الكتب، مثل مجلس الوعظ في التحذير من عمل قوم لوط لأحمد بن أبي بكر الحموي (ت ح ٨٤١هـ)، والحكم المضبوط في تحريم عمل قوم لوط لمحمد بن عمر الغمري، والتوعد بالرجم والسياط لفاعل اللواط ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي (ت ٨٨٠هـ)، وشمامة الحنوط في شآمة من يلوط لحامد بن يوسف الباندرمه وي (١١١١–١١٧٢هـ). ومما يستحق النظر أن نصف الكتب التي ظهرت عن آفة اللواط إنما ظهرت خلال القرن التاسع الهجري.

والمتأمل في أسماء كثير ممن كتب هذه الكتب والموضوعات التي طرقوها يخرج بانطباع مؤدّاه غير ما تواضع عليه كثير من الناظرين في هذا الموضوع في العصور المتأخرة. فقد كان الجد هو طابع التناول في معظم الأحوال، كما أن منظور التناول كان في حقيقته صدى لاهتمام المجتمع بهذا الأمر.

ويلاحظ في هذا الصدد استئثار بعض المؤلفين، مثل أحمد بن يوسف التيفاشي، وجلال الدين السيوطي، وعلي ابن محمد المدائني، ومحمد بن حسان النملي، ومحمد بن زكريا الرازي بأنصبة وافرة من التأليف في هذا المجال. بل إن أحدهم، وهو النملي، لا يعرف له مؤلَّف في غيره. كما يلاحظ أن أغلب من كتب فيه هم من العلماء الأعلام، مما يشير إلى مدى جدية نظرة المؤلفين المسلمين إليه.

وقد أسهم مؤلفو العراق ومصر والشام بثلثي ما ظهر في هذا الموضوع من مؤلفات . وفي الوقت الذي لا يمكن فيه تتبع مؤلف أكثر من التأليف في هذا الموضوع في الشام فإن العراق قد شهد عدداً من المؤلفين الذين أكثروا من التأليف فيه ، منهم علي بن محمد المدائني، ومحمد بن زكريا الرازي، ومحمد بن حسان النملي . كما ظهر في مصر جلال الدين السيوطي الذي أسهم بما يقرب من ثلثي إنتاج مصر في هذا الموضوع . وأسهم مؤلفون مجهولون بالكتابة في هذا الموضوع . والمتأمل في عناوين مؤلفاتهم التي تفصح عن محتوياتها قد يجد سبباً لبقائهم كذلك.

وقد ظهر خلال القرن الثالث أكثر من واحد وعشرين في المئة من مجمل الإنتاج، وتلاه القرن التاسع الذي ظهر خلاله ستة عشر في المئة من هذا الإنتاج.

١٠ – الحيوان والطير

أفاض المؤلفون المسلمون في الحديث عن الحيوانات، الوحشي منها والمستأنس. وقد عزا حاجي خليفة اهتمام المسلمين بهذا الموضوع إلى الرغبة في "التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء من مضارها والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها."(١٣).

فقد عرض كل من عبيد الله بن جبريل بن بختيشوع لخواصها في كتاب طبايع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها، ومحمد بن سعد الديباجي (٥١٧–٦٠٧هـ) في منافع أعضاء الحيوان، وعبد الرؤوف المناوي في غاية الإرشاد في معرفة الحيوان والنبات والجماد.

وتحدث عن الحيوان بصفة عامة كل من أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الحيوان، وعلي بن محمد المدائني في أخبار الحيوان، والجاحظ في كتاب الحيوان، ومحمد ابن موسى الدميري (٧٤٢–٨٠٨هـ) في حياة الحيوان الكبرى، وجلال الدين السيوطي في ديوان الحيوان. وتحدث عن أسمائه كل من محمد بن عيسى الكناني (١٠٧٤– ١١٥٣هـ) في زهر البان في نعوت الحيوان وعبد الرؤوف المناوي في قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان، وعرض لسان الدين بن الخطيب (٧١٣–٧٧٦هـ) لعلاجه.

وفيما يتعلق بالوحشي من الحيوان بصفة عامة فقد ظهرت فيه كتب كثيرة، مثل كتاب الوحوش لأبي زيد البصري، وسعدان بن المبارك الضرير النحوي (ت ح ٢٢٠هـ)، وسليمان بن محمد الحامض، وسهل بن محمد السجستاني، والأصمعي، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت.

وخصص عدد من المؤلفين كتبهم لنوعين من الوحوش؛ فقد كتب الحسن بن محمد الصغاني (٥٥٥-٦٥٠هـ) عن الأسد كتاب الأسد، وكتب الفيروزأبادي أنواء الغيث في أسماء الليث، وكتب جلال الدين السيوطي قطام الأسد في أسماء الأسد. وكتب عن الذئب أبو البركات الأنباري قبة الأديب في أسماء الذيب، وكتب الحسن بن محمد الصغاني كتاب الذئب، وكتب جلال الدين السيوطي كتاب التهذيب في أسماء الذيب. ومما يسترعي الانتباه هنا إفراد المسلمين هذين الحيوانين فقط من بين الحيوانات المتوحشة بالتأليف. وقد يعود هذا إلى ما للأسد من مكانة في حياة العرب الاجتماعية وأنه ملك الغاب، وإلى ما يحيط بالذئب من غموض وينفرد به من صفات. فهو الحيوان الوحيد الذي استعصى على الإنسان استئناسه على الرغم من معرفته به منذ فجر تاريخه، وهو الذي يمتاز عن كثير من غيره من الحيوانات بحفاظه على روابطه الأسرية، مثل البر بكباره، ورعاية صغاره رعاية قد تفوق الحد، وطريقته في اختيار إلفه والاقتصار عليه طيلة حياته.

وفيما يتعلق بالحيوان المستأنس أولى المؤلفون المسلمون عناية ظاهرة بالخيل فكتبوا فيها الكتابات العامة والكتابات التي تتناول موضوعات خاصة من موضوعاتها. فمن الكتابات العامة كتاب جر الذيل في علم الخيل للسيوطي، وكتاب الخيل الصغير لمحمد بن الحسن ابن دريد، وكتاب الخيل الكبير لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب الخيل لموسى بن سليمان الجوزجاني (ت ب ٢٠٠هـ)، وهشام بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكلثوم بن عمرو العتابي (ت ٢٢٠هـ)، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن عبد الله العتبي (ت ٢٢٨هـ)، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، ومحمد ابن حبيب البغدادي، وأبي محلم الشيباني، وعباس بن الفرج الرياشي (ت ٢٥٧هـ)، وابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ)، وعمر بن الحسن الأشناني (ت ح ٣٣٩هـ)، وسهيل بن أحمد النيسابوري (ت ٣٥٠هـ)، وكتاب منهاج الفكر لمحمد بن عبد الله بن الوراق (ت ٣٨١هـ).

وتحدثوا عن فضائلها في كتب كثيرة، مثل كتاب فضل الخيل لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ)، وفوائد النيل في فضائل الخيل لعلي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ)، وصف الجيل فيما ورد في اتخاذ الخيل لفيضي الكاشي (ت ١٠٩١هـ)، وسرور الفؤاد بالصافنات الجياد لمحمد بن إسماعيل العمري (ت ١٢٧٦هـ). وعرضوا لصفتها في أعمال مثل كتاب خلق الفرس للنضر بن شميل البصري، وخلق الفرس لقطرب (ت ٢٠٦هـ)، وكتاب خلق الفرس للأصمعي، وصفة الفرس لعلي بن عبيدة الريحاني، وكتاب صفة الخيل لمحمد بن زياد بن الأعرابي، وخلق الفرس لمحمد بن أحمد الوشاء، وكوكب المتأمل لمحمد بن أحمد الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)، وكتاب المقبول في حال الخيول لمحمد بن مصطفى قاضي زاده (ت ١٠٤٤هـ)، وسبب السبل في وصف الخيل لنور الدين القرافي.

كما بحثوا في أخبارها في كتب مثل أخبار الخيل لعلي بن محمد المدائني؛ وفي أسمائها في كتب مثل كتاب أسماء الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى؛ وفي أصولها في كتب مثل أصول الخيل والإبل الجيدة والردية؛ وفي أنسابها في كتب مثل كتاب نسب الخيل لمحمد بن زياد بن الأعرابي؛ وفي أجرها في كتب مثل كتاب الحلاب وأجر الخيل لمحمد ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)؛ وفي خصيها في كتب مثل كتاب خصي الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

واهتموا بالإبل فكتبوا فيها الكتب العامة، مثل كتاب الإبل ليزيد بن عبد الله الكلابي (ت ح ٢٠٠هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي، وأبي زيد البصري، ويعقوب ابن إسحاق بن السكيت، وسهل بن محمد السجستاني، والجاحظ، وعباس بن الفرج الرياشي. كما تحدث هشام

ابن السائب الكلبي عن أسنانها في كتاب أسنان الجزور، وتحدث أبو عبيدة معمر بن المثنى عن بكارها في كتاب البكرة، وتحدث محمد بن أحمد المفجع عن ما يركب منها في كتاب المطايا.

وتحدثوا عن الشاء والغنم في كتاب الشاة لأبي زيد البصري، والأصمعي، وكتاب الشاة والغنم للأصمعي، وكتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها للأخفش الأوسط (ت ٢٢١هـ)، وكتاب نعت الغنم لأبي زيد البصري.

وأفردت أعمال أخرى بعض أنواع الحيوانات بالحديث، مثل رسالة البرة في الهرة لعلي بن محمد القاري الهروي، وكتاب البغال للجاحظ، وكتاب القرود لعبد العزيز ابن يحيى الجلودي، وكتاب الكلاب لمحمد بن علي بن الخيمي (ت ٦٤٢هـ).

وكتبوا في الطير بصفة عامة، وفي الوحشي منه والمستأنس. فمن الكتب التي عرضت للطير بصفة عامة كتاب الطير لسهل بن محمد السجستاني وكتاب البيزرة للسان الدين بن الخطيب؛ ومن الكتب التي عرضت للطير المستأنس كتاب القصد التمام في أحكام الحمام لمحمد بن عبد العزيز بن جماعة، ورشف المدام في وصف الحمام لعلي بن العفيف النابلسي (٦٤٩-٧٣٧هـ)، وكتاب الحمام لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب أنساب الحمام لعلي بن حسن بن طرخان (آخر ق ٣هـ)، وكتاب ما قالته العرب في مخاطبة الحمام لابن ربيعة البصري، وكتاب الوديك في فضل الديك للسيوطي، وكتاب فضل الديك لعبد الكريم بن محمد السمعاني، والحافظ أبي نعيم الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ)، وكتاب الطاووس لعلي بن عبيدة الريحاني، وكتاب ما ورد في تفضيل الطير الهادي لعلي بن حسن بن طرخان، وكتاب البازي لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

وكتبوا كثيراً في الحشرات ذات النفع الظاهر وغيرها. ومن الكتب التي تناولت الحشرات بصفة عامة كتاب الحشرات ليعقوب بن إسحاق بن السكيت، وسهل بن محمد السجستاني. وأفردت بعض أنواع الحشرات بأعمال مستقلة؛ فقد ظهر عن النحل كتاب النحل والعسل للأصمعي، وسهل ابن محمد السجستاني، ورسالة في أنواع النحل وكرائمه ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب النحل وأجناسه لمحمد بن إسحق الأهوازي (آخر ق ٤هـ)، ورسالة ظرائف النحلة في لطائف النحلة لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي. وظهر عن الجراد كتاب الجراد لسهل بن محمد السجستاني، والأخفش الأصغر، ورسالة الجراد وما في شانه من الصلاح والفساد ليوسف بن محمد العبادي (ت ٧٧٦هـ).

وظهرت كتب ورسائل عديدة في الحشرات التي قد تكون لها منافع غير ظاهرة. فقد كتب ابن حجر العسقلاني عن البرغوث كتاب البسط المبثوث في خبر البرغوث، وظهر الطرثوث في فوائد البرغوث للسيوطي، وكتاب اليواغيث في خواص البراغيث. وكُتب عن الذباب كتاب الذباب للقاسم بن معن (ت ١٧٥هـ)، ومحمد بن زياد بن الأعرابي. وكُتب عن النمل والبعوض كتاب النمل والبعوض، وكتاب صفة النمل والبعوض لعلي بن عبيدة الريحاني؛ وعن القمل رسالة القمل والحكمة في خلقه لمحمد ابن محمد الإزنيقي (ت ٨٨٥هـ).

وتناول المؤلفون المسلمون نوعين من الهوام هما العقارب والحيات. فعن العقارب ظهر كتاب العقارب لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وبلوغ المآرب في أخبار العقارب للسيوطي؛ وعن الحيات ظهر كتاب الحيات لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وعبد العزيز بن يحيى الجلودي.

وفي طب الحيوان والطير ظهرت أعمال مثل رسالة في عضة الكلب الكلِب ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب في تشريح بعض الطيور لثابت بن قرة الحراني (٢١١-٢٨٨هـ). كما ظهرت أعمال أخرى في معاملتها، مثل كتاب تحرير

الجواب عن مسألة ضرب الدواب لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، وفصل الخطاب في قتل الكلاب للسيوطي.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يقرب من ثلثي ما ظهر في هذا الموضوع. وربما يعود هذا جزئياً إلى كثرة إسهامات عدد من علمائها، مثل أبي زيد البصري، والأصمعي، والجاحظ، وسهل بن محمد السجستاني، وعلي بن عبيدة الريحاني، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت. ومما يسترعي النظر أن أغلب مؤلفي العراق تناولوا الحيوانات والطير من ناحية لغوية، بينما تناولها مؤلفو مصر من ناحية موضوعية، وتناولها مؤلفو بلاد العرب من ناحية فقهية. وفيما يتعلق بالتوزيع الزمني ظهر خلال القرن الثاني الهجري ما يقرب من ثلث مجمل الإنتاج.

١١- خلق الإنسان

ظهرت أعمال تناول بعضها الإنسان في مراحل عمره المختلفة، وخصّ بعضها الآخر إحدى هذه المراحل. ومن الأعمال التي تناولت مراحل عمر الإنسان كتاب خلق الإنسان ليزيد بن عبد الله الكلابي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وقطرب، والأصمعي، وأبي محلم الشيباني، ومحمد ابن عثمان بن مسبح (ت ٣١١هـ)، ومحمد بن أحمد الوشاء، ومحمد بن أحمد بن بابويه (ت ٣٨١هـ). ومن الأعمال التي تناولت إحدى هذه المراحل كتاب الشباب لمحمد بن عمران المرزباني (٢٨٧-٣٨٤هـ)، وكتاب الشيب لمحمد بن أحمد التوقاتي، وكتاب الشيب والخضاب لعبد الرحمن بن سعيد.

وظهرت مؤلفات في القيافة والفراسة الخَلقية - وهي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن[١٤]-، مثل كتاب التنقيح في علم القيافة للشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ)، وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ)، ودرج السياسة في علم الفراسة ليوسف بن عمر بن رسول (ت ٦٩٥هـ)، والسياسة في علم الفراسة لمحمد بن أبي طالب شيخ الربوة، وسلم الحداسة في علم الفراسة لعلي بن محمد بن الدريهم (ت ٧٦٢هـ).

ويسترعي الانتباه في هذا السياق إيلاء الفراسة هذا القدر من الاهتمام. ولعل السبب في ذلك يعود إلى احتفاء العرب بها قبل الإسلام، ثم ما فهمه بعض المفسرين من إشارات إليها وردت في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ ، حيث فسر البيضاوي "المتوسمين" بالمتفكرين المتفرسين[١٥]، وفسرها القشيري بأنهم العارفون بالعلامات التي يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه[١٦].

وقد أسهم العراق منفرداً بما يقرب من نصف الإنتاج في هذا الموضوع. وكانت جميع المؤلفات التي ظهرت فيها عن خلق الإنسان بصفة عامة، فيما عدا كتاباً واحداً قصر على مرحلة الشباب. وظهر في القرن الثالث الهجري أكثر من ثمانية وثلاثين في المئة من مجمل الإنتاج.

١٢- الذكاء والغفلة والجد والهزل

استأثر موضوع الذكاء والتغفيل والأذكياء والمغفلين بتسعة عشر عملاً كان اثنان منها لكل من ابن الجوزي، وعلي بن محمد المدائني، والكتنجي (ت ح ٢٧٥هـ). وممن ألف في هذا الموضوع أيضاً أبو العبر محمد بن أحمد الهاشمي (ت ٢٥٠هـ)، وأحمد بن محمد الحجازي (٨١٠-٨٧٥هـ)، ومحمد بن عمران المرزباني. ومما يلاحظ هنا ظهور طائفة من الأعمال مجهولة المؤلف أفرد كل منها لنوادر شخصية من الشخصيات التي اشتهرت بالذكاء أو الغفلة، مثل أبي ضمضم، وسرة الأعرابي، وأبي علقمة.

وكان للهزل نصيب من كتابات المؤلفين المسلمين بدأها الجاحظ بكتابه المزاح والجد. ثم أعقبه كتاب المزاح والمعاتبات لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب الفكاهة والدعابة لمحمد بن أحمد الحكيمي (ت ٣٣٦هـ)، وكتاب

الدعابة والمزاح لأحمد بن محمد البرقي، والفاشوش في أحكام قراقوش لأسعد بن مهذب بن مماتي (ت ٦٠٦هـ)، والمساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة لإبراهيم بن عبد الله بن الحاج (٧١٣-٧٦٩هـ)، وكتاب قرة الناظر ونزهة الخاطر، وكتاب نزهة النفوس في مضحك العبوس لعلي بن سودون (ت ٨٦٨هـ)، والمراح في المزاح لمحمد بن محمد الغزي (٩٠٤-٩٨٤هـ)، وهز القحوف بشرح قصيدة أبي شادوف ليوسف بن محمد الشربيني (ت أوائل ق ١٢).

وقد أسهم المؤلفون العراقيون بنصيب وافر من الكتابة في هذا الموضوع زاد على ثلث مجمل الإنتاج. ومما يستحق الملاحظة في هذا السياق تدني مقدار ما أسهمت به مصر من ناحية عددية، وهذا كان من غير المتوقع. واستأثر القرن الثالث والقرن التاسع بما يقرب من ثلث مجمل الإنتاج. وكان ما يقرب من ثلث الإنتاج في هذا الموضوع لمؤلفين مجهولين. وقد ظهر هذا في صورة نوادر عن شخصيات وسمت بالغفلة أو التظاهر بها.

١٣- الشعر والأدب

خص المؤلفون المسلمون في هذا المجال فئات من الشعر والأدب بالتأليف، إما لغرابة موضوعها، أو غرابة الظروف التي ظهرت فيها، أو غرابة من عزيت إليه. فقد اهتموا بالأجوبة البليغة فظهر فيها كتاب الأجوبة المسكتة لمحمد بن مسعود العياشي، وكتاب الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة لأبي حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، وكتاب الجوابات المسكتة لإبراهيم بن أبي عون (ت ٣٢٣هـ)، وأبي العنبس الصيمري، وإبراهيم بن أحمد الأنباري (ت ٣٢٢هـ).

وفي مجال الشعر ظهر كتاب الأبيات التي جوابها كلام لعلي بن محمد المدائني، وكتاب أشعار الجن، وكتاب أشعار الخلفاء، وكتاب أشعار النساء لمحمد بن عمران المرزباني، وكتاب أشعار الإماء والمماليك، وكتاب الإماء الشواعر لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن لمحمد بن عبد الله العتبي، وكتاب سرقات الشعراء لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب مكاتبات الأخوان بالشعر لعبد الله بن المعتز، والنساء وما جاء فيهن من الخير والمحاسن وما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن لهارون بن علي المنجم (ت ٢٨٨هـ)، ونهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما يوجد على القبور من الأشعار لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، وتنبيه الأخيار على ما قيل في المنام من الأشعار.

وظهرت بعض المؤلفات عما قاله العرب في الحنين إلى الأوطان وما نظموه من الأشعار في ذلك. ومن هذه كتاب الشوق إلى الوطن لسهل بن محمد السجستاني، وكتاب الحنين إلى الأوطان لمحمد بن سهل بن المرزبان (بعد ٣٠٠هـ)، وكتاب الحنين إلى الأوطان لمحمد بن أحمد الوشاء. ومما يسترعي النظر هنا ظهور كتاب حنين الإبل إلى الأوطان الذي ألفه ربيعة البصري.

وقد أسهم المؤلفون العراقيون بأكثر من ثلثي ما ظهر في هذا الموضوع. وربما يعود هذا في جزء منه إلى كثرة مؤلفات بعضهم، مثل أبي الفرج الأصفهاني، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن عمران المرزباني. ولوحظ عدم إسهام المؤلفين المصريين بشيء في هذا الموضوع، وهو مما يثير التساؤل. واستأثر القرن الثالث بما يقرب من ثلث مجمل الإنتاج.

١٤- الطب والأمراض والمرضى

كتب المسلمون في نواحي الطب المختلفة وحفظ الصحة. وليس من المستغرب إكثارهم في ذلك إذ إن الفائدة منه ظاهرة. وقد أكد على هذا الإمام الشافعي فيما نقله عنه الزرنوجي من أن العلم علمان، علم الفقه للأديان وعلم الطب للأبدان، "وما عدا ذلك بُلغة مجلس."[١٧].

وقد ظهر في مجال التشريح كتب كثيرة منها كتاب

تشريح الرحم لثابت بن قرة الحراني. وظهر في علم وظائف الأعضاء كتاب منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان لحماد بن عيسى الجهني (ت ٢٠٨هـ).

وكانوا على وعي باحتمال وقوع الأخطاء الطبية كما ظهر ذلك بجلاء في كتاب في الأسباب المميلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم لمحمد بن زكريا الرازي، وكتاب ورطة الأجلاء من هفوة الأطباء لحسن بن أحمد الطبيب.

وقد وضعوا في الطب الوقائي كتباً كثيرة، مثل كتاب دفع مضار الأغذية، وكتاب في أن الحمية المفرطة تضر بالأبدان لمحمد بن زكريا الرازي، وكتاب مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء لمحمد بن أحمد التميمي (ت ح ٣٧٠هـ)، ونصيحة الأحباب عن أكل التراب لإبراهيم بن محمد القبيباني، وكتاب ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون لمرعي بن يوسف الكرمي، وخلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون لمحمد بن فتح الله البيلوني (ت ١٠٤٢هـ).

وفي مجال الإسعاف الأولي ظهر كتاب من لا يحضره طبيب لمحمد بن زكريا الرازي، وغنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب لمحمد بن إبراهيم بن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)، ومغني اللبيب حيث لا يوجد الطبيب لإبراهيم بن محمد بن المعتمد (٨٤٣-٩٠٢هـ).

أما الطب العلاجي فقد ظهرت فيه كتب كثيرة، مثل كتاب الأكلة لعلي بن محمد المدائني، ورسالة في عضة الكلب الكلِب ليعقوب بن إسحاق الكندي، ومقالة في النمش والكلف لأبي معشر السرخسي، والمعلومة - وهي رجز في العلاج من الرأس إلى القدم - للسان الدين بن الخطيب، والدواء المكترب لعضة الكلب الكلِب ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي. وتحدث المؤلفون المسلمون عن أحوال من أصابهم مرض جسماني أو مرض نفساني في كثير من الكتب. فمن الأعمال التي تناولت أنواع المرضى الجسمانيين المختلفة كتاب تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان لخليفة بن هبيرة الشيباني، وجعفر بن محمد الفيريابي. وعرضت لأخبار العرجى كتب تحمل هذا الاسم للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، وأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ)، ومحمد بن خلف بن المرزبان. وتحدثت عن العميان كتب مثل نكت الهميان في نكت العميان لخليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦-٧٤٦هـ)، وفرحة الأنفس من فضلاء العمي من أهل الأندلس لمحمد بن غالب البلنسي (ت ٧٦٧هـ).

أما المرضى النفسانيين فظهرت عنهم كتب مثل أخبار عقلاء المجانين لمحمد بن زيد بن أبي الأزهر (ت ٣٢٥هـ)، وعقلاء المجانين لمحمد بن الحسن بن المقسم (٢٦٥-٣٥٢هـ)، وكتاب مجانين الأدباء لأحمد بن محمد الحلواني (ت ٢٩٠هـ)، وكتاب المجانين لعلي بن محمد بن المصري (ت ١١٢٧هـ)، وكتاب تبصرة المنيب بأحوال المجاذيب لمحمد بن أحمد مشحم الكبير (١١٨١هـ)، وأخبار عقلاء المجانين لعلي بن محمد بن عبدوس.

وكان وباء الطاعون الذي حل ببلدان كثيرة من العالم الإسلامي في فترات متعددة موضوعاً لمؤلفات تناولته من جوانب مختلفة. فقد حاول بعض المؤلفين معرفة حقيقة هذا الوباء في كتب مثل كتاب الطاعون لابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، ومنحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين لعبد الرؤوف المناوي، ورفع الظنون عن حقيقة الطاعون لنوح بن مصطفى القونوي (ت ١٠٧٠هـ). وتتبع آخرون أخباره في كتب مثل غرس الآثار وثمار الأخبار في روائع فنون المنون في الوباء والطاعون ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي، وتحقيق الظنون بأخبار الطاعون لمرعي بن يوسف الكرمي. وتناولت كتب أخرى أحكامه، مثل تحفة النجباء بأحكام الطاعون والوباء لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، وعمدة الراوين في أحكام الطواعين لمحمد

الحطاب الرعيني (٩٠٢-٩٥٤هـ).

وظهرت كتب عديدة تصف سبل الوقاية منه أو علاجه، مثل عمدة الأدباء لدفع الطاعون والوباء لمحمد بن أحمد المدني (ت ب ٩٠٤هـ)، وما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون لمرعي بن يوسف الكرمي، وخلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون لمحمد ابن فتح الله البيلوني، وسر الساعون [كذا] في دفع الطاعون لمصطفى بن علي البكري (ت ١٠٩٩هـ)، وجهاز المعجون في الخلاص من الطاعون لمستقيم زاده سليمان.

على أنها ظهرت كتب أخرى عكست نوعاً من التلقي السلبي لهذا الوباء، مثل بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني، وتسلية الواجم في الطاعون الهاجم لعبد الرحمن بن تقي الدين الصالحي. ومما يسترعي الانتباه في هذا السياق تأخر التأليف في هذا الموضوع على الرغم من معرفة المسلمين بهذه الآفة في وقت مبكر من تاريخهم.

وقد استأثر مؤلفو العراق ومؤلفو الشام بأغلبية ما ظهر في هذا الموضوع من أعمال. وكان أكثر الأعمال التي ظهرت في العراق حول التشريح والطب العلاجي. وربما يكون من بين أسباب ذلك إكثار محمد بن زكريا الرازي في العراق من الكتابة فيه، وكذلك إسهامات مرعي بن يوسف الكرمي، ويوسف بن الحسن بن عبد الهادي في الشام. وأسهم مؤلفو الشام بأكثر مما أسهم به غيرهم من الكتابات حول الطاعون حيث ظهرت لهم تسعة أعمال في هذا الموضوع. وقد ظهر معظم هذه الأعمال في القرن التاسع والقرن الحادي عشر. وربما يكون السبب وقوع الطاعون الشهير في الشام ومصر وفارس والمغرب سنة ٨١٨هـ، وفي الشام ومصر سنة ٨٢٦هـ، وفي الشام ومصر في سنة ٨٣٣هـ، ووقوع الوباء العام في سنة ٨٣٨هـ، وفي الشام ومصر سنة ٨٤١هـ، ووقوع الطاعون العظيم في الشام سنة ٨٦٤هـ، ووقوع الطاعون العام في سنة ٨٩٧هـ[١٨]، ووقوع الطاعون في مصر في سنة ١٠٠٧هـ، وفي تركيا في سنة ١٠٢٠هـ، وفي مصر في سنة ١٠٢٨هـ، وسنة ١٠٣١هـ، وسنة ١٠٣٥، وسنة ١٠٥٠هـ[١٩].

١٥- طقوس الجاهلية

أفرد المؤلفون المسلمون بعضاً من أمور الجاهلية بالتأليف. فقد ظهر عن الأصنام كتاب الأصنام لهشام بن السائب الكلبي، والجاحظ؛ وعن الميسر والقداح كتاب القداح لهشام بن السائب الكلبي، وكتاب الميسر والقداح للأصمعي، وابن قتيبة الدينوري. وفي العيافة والفأل ظهر كتاب العيافة والزجر والفال لعلي بن محمد المدائني، وكتاب الفال الفلكي ليعقوب بن إسحاق الكندي.

واستأثر السحر بكثير من المؤلفات، مثل كتاب الكهان لهشام بن السائب الكلبي، والجمهرة في علم السحر لمحمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٢هـ)، وكتاب المخرقة للكنجي، وهواتف الجنان وعجيب ما يحكى عن الكهان لمحمد بن جعفر الخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، وغاية الحكيم في السحر لمسلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٥هـ)، والعجائب الطبيعية والغرائب الصناعية لأبي الريحان البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ)، والسر المكتوم في الطلسمات لأحمد ابن علي النامقي (ت ٥٣٦هـ)، وخلاصة الخواطر وبغية الناشد ومطلب القاصد لمحمد الحثيثي اليمني، وكتاب الشعبذة لعبيد الكيس، وكتاب العجائب والغرائب لمحمد بن قاضي منياس، وكتاب العماء لخلف بن يوسف الدستميساني، وكتاب البساتين لاستخدام أرواح الجن والشياطين.

ومما يستوقف الناظر هنا كثرة ما أُلف في هذا الموضوع على الرغم مما يُعرف من الدين بالضرورة من تشديد النهي عنه. وقد يكون لتعليل ابن الأكفاني من أن منفعته "أن يُعلم ليُحذر لا ليُعمل به"[٢٠] مما له وجاهته في طرق هذا الموضوع.

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر مما أسهم به جميع المؤلفين الآخرين في هذا الموضوع. وكان للجاحظ، والأصمعي، وهشام بن السائب الكلبي أثر ظاهر في هذا. واستأثر القرن الثاني والقرن الثالث بأكثر من نصف مجمل الإنتاج.

١٦- العادات والتقاليد والسلوك

كتب المؤلفون العرب كثيراً من الكتب والرسائل في المقبول والمردود من أنماط السلوك المختلفة. وكانت نظرتهم إلى السلوك يحفها الجد، لذا لم يكن من المستغرب أن يعد التهانوي علم السلوك أحد العلوم الشرعية[٢١].

ومن الأعمال ذات الصفة العامة كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ومرضيها، وكتاب مساوئ الأخلاق، لمحمد بن جعفر الخرائطي، وكتاب أخلاق الكرام وأخلاق اللئام، وكتاب مكارم الأخلاق لطيب الأعراق لسليمان بن بنين الدقيقي (ت ٦١٤هـ) ـ وهو متخصص في الكتابة في الأخلاق ـ، والاتضاع في حسن المعاشرة والطباع لمحمد بن الحسن الديري (ت ٩١٤هـ)، ومعائب الأراذل لمصطفى عالي الرومي (ت ١٠٠٨هـ)، وجامع الفضائل وقامع الرذائل في الأخلاق والسلوك لمحمود بن فضل الله الهدائي (ت ١٠٣٨هـ)، والكشف والبيان عن أوصاف خصال أشرار أهل هذا الزمان لمحمد بن أحمد ابن النجار (ت ١١٦٣هـ)، وتحذير الرفاق من مساوي الأخلاق لمحمد بن أحمد مشحم الكبير.

وكتبوا في المقبول من السلوك حين الأكل والشرب، مثل كتاب ما يقدم من الفواكه والأغذية وما يؤخر لمحمد بن زكريا الرازي، وكتاب المديح في الولائم والدعوات والشراب لمحمد بن عمران المرزباني، وكتاب الطعام والآداب لمحمد ابن عبيد الله المسبحي، وآداب الطعام لشهاب الدين الأقفهسي (ت ٨٠٨هـ)، وآداب الأكل والشرب لأبي بكر بن محمد الحصني (ت ٨٣٩هـ)، ومفتاح القرب لنظم آداب الأكل والشرب لمحمد بن عبد الرحيم الصمدي.

وتناولوا أدب الإهداء في كتب مثل كتاب الهدايا لأحمد بن أبي طاهر طيفور، ومحمد بن عمران المرزباني، وكتاب الهدايا والسنة فيها لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، وكتاب التحايا والهدايا، وكتاب التحف والهدايا لعبد الكريم بن محمد السمعاني، وهدايا الأحباب وتحف الأخوان والأصحاب، وهو عمل كبير في عشرة أجزاء، ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي.

وفي الصحبة والمجالسة ظهر كتاب أدب الجليس لأبي العباس المبرد (٢١٠-٢٨٥هـ)، وكتاب الصديق والصداقة لأبي حيان التوحيدي، وأدب الصحبة لمحمد بن الحسين السلمي، واختيار الجليس والصاحب للقاسم بن إبراهيم بن الصابوني (٣٨٣-٤٤٦هـ)، والصدق في الصداقة لعبد الكريم بن محمد السمعاني. وفي عيادة المريض ظهرت كتب أدب المريض والعائد لعمر بن محمد البسطامي (ت ٥٦٢هـ)، وعبد الرحمن بن علي الأنطاكي (ت ٨٥٨هـ)، وفي أدب التعزية كتاب آداب التعازي لمحمد ابن الحسين السلمي، وكتاب التعازي لعلي بن محمد المدائني، وأبي العباس المبرد. وفي الصبر ظهر كتاب الصبر والسكن لابن قيم الجوزية، وكتاب نور الفخر في فضل الصبر لمحمد بن عثمان اللؤلؤي (ت ٨٦٧هـ). وعن العمل ظهر كتاب قمع الحرص والأمل والحث على العمل لحماد بن الوليد الكلاعي (ح ٤٤٧هـ)، ورسالة في السعي والبطالة لأحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ). وفي الكسل كتاب التواضع والخمول لعبد الله بن أبي الدنيا (٢٠٨-٢٨١هـ)، وكتاب الخمول والتواضع للقاسم ابن إبراهيم بن الصابوني. وفيما يتعلق بالحقوق كتبوا عن حقوق الجار كتاب الجيران لعلي بن محمد المدائني، وكتاب الإيثار بنبذة من حقوق الجار لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي. كما كتب محمود بن عمر الزمخشري

(٤٦٧-٥٣٨هـ) كتاب نصائح الصغار وكتاب نصائح الكبار، وألّف كتاب أسنى المقاصد في معرفة حقوق الولد على الوالد.

كما ظهرت كتب عن استقبال الناس منها كتاب الهشاشة والبشاشة لُغدة الأصبهاني (ت ح ٣١٠هـ)، وكتاب المساواة والمصافحة لعبد الكريم بن محمد السمعاني، والأحاديث الصالحة في المصافحة لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، وكتاب بذل المناصحة في فضل المصافحة لأحمد بن علي السوسي (ت ١٠٤٦هـ)، وسرعة الجواب ومداعبة الأحباب للحسن بن جعفر بن المتوكل (٤٧٧-٥٥٤هـ)، والمساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة لإبراهيم بن عبد الله بن الحاج.

ومن المؤلفات التي ظهرت في الحث على النظافة كتاب الحث على غسل اليد لعبد الكريم بن محمد السمعاني، وكتاب الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر للسيوطي.

وكتبوا في الوفاء بالوعد كتاب إيجاز الحامد في إنجاز المواعد لسليمان بن بنين الدقيقي، وكتاب التماس السعد في الوفاء بالوعد لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي.

كما كتبوا كثيراً في آداب السلوك، مثل كتاب آداب المسجد والجامع لمحمد رائف الرومي (ت ١٣٠٩هـ)، والأسوس في كيفية الجلوس للقاسم بن قطلوبغا (٨٠٢-٨٧٩هـ)، والمنهل في آداب المنزل لمحمد بن أحمد مشحم الكبير، وما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة للسيوطي، وكتاب أدب السماع لأبي الفرج الأصفهاني.

وإضافة إلى هذه كتبوا في أنماط أخرى من السلوك، مثل كتاب معاشرة الأهلين لمحمد بن أحمد التوقاتي، ورسالة الرد على القائل بوجوب التحية لمحمد بن علي الشوكاني، وكتاب التهاني، وكتاب التسليم والزيارة لمحمد ابن عمران المرزباني، وأدب الجدل لأبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ)، وبلوغ الوطر من آداب السفر لمحمد بن أحمد مشحم الكبير، وتقديم الخفان إلى الضيفان لعبد الكريم بن محمد السمعاني، وضوء المصباح في الحث على السماح لعمر بن أحمد بن العديم، وبذل الاستطاعة في الكرم والشجاعة لسليمان بن بنين الدقيقي، واحترام الخبز وشكر النعمة عليه وعدم إهانته بنحو دوسه بقدميه لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ). كما كتب كل من الهيثم بن عدي الكوفي، وعلي بن محمد المدائني كتاب النكد.

وظهرت كتب يعكس كل منها نظرة سلبية إلى الحياة، مثل كتاب نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان لمحمد بن جبير الكناني (٥٤٠-٦١٤هـ)، وذخيرة العقبى في ذم الدنيا لمحمد بن مير عبد الباقي (ت ٩٩٥هـ)، وذم الدنيا لفخر الدين الرازي، وحُسن السمت في الصمت للسيوطي، وكتاب العزلة لعبيد الله بن أحمد الفزاري (ت ٣٥٨هـ)، ورسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت للحسن ابن أحمد بن البناء، ومزاليق العزلة لعمر بن محمد البسطامي، وفصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخبزة لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي. ولعل ما ظهر من أعمال تحث على العزلة إنما كانت ردة فعل على انتقال بعض المجتمعات من بساطة الإسلام الأولى إلى تعقد أنماط الحياة بعد تعدد مكونات هذه المجتمعات، وكانت صدى لنظرة بعض أفراد المجتمع المشهورين الذين آثروا العزلة، مثل سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل ابن عياض، وبشر الحافي [٢٢].

واهتم المؤلفون المسلمون بشأن العادات والمناسبات. ففي الإهداء ظهر كتاب التحايا والهدايا، وكتاب التحف والهدايا لعبد الكريم بن محمد السمعاني، وكتاب الهدايا للجاحظ. وظهر كتاب الولائم لعلي بن محمد المدائني. وعن المناسبات ظهر كتاب الأعياد والنواريز لعلي بن مهدي الكسروي (ت ح ٣٣٠هـ)، وكتاب النيروز والمهرجان لعلي

ابن هرون بن أبي منصور (٢٧٧-٣٥٢هـ)، ورسالة النوروز لمحمد بن الحسن القزويني (ت ١٠٩٦هـ).

ويبدو أن الذهاب إلى الحمام كان من العادات السائدة في المجتمع الإسلامي، ذلك أن المؤلفين المسلمين كتبوا عن الحمام كتباً كثيرة. وكان من هذه الكتب ما هو عام كتبه من اشتهر بالطب، ومن الأمثلة على هذه كتاب الحمام ليحيى بن ماسويه (ت ٢٣٤هـ)، وحنين بن إسحاق، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وعلي بن الحسن بن فضال (آخر ق ٣هـ). كما بحث محمد بن علي بن طولون الدمشقي في أحكام الحمام في كتاب رفع اللثام عن أحكام الحمام، وبحثها عبد الرؤوف المناوي في كتاب النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية. وناقش مؤلفون آخرون أنماطاً من السلوك في الحمام، مثل إبراهيم بن إسحاق الحربي في كتاب الحمام وآدابه، وأحمد بن عماد الأقفهسي (ت ٨٠٨هـ) في القول التام في آداب دخول الحمام، وكل من محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٠٥هـ)، وعبد الكريم ابن محمد السمعاني في دخول الحمام. كما تحدثوا عن بعض طرق الاستحمام ومتطلباته في كتب مثل رسالة في تمريخ الحمام ليعقوب بن إسحاق الكندي، وعقود الكمام في متعلقات الحمام لعمر بن علي بن الملقن (ت ٨٠٤هـ).

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر مما أسهم به مؤلفو أي بلد آخر في هذا المجال. وظهر في القرن الرابع أكثر مما ظهر في غيره من القرون في هذا الموضوع. ومما يلاحظ في هذا السياق تركيز ما أسهم به مؤلفو فارس على الآداب المرعية، مثل أدب المريض والعائد ومعاشرة الأهلين وآداب التعازي وأدب الصحبة.

١٧- العجائب

أفرد المسلمون العجائب والغرائب بالتأليف في كثير من الكتب. وقد عنت بعض هذه الكتب بالعجائب والغرائب بصفة عامة. ومن أمثلة هذه كتاب عجائب الدنيا لعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٦٤هـ)، وكتاب العجايب لأحمد بن محمد البرقي، وكتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه (ت ٥٩٦هـ)، وتائية في صفة الأرض وما احتوت عليه لإبراهيم بن محمد بن زقاعة (ت ٨١٦هـ)، وهي قصيدة في خمسة آلاف بيت، وعجائب الغرائب وغرائب العجائب لحمزة بن علي الناشري (ت ٩٢٠هـ).

واهتم بعضها بعجائب الجغرافيا، مثل رسالة في العلة التي لها يكون بعض المواضع لا تكاد تمطر ليعقوب ابن إسحاق الكندي، وكتاب في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحر مالحة لثابت بن قرة الحراني، وأنوار علوم الأعلام في الكشف عن أسرار الأهرام لمحمد بن عبد العزيز الإدريسي (٥٦٨-٦٤٥هـ)، وكشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي، وتحصين المنازل من هول الزلازل لعلي بن محمد الجزار (ت ٩٨٤هـ).

وعرض بعضها لعجائب المخلوقات وغرائبها، ومن هذه كتاب عجائب البحر لعبد الله بن عمرو بن الكواء (ت نهاية ق ٢هـ)، وعلي بن الشاه الظاهري، وأبي العنبس الصيمري؛ وكتاب العلة في خلق السباع والهوام لمحمد بن زكريا الرازي، ومقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهي الشباب لسلامة بن مبارك بن رحمون، ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر لمحمد بن أبي طالب شيخ الربوة.

وقد أسهم مؤلفو العراق ومؤلفو مصر بغالبية الإنتاج في هذا الموضوع. وظهر منه في القرن الثالث أكثر مما ظهر في غيره من القرون. وكان معظم ما ظهر في هذا القرن حول عجائب الأرض من بر وبحر.

١٨- الفقه

طرق المؤلفون المسلمون أبواباً واسعة من الفقه مما يدل على استيعابهم لقضايا عصورهم المختلفة التي عاشوها. وكان تناولهم لبعض هذه القضايا مما يصنف تحت فقه النوازل.

فقد ظهرت كتب تبحث في مسائل ما يعقب الحياة الدنيا، مثل كتاب حصول البغية لسائل هل لأحد في الجنة لحية لإبراهيم بن محمد الناجي (ت ٩٠٠هـ)، والدرر الفاخرة في ذكر من له لحية في الآخرة لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، وكشف النقاب في حياة الأنبياء إذا تواروا في التراب لمحمد الواعظ القلقشندي، وحال الأرواح وأحوال الموتى لمحمود بن فضل الله الهدائي، وإسباغ المنة في أنهار الجنة لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ورسالة في حياة الأنبياء في قبورهم لأحمد بن الحسن الجوهري (١٠٩٦-١١٨٢هـ)، وكتاب وبل الغمامة في تفسير ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ لمحمد بن علي الشوكاني. ومما يلاحظ في هذا السياق أن مثل هذه الأعمال تأخرت في الظهور إلى نهاية القرن التاسع الهجري.

وعرضت كتب لبعض العبادات، مثل كتاب ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام لهشام بن محمد الكلبي، وتحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام لمحمد بن طلحة الحفار (٥٨٢-٦٥٢هـ)، وعواطف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة لمحب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ).

وظهرت كتب تبحث في هيئة الإنسان وموقف الفقهاء منها، مثل كشف الغمامة عن أحكام العمامة لمحمد بن علي ابن طولون الدمشقي، وتحفة الأمة بأحكام العمة لمحمد بن أحمد بن الإمام (ت ١٠٦٢هـ)، ونفي الريب فيما ورد من ندب الاكتحال وكراهة نتف الشيب لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي، والقدر المسنون في اللحى لأمير زاده الآيديني (ت ١٢٠٤هـ)، والقول المحرر في لبس المعصفر وسائر أنواع الأحمر لمحمد بن علي الشوكاني، وأحكام المذاهب في أطوار اللحى والشوارب لمحمد حقي بن علي النازللي (ت ١٣٠١هـ)، والحلية في خضاب اللحية لمصطفى بن محمد الواعظ البغدادي (ت ١٣٣١هـ). وهذه أيضا تأخرت في الظهور إلى منتصف القرن العاشر الهجري.

وكان ما يتناوله بعض الناس مجالاً خصباً للبحث. فقد عرضت بعض الكتب القول في بعض اللحوم، مثل كتاب تطييب النفوس في حكم المقادم والرؤوس لعبد الغني ابن إسماعيل النابلسي، وفتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص لمحمود بن حمزة الدمشقي (١٢٣٤-١٣٠٥هـ).

وتضمنت كتب أخرى آراء مؤلفيها في الخمر والدخان والمخدرات، مثل كتاب الارتياع في تحريم الفُقّاع لمحمد بن أحمد بن الجنيد، وتحريم الفقاع لمحمد بن أحمد بن بابويه، ورسالة في إباحة الخمر للمظفر بن أردشير العبادي (٤٩١-٥٤٧هـ)، وغاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان لعلي بن محمد الأجهوري (٩٦٧-١٠٦٦هـ)، والصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وزهر العريش في تحريم الحشيش لمحمد بن سليمان بن أبي الربيع (ت ٦٧٢هـ)، وظل العريش في منع حل البنج والحشيش لمحمد بن إبراهيم بن الحنبلي (٩٠٨-٩٧١هـ)، والجواب المحرر لأحكام المنشط والمخدر لعبد الرحمن بن زياد اليمني (ت٩٧٥هـ).

وناقشت أعمال أخرى ما قيل في بعض وسائل اللهو، مثل كتاب تحريم الشطرنج لمحمد بن علي بن الفخار (ت ٧٥٤هـ)، ورسالة في حكم اللعب بالنرد والشطرنج لمصطفى بن زكريا القرماني (ت ٧٠٩هـ)، ورياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار لمرعي بن يوسف الكرمي، والسيف اليماني لمن قال في حل سماع الآلات والأغاني لمصطفى بن رمضان البولاقي (ت ١٢٦٢هـ). ويلاحظ هنا تأخر ظهور هذه الكتب إلى منتصف القرن الثامن الهجري.

وناقشت أعمال طهارة بعض الأعيان، مثل كتاب الانتفاع بجلود السباع لمسلم بن الحجاج (٢٠٤-٢٦١هـ)، والواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم لمحمد بن أحمد بن مرزوق (٧٦٦-٨٤٢هـ)، ونصيحة الأحباب في لبس فرو

السنجاب لمحمد بن عبد الله قاضي عجلون (ت ٨٧٦هـ)، وإفادة الشيوخ بطهارة الجوخ لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، وكشف المجانة عن الغسل في الإجانة لمحمود ابن حمزة الدمشقي.

وعرضت كتب كثيرة للقول في العلاقة الخاصة بين الرجل والمرأة، مثل كتاب تشنيف الأسماع بأحكام الجماع لمحمود بن عابد الصرخدي، والعنوان في تحريم معاشرة الشبان للنسوان لمحمد بن عمر الغمري، وكتاب تشنيف الأسماع بمسائل الجماع، وكتاب الزنجبيل القاطع في وطء ذات البراقع، وكتاب المستظرفة في أحكام دخول الشحفة للسيوطي، وكتاب تشنيف الأسماع بشرح أحكام الجماع لعبد القادر بن محمد الشاذلي، وكتاب الدر النضيد في نكاح الإماء والعبيد لمحمد بن حسين الشهرستاني.

وكانت علاقة المسلمين بالنصارى واليهود مجالاً واسعاً للبحث. فقد ظهرت كتب كثيرة تتحدث عن معاملتهم والتعامل معهم، مثل كتاب الرئاسة الناصرية في رد من يعظم أهل الذمة ويستخدمهم على المسلمين لمحمد بن الحسين الإسنوي (٦٩٥-٧٦٤هـ)، ونصيحة أولي النهى في منع استخدام النصارى لعبد الرحيم بن حسن الإسنوي (٧٠٤-٧٧٢هـ)، ورسالة في استعمال اليهود والنصارى لمحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت ٩١٠هـ)، ورسالة في شرح حديث أخرجوا اليهود من جزيرة العرب للحسين بن محمد المعري (١٠٤٨-١١١٩هـ)، وحل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال لمحمد بن علي الشوكاني. كما ظهرت كتب كثيرة أيضا تبحث في موقف المجتمع المسلم من أماكن عباداتهم، مثل كتاب النفائس في هدم الكنائس لأحمد بن محمد بن الرفعة (٦٤٥-٧١٠هـ)، وكشف الدسائس في ترميم الكنائس لتقي الدين السبكي (٦٨٣-٧٥٦هـ)، وكتاب نفيس النفائس في تحري مسائل الكنائس وكشف ما للمشركين في ذلك من الدسائس، وكتاب وفاء العهود في وجوب هدم كنيسة اليهود لأحمد بن محمد بن شكم (ت ٨٩٣هـ)، ورسالة النفائس في أحكام الكنائس لمحمد بن عبد الله التمرتاشي (ت ١٠٠٤هـ)، ودرر النفائس في شأن الكنائس لمحمد بن يحيى القرافي (٩٤٩-١٠٠٨هـ). ومما يلاحظ هنا تأخر ظهور مثل هذه الأعمال إلى نهاية القرن السابع الهجري.

وظهرت كتب تعرض للقول في المال، مثل كتاب تحرير المقال فيما يحل ويحرم من بيت المال لمحمد بن عبد الله البلاطنسي (ت ٨٦٣هـ)، وكتاب زهر الربى في حرمة الربا لمصطفى بن محمد الواعظ البغدادي.

وعرضت كتب للمحاريب، مثل كتاب إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب للسيوطي، وكتاب كشف الجلباب عن أحكام تتعلق بالمحراب، وكتاب كشف النقاب عن أحوال المحراب لعبد الرحمن بن زياد اليمني.

وناقشت كتب فقه معاملة بعض أنواع الحيوان، مثل كتاب الإغراب في أحكام الكلاب ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي، وكتاب تحرير الجواب عن مسألة ضرب الدواب لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي.

وتناولت طائفة أخرى من الكتب والرسائل مسائل شتى، مثل رسالة المسألة في اقتراض الإماء لعلي بن عبد العزيز الدولابي (ت ٣٣٥هـ)، وكتاب الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة لإبراهيم بن عمر الرباط البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، والأخبار المأثورة في الإطلاء بالنورة للسيوطي، والإغارة المصبحة على مانعي الإشارة بالمسبحة لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي، وروض الأنام في بيان الإجازة في المنام لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والإساغة للتسريح بالمشط المعروف بالباغة لعبد الجواد الكناني (ت ١١٩٢هـ)، ورسالة اختلاف العلماء في تقدير النعاس، ورسالة الرد على القائل بوجوب التحية لمحمد بن علي الشوكاني، ورسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة لمحمد

صالح الوغليسي (١٢٣٠-١٢٨٥هـ)، وكتاب كشف الغبار عن الإشارات فيما بقي من عمر هذه الدار لعبد الرحمن ابن أحمد باكثير.

وقد أسهم مؤلفو الشام بأكثر مما أسهم به مؤلفو أي دولة أخرى. وظهر في القرن التاسع وفي القرن الثالث عشر أكثر مما ظهر في أي قرن آخر.

ومما يسترعي الانتباه كون حكم الشطرنج والنرد لم يصبح مداراً للبحث إلا في الأعمال التي تأخر ظهورها إلى القرن الثامن، وهذا في كتاب تحريم الشطرنج لمحمد بن علي بن الفخار، وفي رسالة في حكم اللعب بالنرد والشطرنج لمصطفى بن زكريا القرماني، وأن هذين العملين لم يظهرا في أي بلد عربي ولكن في الأندلس وتركيا.

ولم يكن الحشيش أو ما في حكمه مداراً للبحث إلا في القرن السادس الهجري حين ظهر في مصر كتاب زهر العريش في تحريم الحشيش لمحمد بن سليمان بن أبي الربيع على الرغم من ابتلاء بعض بلدان العالم الإسلامي به قبل ذلك. كما لم تظهر الأعمال التي تبحث في تحريم الغناء إلا في وقت متأخر حين ظهر في الشام كتاب رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار لمرعي ابن يوسف الكرمي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري.

ومما يسترعي الانتباه أيضا أن الدخان قد أصبح من قضايا المجتمع منذ بداية القرن الحادي عشر حين ظهر في مصر كتاب غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان لعلي بن محمد الأجهوري.

١٩ - القصص والنوادر

جمع المؤلفون المسلمون شيئاً كثيراً من النوادر والقصص وقصص الحيوان. ويمكن تقسيم كتب النوادر إلى قسمين كبيرين أولهما ما هو عام، مثل كتاب النوادر الصغير، وكتاب النوادر الكبير ليونس بن حبيب البصري (ت ح ١٥٠)، وكتاب الطرائف لمحمد بن الحسن الزاهري (ت ٢٢٠هـ)، وكتاب الأخبار والنوادر لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب الملح والمسار لمحمد بن النجار الكوفي، وكتاب الأخبار والغرائب لعبد الرحمن بن عبد الله بن شبراق (ت ٤١٣هـ)، ورسالة الحمارية في اللطائف لعلي ابن حمزة الشامي (ت ٤٣٠هـ)، وجامع المرقصات والمطربات لمحمد بن المعلي الأسدي (ت ح ٥٥٠هـ)، وأبو قماش في الأدب للمبارك بن المستوفي (ت ٦٣٧هـ)، وكتاب النوادر والأخبار لعبد المحسن بن محمود الحلبي (٥٧٠-٦٤٣هـ)، وهو عمل ضخم في عشرين مجلداً، والتذكرة الكازرونية لمحمد بن يحيى الكازروني (٩٨٠-١٠٥٨هـ)، وزنبيل الأعمال الصالحي لمحمد بن محمد المناشيري (١٠٢٧-١٠٧٧هـ)، وهو عمل كبير في ستين كراساً، ومبهج النفوس ومبلج العبوس في نوادر الحكايات لمحمد بن عبد الله اللاهوري (ت ح ١١٤٠هـ)، وكذلك عدد من الكتب بعنوان كتاب النوادر لمؤلفين مثل محمد بن الحسن بن واقد الشيباني (ت ١٨٩هـ)، ويزيد بن عبد الله الكلابي، وقطرب، والهيثم بن عدي الكوفي، ويحيى ابن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وأبي زيد البصري، والأصمعي، ومحمد بن الحسن الزاهري، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن زياد بن الأعرابي، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت ، ومحمد بن الحسين الزيات (ت ٢٦٢هـ)، ومحمد ابن بكر بن جناح (ت ٢٦٣هـ)، ومحمد بن أحمد بن رجا (ت ٢٦٦هـ)، ومحمد بن الحسين الصائغ (ت ٢٦٩هـ)، وعبد الوهاب بن أحمد بن حريش (ت ح ٢٨٨)، وعلي بن مهيار الدورقي (آخر ق ٣)، وعلي بن محمد برزج الكوفي (ت ح ٣٠٠هـ)، ومحمد بن مسعود العياشي، وسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ).

والقسم الثاني من كتب النوادر يعرض لنوادر فئة من الناس أو واحد منهم، مثل كتاب نوادر الأعراب للأصمعي، وكتاب نوادر أبي فقعس، وكتاب نوادر

الزبيريين لمحمد بن زياد بن الأعرابي، ونوادر المدنيين للزبير بن بكار، وكتاب نوادر الحوصي، وكتاب نوادر القواد لأبي العنبس الصيمري، وكتاب نوادر الغلمان والخصيان للمدادكي، وكتاب ترجمة نوادر أهل الشرقية ونوادر أوساط الناس ونوادر السفلة والوضعاء.

أما فيما يتعلق بالقصص فقد جُمع الكثير منها. فالقصة قد تكون حول فرد، مثل حافية ابنة هاشم الكندي، وحبيب العطار، وعاشق البقرة؛ أو حول رجل وامرأة - وهي في هذه الحال قصة حب -، مثل أبي العتاهية وعتب، وأحمد ابن قتيبة وبانوجة، وأحمد وزين العصور، والتميمي والتميمية الذين تعاهدوا [كذا]، والفتى العاشق الست وذات الخال [كذا]، والفتى والمرأة التي رمت بالحصاة، وبشر المهلبي وبسباسة، وعروة بن عبد ياليل الطائي وابنة عمه، وكتاب إبراهيم وعلم، ومزيد والزهراء، ومن هذه الفئة أكثر من مئة؛ أو تكون قصة امرأتين، مثل العطريفة والدلفاء، وريحانة وقرنفل، وسكينة والرباب، وعبدة العاقلة وعبدة الغدارة، ولؤلؤة وشاطرة؛ أو قصة رجلين، مثل الأخوين العراقي والمدني، وعاصم وسلطان، وعبد الملك والكلبي صاحب خالد بن الوليد؛ أو قصة ثلاثة، مثل ابن مطعون ورتيلة وسعادة، وسليمان وعنوان وشيبان، وعمار وجمل وصواب، وناعم بن دارم ورحيمة وشيطان الطاق، والعاشق المجنون وسلم وجاريتها المخيلة.

وكتبوا أيضاً عن قصص بعض أطرافها من الجن، مثل الدلفاء وإخوتها والجني، ودعد الفزارية والجني وعمرو، وربيعة بن قدام والجنية، وعمر بن سفيان السلمي والجنية، وعمرو بن المكشوح والجنية، والمومل بن الشريف والصورة ومظعون الجني.

وظهر الكثير من قصص العشق، مثل كتاب العاشق والمعشوق لأبي العنبس الصيمري، وأخبار من عشق من الشعراء لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب المتيمين المعصومين لمحمد بن خلف بن المرزبان، وربيع المتيم في أخبار العشاق للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ)، ومحنة الظراف في أخبار العشاق لمحمد بن أحمد التوقاتي، وكتاب الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى لمحمد بن عبيد الله المسبحي، ومصارع العشاق في شارع الأشواق لعزيزي الجيلي شيذلة الواعظ (ت ٤٩٤هـ)، ومصارع العشاق لجعفر بن السراج القاري (ت ٥٠٠هـ)، وأخبار المشتاق إلى أخبار العشاق لمحمد بن محمود بن النجار (٥٧٨-٦٤٣هـ)، والواضح المبين فيمن مات من المحبين لمغلطاي بن قليج البكجري، ومقامات العشاق للسان الدين بن الخطيب، وصبوة الشريف الظريف في تراجم أحرار العشاق لمحمد بن عبد الأحد الحلبي (ت ٨٤١هـ)، وأسواق الأشواق من مصارع العشاق لإبراهيم بن عمر الرباط البقاعي، وتسكين الأشواق بأخبار العشاق لمرعي بن يوسف الكرمي، وكتاب المتحابين لعلي بن محمد بن المصري.

وكُتبت قصص على ألسنة الحيوان والطير على غرار كليلة ودمنة، مثل كتاب منطق الطير لهشام بن السائب الكلبي، وكتاب ثلعة وعفر، وكتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون الدستميساني (ت ٢٤٤هـ)، وكتاب منطق الطير ليعقوب بن إسحاق بن السكيت، وكتاب المضاهاة لمحمد بن الحسين اليمني (ت ٤٠٠هـ)، وكتاب الصادح والباغم وكتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة لمحمد بن محمد ابن الهبارية، والنكت والإشارات إلى ألسنة الحيوانات لسعيد بن المبارك بن الدهان (٤٩٤-٥٦٩هـ)، وكتاب الأسد والغواص.

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر مما أسهم به مؤلفو بلد آخر. وظهر من هذه الفئة من الأعمال في القرن الثالث أكثر مما ظهر في قرن آخر. وكان أكثر من نصف الأعمال مجهولة المؤلف، ومعظم هذه الأعمال من التي تدور حول فرد، أو حول رجل وامرأة، أو تكون قصة امرأتين، أو قصة

رجلين، أو قصة ثلاثة. وقد لاحظ هذا النديم في وقت مبكر وعزاه إلى ظهور طائفة من الوراقين امتهنت هذا النوع من التصنيف. ومن هؤلاء أحمد بن محمد بن دلان، وابن العطار، وسهل بن هارون، وعلي بن داود، والعتابي، وأحمد ابن أبي طاهر[٢٣].

ومما يسترعي النظر قلة إسهام مصر بالرغم من كون الحكاية جزءاً ظاهراً من التراث الشعبي فيها منذ فترة مبكرة. وقد لا يكون مستبعداً أن بعضاً من الأعمال مجهولة المؤلف ظهرت في مصر.

ويلاحظ أن جميع القصص التي على ألسنة الحيوان والطير ظهرت في العراق فيما عدا واحدة، وقد ألفت في القرنين الثالث والخامس الهجريين أثناء غلبة الأتراك والسلاجقة ـ الذين لم يكونوا يحسنون العربية ـ على الدولة العباسية، وربما اتخذ هذا النوع من أسلوب الخِطاب وسيلة للتعبير غير المباشر عن الرأي.

٢٠- الكرم والبخل

كتب المؤلفون المسلمون عن الكرم فامتدحوه وعن البخل فذموه. فمن الكتب التي تحدثت عن الكرم والبخل كتاب الجود والبخل لأبي زيد البصري، وفضائل البذل في العسر ورذائل البخل مع اليسر لسليمان بن بنين الدقيقي، والدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود لعبد الرؤوف المناوي.

كما ظهرت كتب أفردت الكرم أو البخل بالتأليف. فمن التي أفردت الكرم كتاب الجود والكرم لمحمد بن الحسين البرجلاني (ت ٢٣٨هـ)، وكتاب الكرم لسهل بن محمد السجستاني، وكتاب السخاء والكرم لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب المكارم وذكر الأجواد لسليمان بن أحمد الطبراني. ومن الكتب التي أفردت البخل والبخلاء كتاب البخل لعلي بن محمد المدائني، وكتاب البخلاء للجاحظ، وكتاب حد البخل لمحمد بن عبد الله المفجع (ت ح ٢٩٠هـ)، وكتاب البخل لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وكتاب البخلاء للخطيب البغدادي، ووقوع البلا في البخل والبخلا ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي.

ولم تسهم بأعمال في هذا الموضوع إلا ثلاثة أقاليم هي العراق ومصر والشام، واستأثر مؤلفو العراق بما يقرب من ثلثي هذه الأعمال. وقد ظهر أكثر من ربع المؤلفات في هذا الموضوع خلال القرن الثالث.

وما يسترعي الانتباه هنا أن جميع المؤلفات التي ظهرت في مصر تناولت البخل والكرم بالمقارنة والتفضيل. بينما أفرد مؤلفو العراق أعمالاً للبخل وأخرى للكرم.

٢١- اللصوصية واللصوص

ظهرت مؤلفات عدة عن اللصوصية وقطع الطريق، وقد كان بعض هذه المؤلفات عاماً تحدث عن اللصوصية أو قطع الطريق. ومن الأمثلة على هذه كتاب السرقة وقطاع الطريق لمحمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ)، وكتاب الحراب واللصوص للقيط بن بكر المحاربي (ت ١٩٠هـ)، وكتاب اللصوص، وكتاب لصوص العرب لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب أخلاق الشطار، وكتاب اللصوص للجاحظ، وكتاب الصفاعنة للكتنجي، وكتاب اللصوص للحسن بن حسين السكري (٢١٢- ٢٧٥هـ)، وذم الهوى والعر من أحوال الزعر ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي، وكتاب كشف أسرار المحتالين ونواميس الحيالين لعبد الرحيم بن عمر الحراني.

كما أُفردت كتب أخرى كثيرة ـ لا يعرف مؤلفوها ـ لبعض اللصوص وقطاع الطرق، مثل كتاب أبي الحر المديني، وكتاب أبي السائب المخزومي، وكتاب أبي سكة، وكتاب أبي عمر الأعرج، وكتاب أبي معن الغفاري، وكتاب ابن أحمر، وكتاب ابن الشونيزي، وكتاب الدارمي، وكتاب الغاضري، وكتاب حطمى الدلال، وكتاب حوشب الأسدي، وكتاب ضمضم المديني، وكتاب عروة بن عبد الله، وكتاب عقريط، وكتاب فند، وكتاب قلوص، وكتاب مسرور الأوسي،

وكتاب نؤومة الضحى، وكتاب هبة الله. وكل من هذه يحكي تاريخ واحد من اللصوص وأخباره.

وقد أسهم مؤلفو العراق بأغلبية الأعمال المعروف مؤلفوها. وظهرت هذه خلال القرن الثاني والقرن الثالث. ومما يسترعي النظر هنا عدم ظهور أعمال في العراق خلال القرن الرابع، مع العلم بأن اللصوص والشطار كانوا أحد ظواهره كما أفاد بذلك ابن العماد الحنبلي [٢٤] وابن الأثير[٢٥]. كما نقل التنوخي[٢٦] وابن الأثير [٢٧] أن ابن حمدي من رؤساء اللصوص المشهورين، وكذلك كان عمران ابن شاهين [٢٨]، وضبة بن محمد الأسدي [٢٩]، وابن مردان [٣٠]. وقد يكون من غير المستبعد أن بعض الأعمال مجهولة المؤلف ظهرت خلاله مع عدم حملها أسماء كاتبيها خوفاً من سطوة هؤلاء.

٢٢- اللغة

أفرد المؤلفون المسلمون كثيراً من الموضوعات الطريفة في اللغة بالتأليف. وقد حظيت التسميات التي أطلقها العرب على الإنسان والحيوان والنبات والأشياء بنصيب وافر. ومن الأمثلة على هذه غريب الأسماء لأبي زيد البصري، وكتاب أسماء الدواهي عند العرب لأبي العباس المبرد، وكتاب وصف السيف والقلم، وكتاب وصف الفارس والفرس لمحمد بن خلف بن المرزبان، وكتاب القصار وأسمائهم وصفاتهم لعلي بن جعفر بن القطاع، وتنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر لعمر بن الحسن بن دحية (٥٤٨-٦٣٣هـ)، والعادة في أسماء الغادة للحسن بن محمد الصغاني، ونزهة الأبصار في نعت الفواكه والثمار لمحمد بن الأثير الجزري (ت ح ٦٦٢هـ)، وكتاب تسمية الأشياء، وكتاب حسن السير فيما للفرس من أسماء الطير، وكتاب نظام البلور في أسماء السنور، وكتاب نظام اللسد في أسماء الأسد للسيوطي، وكتاب الأسماء المشتركة بين الرجال والنساء للحافظ المديني، وكتاب النداء على الأشياء.

وأفردوا حرفاً أو أكثر بالتأليف. فعن الهمز وعدمه ظهر كتاب الهمز لقطرب، وكتاب الهمزة وتحقيقها للأصمعي، والنظم الأوجز فيما يهمز وما لا يهمز لمحمد بن مالك (٦٠٠-٦٧٢هـ). وعن الألف مفردة أو مع غيرها ظهر كتاب الألفات لمحمد بن عثمان بن مسبح، وكتاب الألفات في القرآن لعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، وكتاب الألف واللام لبكر بن محمد المازني (ت ٢٤٩هـ)، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وأبي البركات الأنباري، وحسن بن أحمد البغدادي (ت ٦٤٢هـ)، وعمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء لأبي البركات الأنباري، ومنهج من ألف فيما يرسم بالياء ويرسم بالألف لمحمد بن علان المكي (٩٩٦-١٠٥٧هـ). وعن التاء والدال ظهر كتاب الدال على الفرق بين التاء والدال لعيسى بن عبد العزيز الشريشي (٥٥٠-٦٢٩هـ)؛ وعن الجيم ظهر كتاب الجيم للنضر بن شميل البصري؛ وعن الراء والغين ظهر كتاب الفرق بين الراء والغين لمحمد بن علي الجاواني (٤٦٨-٥٦١هـ)؛ وعن السين والشين ظهر كتاب تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي.

واستأثر التفريق بين الضاد والظاء بكتب كثيرة، مثل كتاب الضاد والظاء لمحمد بن جعفر القزاز القيرواني (٣٤٢-٤١٣هـ)، ومرجي بن كوثر المعري (ت ب ٤٥٠هـ)، وعلي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، والغنية في الضاد والظاء لسعيد بن المبارك بن الدهان، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات الأنباري، ورسالة في الضاد والظاء لنصر بن محمد الموصلي (ت ٦٣٠هـ)، وضياء الدين ابن الأثير (٥٥٨-٦٣٧هـ)، والاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد لمحمد بن مالك، والارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ)، ورسالة فيما يكتب بالضاد والظاء لمحمد حسين الشهرستاني. وأفرد حرف اللام بالتأليف في كتاب اللامات

لأبي زيد البصري، ومحمد بن أحمد بن كيسان (ت ٢٩٩هـ)، ومحمد بن القاسم بن الأنباري (٢٧١-٣٢٨)، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ). وظهر عن حرف الهاء كتاب الهاءات لأحمد بن موسى بن مجاهد (٢٤٥-٣٢٣هـ)، ومحمد بن القاسم بن الأنباري؛ وعن حرف الياء كتاب الياءات لأحمد بن موسى بن مجاهد.

وأمكن تتبُّع تسعة عشر كتاباً عن المذكر والمؤنث كان أولها ظهوراً كتاب المذكر والمؤنث ليحيى بن زياد الفراء، وآخرها بلغة المحب في المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري. وبين هذين الكتابين ظهرت كتب أخرى في هذا الموضوع لكثير من أئمة اللغة، مثل يعقوب بن إسحاق بن السكيت، وأبي العباس المبرد، ومحمد بن أحمد الوشاء، وعثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ).

وحظي موضوع المقصور والممدود باهتمام أكبر إذ أفرد بالتأليف في ستة وعشرين كتاباً كان أولها ظهوراً كتاب المقصور والممدود ليحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ)؛ وتأخر ظهور آخرها وهو قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود لمرعي بن يوسف الكرمي إلى بداية القرن الحادي عشر، وبينهما ظهر لكثير من أئمة اللغة، مثل يحيى بن زياد الفراء، والأصمعي، والقاسم بن سلام (١٥٤-٢٢٤هـ)، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، وأبي العباس المبرد، والمفضل بن سلمة الضبي، ومحمد بن الحسن بن دريد، ومحمد بن أحمد الوشاء، وعبد الله بن درستويه (٢٥٨-٣٤٧هـ)، وعثمان بن جني، وأبي البركات الأنباري، ومحمد بن مالك، كتب حول هذا الموضوع.

وفي النقط والشكل ظهرت كتب، مثل كتاب النقط والشكل للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٠هـ)، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وإبراهيم بن حسن القرطبي (ت ٢٤٩هـ)؛ وكتاب المحكم في النقط لعثمان بن سعيد الداني (٣٧٢-٤٤٤هـ).

وفي التصحيف والتحريف ظهر كتاب التصحيف في الحديث لعلي بن عمر الدارقطني (٣٠٦-٣٨٥هـ)، والتصحيف والتحريف لعثمان بن عيسى البليطي (ت ٥٩٩هـ)، والتطريف في التصحيف للسيوطي، وإيضاح الارتياب في معرفة ما يشتبه ويتصحف من الأسماء والألقاب، والتالد والطريف في فن أجناس التصحيف.

وفي المتفق والمختلف ظهر كتاب ما اتفقت ألفاظه واختلف معناه لإبراهيم بن يحيى اليزيدي (ت ٢٢٥هـ)، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ)، ومحمد بن الحسن بن دينار، وأبي العباس المبرد.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يقرب من ثلثي مجمل الإنتاج في هذا الموضوع. ومما يسترعي النظر قلة إسهام مؤلفي بلاد العرب والشام. ولعل من نوافل القول في هذا السياق الإشارة إلى وفرة ما أسهم به البصريون في هذا الموضوع. وقد لخّص النديم هذا بقوله: "علم العربية عنهم أخذ."[٣١].

وظهر ما يقرب من نصف مجمل الإنتاج في القرن الثالث والقرن الرابع. وقد يكون من أسباب ذلك ظهور عدد من علماء اللغة فيهما، ومن هؤلاء أبو العباس المبرد، وأحمد بن محمد بن يزدبان الطبري، وأحمد بن موسى بن مجاهد، وعبد الله بن درستويه، ومحمد بن أحمد الوشاء، ومحمد بن خلف بن المرزبان، ومحمد بن عثمان بن مسبح، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، وسعيد بن إبراهيم التستري، وعثمان بن جني، ومحمد بن أحمد بن كيسان، ومحمد بن القاسم بن الأنباري.

٢٣- اللهو واللعب

تبين مؤلفات المسلمين أن بعض أفراد المجتمع مارس ألعاباً مختلفة. وقد ظهرت هذه الألعاب بصفة عامة في كتاب الرياضة لأحمد بن محمد البرقي، وفي رسالة في منافع الرياضة وجهة استعمالها ليحيى بن جرير التكريتي، وفي تحفة العبيد في الخيل والرماية والصيد لإبراهيم بن الوالي (ت ٩٦٠هـ).

وقد حظيت الفروسية - كما هو متوقع - باهتمام المؤلفين المسلمين البالغ فظهر فيها عدد من المؤلفات، مثل استباء الجهاد في أدوات الصافنات الجياد لسليمان بن بنين الدقيقي، والأمنية في علم الفروسية لمحمد بن عبد العزيز ابن جماعة، والنفحات المسكية في صناعة الفروسية لأحمد ابن محمد مكي الحموي (ت ١٠٩٨هـ)، ونهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية لمحمد بن عيسى الأقسرائي (ت ح ٧٥٠هـ)، وكتاب الفروسية لعبد الرحمن بن الجوزي.

ولعلاقة الطرد والقنص بالفروسية ظهرت فيها مؤلفات عديدة، مثل انتهاز الفرص في الصيد والقنص لحمزة بن علي الناشري، وكتاب البازي لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب البزاة والصيد لأبي دلف العجلي، وكتاب الجوارح لمحمد بن عبد الله بن البازيار (ت ٢٤٥هـ)، وكتاب الجوارح والصيد بها لأبي معشر السرخسي، وكتاب الجوارح والصيد لعبد الله بن المعتز، وكتاب الجوارح واللعب بها لأبي دلف العجلي، وكتاب الصيد لمحمد بن الحسن الزاهري، وكتاب الصيد والجارح للفتح بن خاقان البغدادي (ت ٢٤٧هـ)، وكتاب الطرد لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب المصائد والطرائد لكشاجم (ت ٣٥٠هـ)، ومحمود بن حسن المنشئ (ت ٣٥٠هـ). وهذا يصدق أيضاً على الرماية التي ظهر فيها كتاب أولى الأسباب في الرمي بالنشاب لمحمد بن عبد العزيز بن جماعة، وتحفة أولي الألباب في لرمي بالنشاب لمحمد بن أحمد الخلوتي، والتعليم والإعلام في رمي السهام لعلي بن قاسم السعدي، والبداية والنهاية في علم الرماية، وبغية المرام في رماية النشاب والأسهام، وكتاب اللعب بالبندق لمحمد بن إسماعيل بن البقال (ت ٥٨٨هـ)، والمستعرب في تعليم رمي البندق لعبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٩هـ).

كما ظهرت كتب في الخيل والرماية، مثل تحفة العبيد في الخيل والرماية والصيد لإبراهيم بن الوالي، وكتاب الخيل والرهان لعلي بن محمد المدائني، ومجرى السوابق في الخيل والسبق لابن حجة الحموي (٧٦٧-٨٣٧هـ)، وكتاب السبق والرمي لمحمد بن مسعود العياشي، ومحمد ابن أحمد بن الجنيد.

وفي أنواع أخرى من الرياضة البدنية ظهر كتاب الباحة في السباحة، وكتاب المسارعة في المصارعة للسيوطي.

وظهرت كتب عديدة عن وسائل أخرى من التسلية، مثل الشطرنج والنرد. وهذه الأعمال إما أن تكون كتباً عامة، مثل كتاب النرد والشطرنج للجاحظ، وكتاب الشطرنج لأبي معشر السرخسي، وأبي زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ)، وأبي بكر الصولي؛ أو تتعلق بطرق لعبها، مثل كتاب منصوبات الشطرنج لمحمد بن عبيد الله اللجلاج (ت ٢٦١هـ)، وحكمة النرد لمحمد بن زكريا الرازي، ومجموع في منصوبات الشطرنج لإبراهيم بن محمد بن الإقليدس (ت ٣٣٠هـ)، وإيقاظ المصيب فيما في الشطرنج من المناصيب لعلي بن محمد بن الدريهم، ونموذج القتال في نقل العوال لأحمد بن يحيى بن أبي حجلة (٧٢٥-٧٧٦هـ)، ودوحة الورد في معرفة النرد لإبراهيم بن محمد بن زقاعة؛ أو تتحدث عن حكمها، مثل كتاب في عذر من اشتغل بالشطرنج لمحمد بن زكريا الرازي، وكتاب ما روي في الشطرنج لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وتحريم الشطرنج لمحمد بن علي ابن الفخار، ورسالة في حكم اللعب بالنرد والشطرنج لمصطفى ابن زكريا القرماني، وعمدة المحتج في حكم الشطرنج لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي.

وظهرت في مجال السمر والمنادمة كتب كان من أولها كتاب السمر للقيط بن بكر المحاربي، ولهشام بن محمد الكلبي. وتبعتهما كتب مدح النديم لعلي بن عبيدة الريحاني، وأخبار الندامى لحماد بن إسحق الموصلي، والندماء لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، والندماء والجلساء لحمدون بن إسماعيل النديم (ت ح ٢٤٠هـ)، والمنادمة وأخلاق

الخلفاء والأمراء لأبي العبر محمد بن أحمد الهاشمي، ورسالة المجالسة والجلساء لأبي معشر السرخسي، وكتاب الندماء والجلساء لعبيد الله ابن أحمد بن خرداذبة. وظهرت في القرن الرابع الهجري وما بعده كتب كثيرة في هذا الموضوع، مثل كتاب الجلساء والندماء لمحمد بن خلف بن المرزبان، ونظم السلوك في مسامرة الملوك لإبراهيم بن الرقيق (ت ٣٨٣هـ)، ومجالسة الرؤساء لمحمد بن أحمد بن الحرون، وكتاب المنادمين لسليمان بن أيوب المدني، وقانون الحكماء وفردوس الندماء لمحمود بن عمر بن الرقيقة، وعقد السلوك فيما يلزم جليس الملوك لمحمد بن محمود بن منكلي بوغا (ت ٧٨٤هـ)، وطرف المجالسة وملح المؤانسة لعثمان ابن يحيى بن المرابط.

ووضع المؤلفون المسلمون كثيراً من الكتب والرسائل في موضوعات الغناء المختلفة. فقد ظهرت في ذلك أعمال عامة، مثل كتاب الغنا لإبراهيم بن المهدي، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء لأبي معشر السرخسي، وكتاب الأغاني الكبير لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكتاب المغنين للجاحظ، وكتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي لأبي معشر السرخسي، وكتاب الجامع في الغناء لعبد الله بن المعتز، وكتاب اللهو والملاهي لعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة، وكتاب الأغاني ليحيى بن أبي منصور، وكتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب الوثائق لمحمد بن عمران المرزباني، وإزالة التعب والعنا في معرفة الحال في الغناء لأحمد بن علي المقريزي (٧٦٩-٨٤٥هـ).

كما ظهرت كتب كثيرة تعرض للحكم الشرعي فيه، مثل كتاب رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار لمرعي بن يوسف الكرمي، وإبطال دعوى الإجماع على تحريم السماع لمحمد بن علي الشوكاني، والسيف اليماني لمن قال في حل سماع الآلات والأغاني لمصطفى ابن رمضان البولاقي.

وعرضت كتب لتاريخ المغنين، مثل أخبار المغنين واحداً واحداً لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبار ميادة للزبير بن بكار، وكتاب أخبار الطنبوريين لأبي حشيشة الطنبوري (ت ح ٢٩٠هـ)، وكتاب أخبار المغنين الطنبوريين لعلي بن حسن بن طرخان، وكتاب الطنبوريين لجحظة البرمكي، وكتاب أخبار ابن أبي عتيق، وكتاب أخبار ابن سريج، وكتاب أخبار ابن عائشة، وكتاب أخبار عزة الميلاء، وكتاب طبقات المغنين لسليمان بن أيوب المدني، وهو من الكتاب المتخصصين في الغناء والمغنين، وكتاب الطنبوريين لعلي العبسي بن كوجك (ت ٤٠٥هـ)، وكتاب أخبار المغنين، وكتاب أخبار المغنين المكيين.

وإضافة إلى الأعمال العامة أفرد المؤلفون موضوعات الغناء المختلفة بالتأليف. فمن الأعمال التي ظهرت في الموسيقى كتاب المونس في الموسيقى لمنصور بن طلحة الطاهري (ت ح ٢٥٠هـ)، ورسالة في الإخبار عن صناعة الموسيقى، ورسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب المدخل إلى علم الموسيقى، وكتاب الموسيقى الصغير، وكتاب الموسيقى الكبير لأبي معشر السرخسي، وكتاب في الموسيقى لثابت بن قرة الحراني، وجمل الموسيقى لمحمد بن زكريا الرازي، وكتاب القياسات التي تستعمل في الموسيقى، وكتاب الموسيقى الكبير لأبي نصر الفارابي، ورسالة الموسيقى لأمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (٤٦٠-٥٢٩هـ)، وكتاب الموسيقى لمحمد بن قاسم الكابلي (ت ٩٨٣هـ)، وسفينة الملك وأنيسة الفلك في الموسيقى لمحمد بن إسماعيل المصري (ت ١٢٧٤هـ).

وفي الألحان والأنغام ظهرت كتب كان أولها كتاب النغم ليونس بن سليمان المغني (ت ح ١٤٠هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي. وتبعتهما أعمال عديدة، مثل كتاب النغم لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، ورسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الأشخاص العالية ليعقوب بن إسحاق الكندي،

وكتاب النغم لسليمان بن أيوب المدني، ورسالة في تأثير اللحون الموسيقية في النفوس الحيوانية لمحمد بن الحسن ابن الهيثم، وكتاب جامع الألحان، وكتاب مقاصد الألحان في تأليف النغم والأوزان لعبد القادر بن عيني المراغي (ت ٨٣٨هـ)، وهو من الكتاب المتخصصين في هذا المجال.

كما ظهرت كتب في الأدوار، مثل كتاب الأدوار لصفي الدين الأرموي (ت ٦٩٣هـ)، وكنز الألحان في علم الأدوار لعبد القادر بن عيني المراغي؛ وفي الإيقاع مثل كتاب الإيقاع للخليل بن أحمد الفراهيدي، ورسالة في الإيقاع ليعقوب بن إسحاق الكندي.

وخصت آلة من آلات الغناء بالتأليف هي العود، فظهر عنها كتاب العود والملاهي للمفضل بن سلمة الضبي، ويحيى بن أبي منصور، وكتاب العقود والسعود في أوصاف العود لعلي بن عبد الرحمن بن يونس (ت ٣٩٩هـ).

وتحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الرقص في كتاب الرقص والرض، كما تحدث كشاجم في كتاب خصائص الطرب عن الطرب وصفاته وأحواله. وعرض أبو الفرج الأصفهاني في كتاب أدب السماع لنمط السلوك المقبول ممن يحضر مجلس طرب.

وقد لا يظهر ما يدعو إلى العجب من كثرة ما كُتب في موضوعات الغناء والموسيقى. ذلك أن العرب منذ جاهليتهم قد احتفلوا بالغناء فكان له فيهم مجالس رافقها العزف. ثم تطور الأمر في العصر الأموي فامتزج غناؤهم بقواعد الموسيقى الفارسية والرومية. ثم ازدهرت صناعة الغناء في العصر العباسي وتطورت وظهر في ساحتها مشاهير مثل إبراهيم بن المهدي، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي. ولما تجزأت الخلافة الإسلامية كان كثير من القائمين على الدويلات الجديدة من غير العرب فنقلوا معهم أشياء من ثقافاتهم ومنها الغناء[٣٢]. وقد تطورت النظرة إلى هذا النوع من النشاط فأصبح القارئ يواجه مصطلحات مثل علم الموسيقى، وعلم الرقص، وعلم الغناء. بل إن من المؤلفين المتقدمين - مثل الخوارزمي - من أفرد لأحد هذه - وهو الموسيقى - باباً كاملاً في كتابه[٣٣]، وعدّه أبو نصر الفارابي واحداً من علوم علم التعاليم السبعة[٣٤].

وظهرت بعض الكتب في اللهو والمجون، مثل كتاب المجان لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب الملاهي لمحمد ابن مسعود العياشي، ومحمد بن أحمد بن بابويه، ونهج الوضاعة لأولي الخلاعة لعبيد الله بن المظفر الباهلي (٤٨٦-٥٤٩هـ)، وسلافة الزرجون في الخلاعة والمجون لحمد بن محمد الأسعردي (٦١٩-٦٥٦هـ)، ومنشأ الخلاعة لأحمد بن محمد الدنيسري، وجامع اللطائف في الهزل والمجون لمحمود بن عثمان البورسوي (ت ٩٣٨هـ).

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر من نصف مجمل الإنتاج في موضوعات اللهو. وقد يعود ذلك إلى إسهامات بعض المؤلفين الذين أكثروا من الكتابة فيها، مثل أبي الفرج الأصفهاني، وأبي دلف العجلي، وأبي معشر السرخسي، وأبي نصر الفارابي، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي، والجاحظ، والخليل بن احمد الفراهيدي، وعبيد الله بن أحمد بن خردانبة، وكشاجم، ومحمد بن زكريا الرازي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، ويحيى بن أبي منصور، ويعقوب بن إسحاق الكندي.

ويلاحظ تركيز كثير مما أنتجه مؤلفو بلاد العرب على أخبار المغنين. وربما يعود هذا إلى أن كثيراً من المغنين قد ظهروا في بعض مدن الحجاز. أما مؤلفو فارس فكان تركيزهم على الألحان. وقد ظهر ما يقرب من ثلث مجمل الإنتاج في القرن الثالث. كما ظهر ما يقرب من عشرين في المئة منه خلال القرن الرابع.

٢٤- المخدرات

كتب المؤلفون المسلمون كثيراً من الكتب والرسائل في المخدرات والمسكرات. وقد تناولت بعض مؤلفاتهم هذا

الموضوع تناولاً عاماً، وأفردوا أكثرها لنوع واحد من المخدرات والمسكرات. فمن الأعمال العامة كتاب نسيم الأرواح وزوائد الأفراح لخليل بن أحمد الأيوبي (ت ٨٥٠هـ)، وكتاب الجواب المحرر لأحكام المنشط والمخدر لعبد الرحمن ابن زياد اليمني. ومن الأعمال التي تناولت أكثر من نوع رسالة في الخنديقون والفُقّاع لأحمد بن عبد الرحمن بن مندويه، وراحة الأرواح في الحشيش والراح لأبي بكر بن عبد الله بن البدري (ت ٨٩٤هـ)، وظل العريش في منع حل البنج والحشيش لمحمد بن إبراهيم بن الحنبلي، وتحذير الثقات من أكل الكفتة والقات لابن حجر الهيثمي، ورسالة في البنج والحشيش لإبراهيم بن يحيى دده خليفة (ت ٩٧٥هـ)، وقمع الشهوة عن تناول التنباك والكفتة والقاة والقهوة لعلوي بن أحمد السقاف (ت ١٠٨٠هـ).

وأفرد نوع واحد هو الخمر بالتأليف في عدد من الأعمال، منها كتاب أسماء الخمر للأصمعي، وكتاب قطب السرور في أوصاف الخمور لإبراهيم بن الرقيق، وجليس الأنيس في أسماء الخندريس لخليل بن أيبك الصفدي، ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، وعروس الأفراح فيما يقال في الراح لأحمد بن إبراهيم سبط العجمي، ورسالة في الخمر وأوصافها للسيوطي. وكما يظهر من عناوين هذه الأعمال فإنها تناولت الموضوع من ناحية لغوية. كما عرضت أعمال أخرى للخمر ومتعلقاتها بصفة عامة، مثل كتاب فضائل الصبوح ومناقبه ومعايب الغبوق ومثالبه، وكتاب نشوة النهار ومعاقرة العُقار لعبيد الله بن محمد الكاتب (ت ح ٣٣٠هـ)، وكتاب الدّيارات لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب الراح والارتياح لمحمد بن عبيد الله المسبحي، ورسالة في إباحة الخمر للمظفر بن أردشير العبادي، ومفتاح الأفراح في امتداح الراح لعبد المحسن ابن محمود الحلبي، وكتاب فضائل الزق.

كما أُفرد ماء الشعير بالتأليف في كتاب ماء الشعير ليحيى بن جعفر البيكندي، والارتياع في تحريم الفقاع لمحمد بن أحمد بن الجنيد، وتحريم الفقاع لمحمد بن أحمد ابن بابويه؛ والنبيذ في رسالة النبيذ وشربه في الولائم لقسطا بن لوقا، ورسالة في النبيذ لأحمد بن عبد الرحمن ابن مندويه؛ والحشيش في كتاب زهر العريش في تحريم الحشيش لمحمد بن سليمان بن أبي الربيع، وكتاب الدر الوسيم وتوشيح وتتميم التكريم في تحريم الحشيش ووصفه الذميم لعبد الباسط بن الوزير الملطي؛ والأفيون في رسالة في الأفيون لمأمول بن شرارة الحلبي (ت ٤٩٠هـ).

وكان الدخان قضية من القضايا التي ظهرت في الحياة الفكرية منذ زمن طويل حيث أفرد بالتأليف لأول مرة منذ ما يقرب من أربع مئة سنة في كتاب رفع الاشتباك عن تناول التنباك لعبد القادر بن يحيى الطبري (٩٧٦-١٠٣٣هـ)، وكتاب تحقيق البرهان في شان الدخان الذي يستعمله الناس الآن لمرعي بن يوسف الكرمي. ثم تبعهما عدد كبير من الأعمال، مثل نصيحة الإخوان باجتناب الدخان لإبراهيم بن إبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ)، وكتاب إعلام الإخوان بتحريم الدخان، وكتاب تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك لمحمد بن علان المكي، وغاية البيان لحل شرب مالا يغيب العقل من الدخان لعلي بن محمد الأجهوري، ومجرد الأسنان في غرر إخوان الدخان لمحمد بن عبد الكريم الفكوك (ت ١٠٧٣هـ)، ومفتاح الفلاح وكيمياء السعادة والصلاح لحسين بن اسكندر الرومي (ت ح ١٠٨٤هـ)، والمنباك في دخان التنباك لمحمد بن عبد الرسول البرزنجي، وتنبيه الغفلان في منع شرب الدخان لمحمد بن علي الجمالي (كتبه ١١٢٩هـ)، والصلح بين الأخوان في حكم إباحة الدخان لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ورسالة في الدخان لمحمد بن مصطفى الخادمي، والإدراك لضعف أدلة التنباك لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٠١-١١٨٢هـ)، وهدية الأخوان في شجرة

الدخان للمرتضى الزبيدي، وترويح الجنان بتشريح حكم الدخان لمحمد بن عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ).

وأسهم مؤلفو العراق بما يقرب من اثنين وعشرين في المئة من مجمل الإنتاج الذي ظهر في هذا الموضوع. وكان ما ظهر خلال القرن الحادي عشر أكثر مما ظهر في أي قرن آخر.

ومما لوحظ اقتصار مؤلفي بلاد العرب في أعمالهم التي تناولت موضوع المخدرات على مناقشة حل فئات معينة منها هي التنباك والدخان والكفتة والقات أو تحريمها. وركز مؤلفو الشام على بحث أمور الحشيش والأفيون والخمر، وركز مؤلفو العراق على بحث أمور الخمر والفقاع، وركز مؤلفو مصر على موضوع الدخان والحشيش. وربما يكون للأحوال السائدة في هذه البلدان أثر في هذا التوجه.

٢٥- المعميات والألغاز

كتب المؤلفون المسلمون كثيراً في موضوع المعميات والألغاز. وقد أحصت الكتب التي أرخت للعلوم أسماء كثيرة لما أطلقه العرب على الكتابة في هذا المجال. ومن هذه الأسماء علم اللغز، وعلم المعمّى، وعلم الأحاجي والأغلوطات.

وقد تناولت أعمالهم التي ظهرت اللغز والمعميات العامة، مثل كتاب اللغز لمحمد بن أحمد المفجع، وكتاب الألغاز لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، والحسن بن أسد الفارقي (ت ٤٨٧هـ)، وحمزة بن أحمد الحسيني (ت ٨٧٤هـ)، وأحمد بن محمد الحجازي، وكتاب المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والأغلوطات لمحمود بن عمر الزمخشري، وكتاب الإعجاز في الأحاجي والألغاز لسعد الوراق الحظيري (ت ٥٦٨هـ)، وحلية الطراز في حل الالغاز لأبي البركات الأنباري، وخصائص المعروف لأسعد بن مهذب بن مماتي، وإعجاز الإيجاز في المعاني والألغاز لسليمان بن بنين الدقيقي، وعقلة المجتاز في حل الالغاز لعلي بن عدلان الربعي (ت ٦٦٦هـ)، وغاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز لعلي بن محمد بن الدريهم، والذخائر الأشرفية في الالغاز الخفية لعبد البر بن شحنة الحلبي (٨٥١-٩٢١هـ)، وكنز من حاجي وعمى في الأحاجي والمعمى لمحمد بن إبراهيم بن الحنبلي، وبلوغ الأمل بمعرفة الألغاز والحيل لعبد الرؤوف المناوي، وركاز الركاز في المعمى والألغاز لمحمد بن عبد الله كبريت المدني (١٠١٢-١٠٧٠هـ)، وغاية المرمى في علم المعمى لعبد الرحمن بن محمد بن شاشة (ت ١١٢٨هـ)، وحلاوة الرز في حل اللغز لأحمد الحلواني (ت ١٣٠٨هـ)، وموقد الأذهان وموقظ الوسنان لعبد الله بن هشام، وكتاب تسهيل المجاز إلى علمي المعمى والألغاز، وكتاب الطراز الأسمى على كنز من حاجى وعمّى.

وتناولت مؤلفات أخرى فئة معينة من الألغاز والمعميات، مثل كتاب المحاورة الصلاحية في الأحاجي الاصطلاحية لخليل بن أيبك الصفدي، وكتاب اللطائف الذوقية في الالغاز الفقهية والأسئلة النحوية لأحمد بن جمعة البجيرمي (ت ١١٩٧هـ)، والدرة الخفية في الألغاز العربية لمحمد بن أحمد بن الركن اليماني، والموجز في إيضاح الشعر الملغز لعبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، وتشحيذ الحجا بألغاز حروف الهجا.

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر من ربع مجمل الإنتاج. وظهر خلال القرن السادس أكثر مما ظهر في أي قرن آخر.

٢٦- المفاخرة

ظهرت مؤلفات كثيرة في المفاخرة والموازنة والتفضيل. ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة، إذ إن أسباب الكتابة فيه تبدو ظاهرة أحياناً ومستترة أحياناً أخرى. وكان بعض ما كتب في هذا الموضوع يدور حول المفاضلة بين عنصر وعنصر، أو بين قبيلة وقبيلة، أو بين فرد وفرد، أو مهنة ومهنة، أو شيء وشيء، أو مفهوم ومفهوم.

فقد ظهرت بعض الكتب التي تفضل العجم على العرب وتبين مثالب العرب، مثل كتاب فضائل الفُرس لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب فضل العجم على العرب وافتخارها لسعيد بن حميد بن البختكان (ت ٢٤٠هـ). وربما يكون كتاب فضل العرب على العجم لأحمد بن أبي طاهر طيفور ، وكتاب فضل العرب لعبد الله بن جعفر القمي (ح ٢٩٢هـ) رداً مباشراً على هذين الكتابين. وقد ظهر بعد ذلك كتاب مثالب ثقيف وسائر العرب لمحمد بن علي الديمرتي (ت ح ٢٩٩هـ)، وكتاب فضل العجم على العرب لإسحاق ابن سلمة القيني (ت ٣٦٨هـ)، ورسالة في تفضيل العجم على العرب لأبي عامر بن غرسية (ت ح ٤٧٥هـ). وقد تصدى للأخيرة عدد من المؤلفين الذين فندوا ما جاء فيها، مثل محمد بن مسعود بن أبي الخصال (٤٦٥-٥٤٠هـ) في خطف البارق وقذف المارق، وعبد الملك بن محمد الأوسي في الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على جميع الخلق، ومحمد ابن محمد الفارقي (ت ٧٥٠هـ) في كتاب خطف البارق. ثم تلا ما ذكر عدد من الكتب والرسائل التي تبين فضل العرب، مثل كتاب أنفع القرب في بيان فضل العرب لعبد الرحيم ابن الحسين الحافظ العراقي (٧٢٥-٨٠٦هـ)، وغاية الطلب في فضل العرب لمحمد بن أبي محمد البكري، ومبلغ الأرب في فضل العرب لابن حجر الهيثمي، وغاية الطلب في إثبات كفر من سب العرب لعلي زائد الرشيدي (ألفه ١١٧٠هـ)، وخلاصة الذهب في فضل العرب لعبد القادر الأنصاري. كما ظهرت كتب تنتصر للعرب عن طريق تفضيل لغتهم، مثل رسالة إلى نجيح الطولوني في تفضيل العربية لعبد الله بن درستويه، والدرة الأدبية في نصرة العربية لسليمان بن بنين الدقيقي، وصقعة الأدبية في الرد على منكر العربية لسليمان بن عبد الله الطوخي (٦٧٠- ٧١٦هـ).

على أن هناك من اتخذ مسلكاً مغايراً في تناول القضية، وهو الموازنة أو التسوية. وقد ظهر هذا في كتاب مفاخرة العرب والعجم لعلي بن محمد المدائني، وكتاب التسوية بين العرب والعجم للجاحظ وابن قتيبة الدينوري، والفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب لمصطفى بن علي البكري.

ومما يسترعي الانتباه في هذا السياق أن كتب تفضيل العجم على العرب هي التي بدأت في الظهور. ذلك أن أولها وهو كتاب فضائل الفُرس وضعه أبو عبيدة معمر ابن المثنى الذي توفي في سنة ٢٠٩هـ، وثانيها وهو كتاب فضل العجم على العرب وافتخارها لسعيد بن حميد بن البختكان الذي توفي في سنة ٢٤٠هـ؛ أما كتب تفضيل العرب فكان أولها كتاب فضل العرب على العجم لأحمد بن أبي طاهر وهذا تأخرت وفاته حتى سنة ٢٨٠هـ.

ومما له علاقة بهذا الموضوع الحديث عن مثالب القبائل العربية. فقد ظهرت كتب ورسائل عدة أسهبت في الحديث عنها، مثل كتاب المثالب لهشام بن السائب الكلبي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وعلان بن مقصود الشعوبي (ت أوائل ق ٣هـ)، وأحمد بن محمد الجهمي (ت ٢٤٠هـ)، وعلي بن الحسن بن فضال، وعلي بن مهيار الدورقي، والحسين بن سعيد بن الأهوازي (ت ٢٧٥هـ)، ومحمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠هـ)، وكتاب مثالب ربيعة للهيثم بن عدي الكوفي (١٣٠-٢٠٧هـ)، وكتاب الواحدة لمحمد بن الحسين بن جمهور (ت ح ٢١٠هـ)، وكتاب مثالب باهلة لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب المنافرة لعلان بن مقصود الشعوبي، ومثالب بني تميم لمحمد بن أحمد القيرواني (ت ٣٣٣هـ)، وكتاب المناقب والمثالب لنعمان بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣هـ).

كما يمكن تلمُّس علاقة وثيقة بينه وبين بعض ما ظهر من أعمال عن المفاخرة بين الأسلحة والقلم، مثل كتاب وصف السيف والقلم لمحمد بن خلف بن المرزبان، ورسالة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما لأحمد بن محمد بن برد

(ت ٤١٨هـ)، وكتاب مفاخرة السيف والقلم لأحمد بن محمد بن الكاتب (ت ٤٤٥هـ)، ومفاخرة القلم والسيف والدينار لعلي بن هبة الله بن ماكولا (٤٢٩-٤٨٧هـ)، ومفاخرة السيف والرمح لعلي بن محمد السعدي (ت ٧١٧هـ)، والدر المنظم في مفاخرة السيف والقلم لشافع بن علي العسقلاني، وحلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم لأحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ).

وتحدثت أعمال أخرى عن السودان ففضلهم بعضها على البيض، مثل كتاب السودان وفضلهم على البيضان لمحمد بن خلف بن المرزبان، وكتاب مناقب السودان، وكتاب زهد السودان لجعفر بن السراج القاري، وتنوير الغبش في أحوال الأعيان من الحبش لعبد الرحمن بن الجوزي، وكتاب أزهار العروش في أخبار الحبوش، وكتاب رفع شأن الحبشان، وكتاب نزهة العمر في التفضيل بين البياض والسود والسمر للسيوطي، وكتاب الطرز المنقوش في رفع شان الحبوش لأبي المعالي بن عبد الباقي (ألفه سنة ٩٩١هـ)، والطراز المنقوش في أوصاف الحبوش لعلي بن إبراهيم الحلبي (٩٧٥-١٠٤٤هـ)، ورسالة في تفضيل السود على البيض لأبي العباس الناشئ.

وظهرت كتب في المفاخرة بين بطون قريش، مثل كتاب خصومات الأشراف لعلي بن محمد المدائني، وكتاب الفخر بين عبد شمس وبني مخزوم للجاحظ، ورسالة في تفضيل بني هاشم وذم بني أمية لأحمد بن عبيد الله بن عماد (ت ٣١٩هـ)، وإسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم لمحمد بن أحمد بن مرزوق، والأساس في فضل بني العباس للسيوطي. كما ظهرت أخرى في المفاضلة بين بعض القبائل العربية، مثل كتاب فخر القحطانية والعدنانية للجاحظ. ومن الكتب ما فاضل بين أفراد، مثل كتاب الرجحان بين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، ورسالة في فضل أبي حنيفة رحمه الله تعالى لعتيق بن داود اليماني الحنفي (ت ٤٠٦هـ)، وكتاب الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحق الموصلي في الغناء لعلي بن هرون بن أبي منصور.

وكانت البلدان والمدن والأماكن موضوعاً للمفاضلة فيما بينها، أو لتفضيلها على غيرها. فكانت دمشق مفضلة على القاهرة أو على غيرها من البلدان في كتاب إيقاظ الوسنان في فضيلة الشام في تفضيل دمشق على سائر البلدان لنصر الله بن عبد المنعم التنوخي (ت ٦٧٣هـ)، وكتاب المفاخرة بين دمشق والقاهرة لمحمد بن أحمد البساطي (ت ٨٤٢هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي. وكانت المفاخرة بين الكوفة والبصرة موضوعاً لأعمال مثل كتاب فخر أهل الكوفة على البصرة للهيثم بن عدي الكوفي (١٣٠-٢٠٧هـ)، وكتاب مفاخرة أهل البصرة والكوفة لعلي ابن محمد المدائني؛ وكانت كذلك بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في كتاب فضل المدينة على مكة لمحمد بن عبد الله الأبهري (٢٨٧-٣٧٥هـ)، وكتاب تفضيل مكة على المدينة لابن قيم الجوزية، وكتاب الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة للسيوطي. وفضلت مُرسية على غيرها في كتاب طراد الجياد في الميدان وتنازع اللذات والإخوان في تقديم مرسية على غيرها من البلدان لأبي البحر صفوان ابن الأبار (ت ٥٩٨هـ)، وفضلت المريّة في كتاب مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية لأحمد بن علي بن خاتمة (ت ح ٧٧٠هـ). وفاضل لسان الدين بن الخطيب بين مالقة وسلا في كتاب معيار الأخبار، وفاضل أحمد بن مسدد الكازروني (ت ب ٨٨٧هـ) بين قبا والعوالي في كتاب الحدائق الغوالي، وفاخر عبد الله بن الوزير الصنعاني (ت ١١٤٧هـ) بين الروضة وبير العرب في كتاب أقراط الذهب، وفاخر محمد الرسام الحموي بين الجسر والجزيرة في كتاب الدرة المنيرة.

وكان المأكول والمشروب مجالاً للمفاضلة والتفضيل.

فقد فاضل علي بن الشاه الظاهري بين الخبز والزيتون في كتاب بهذا الاسم، وفاضل أيضا بين اللحم والسمك في كتاب حرب اللحم والسمك. وفاضل محمد بن يعقوب الفيروزأبادي بين العسل وغيره في كتاب تثقيف الأسل، وفضّل محمد بن محمد الخيضري اللبن عليه في كتاب تقويم الأسل.

وفاضل مؤلفون بين الشعر والنثر في كتب مثل الأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة لشافع بن علي العسقلاني، وكتاب تفصيل السعر في تفضيل الشعر لسريحا بن محمد الملطي (ت ٧٨٨هـ).

وكان الفرق بين الورد والنرجس موضوعاً للمفاضلة في كتب مثل مفاخرة الورد والنرجس لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وكتاب الجوهر الفرد في المناظرة بين النرجس والورد لعلي بن عثمان بن التركماني (ت ٧٥٠هـ).

وتناظرت بعض المهن في كتب مثل المحاكمة بين الحكيم والكيميائي لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وكتاب منية اللبيب في مناظرة المنجم والطبيب لمحمد مؤمن.

وتناظر الشيب والشباب في كتب كثيرة، مثل كتاب الشباب وفضله على الشيب لمحمد بن أحمد الحكيمي، وكتاب الشبان والشيب لمحمد بن أحمد الحلبي (ت ب ٣٧٢هـ)، وحسن الخطاب في الشيب والشباب لعبد الرحمن بن الجوزي، والفتح القريب بفضل الكبر والمشيب لمحمد بن أبي محمد البكري.

وكانت بعض فصول السنة مجالاً للمفاضلة بينها وفصول أخرى في كتب مثل كتاب الشتاء والصيف لسهل ابن محمد السجستاني، وكتاب سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف للجاحظ، وكتاب الشتاء والصيف لمحمد بن خلف بن المرزبان، وكتاب مناظرة الخريف والشتاء لعمرو ابن زكريا البرهاني (ت ٥٤٩هـ)، ومقامة المفاخرة بين الصيف والشتاء للفاضل بن عزوز التونسي.

وفاضل مؤلفون بين بعض الظواهر الجوية أو الطبيعية في كتب مثل العجائب في تفضيل المشارق على المغارب للسيوطي، وكتاب تفضيل ذي الحجة لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب مناظرة الشمس والقمر لمسعود القمي (ت ٨٩٧هـ)، وكتاب الفلك الدوار في تفضيل الليل على النهار للسيوطي، وكتاب نضرة البهار في محاورة الليل والنهار، وكتاب غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء لمحمد بن محمد الجزائري.

وكان الفرق بين الغنى والفقر والعلم والجهل موضوعاً للمفاضلة في كتب مثل شرف الفقراء على الأغنياء لمحمد ابن خفيف الشيرازي، وفضل الفقر على الغنى لعلي بن عمر السرمري (٢٥٧-٣٣٨هـ)، وشرف الفقراء وبيان أنهم الأمراء لمحمد بن أبي محمد البكري، وكتاب فضل الفقر على الغنى لعلي بن محمد بن المصري، ومقامة المناظرة بين العلم والجهل لمحمد بن محمد الغول (منتصف ق١٣هـ).

ولم تقتصر المفاضلة والمفاخرة على ما ذكر؛ بل تعدت ذلك إلى ما قد لا يُظن أنه يحتمل المفاخرة. فقد فاضل علي ابن محمد المدائني بين فئتين من النساء في كتاب من فضّل الأعرابيات على الحضريات، وفاضل علي بن الشاه الظاهري بين أداتين من أدوات الزينة في كتاب فخر المشط على المرآة، وفاضل أبو العنبس الصيمري بين عضوين من أعضاء الجسم في كتاب فضل السرم على الفم، وفضل محمد بن خلف بن المرزبان الكلاب على بعض البشر في كتاب تفضيل الكلاب على أكثر من لبس الثياب، وفضل محمد بن علي الشلمغاني (ت ٣٢٢هـ) الكلام على السكوت في كتاب فضل النطق على الصمت، وفضل محب الدين الطبري الطواف على العمرة في كتاب عواطف النصرة، بينما فضل عبد الرحمن بن علي الفارسكوري (ت ٨٠٨هـ) العمرة على الطواف في كتاب الإنصاف، وفاخر عبد الباقي بن عبد المجيد تاج الدين المكي (٦٨٠- ٧٤٣هـ) بين

القنديل والشمعدان في كتاب زهر الجنان، وفاضل محمد ابن يعقوب الفيروزأبادي بين الراحة مع السلامة والسعي مع التعب في كتاب فصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخبزة، وفاخر علي بن أحمد الكيزواني (٨٨٨-٩٥٥هـ) بين الباطن والظاهر في كتاب نثر الجواهر، وناظر إبراهيم ابن صالح الهندي (ت ١٠٩٩هـ) بين القوس والبندق في كتاب براهين الاحتجاج والمناظرة، وفاخر محمد بن محمد الجزائري بين الغربة والإقامة في كتاب أبهى مقامة.

وقد أسهم مؤلفو العراق بأكثر من أربعين في المئة من مجمل الإنتاج. واستأثر القرن الثالث بما يقرب من ربع ما كتبه المؤلفون المسلمون في موضوعات المفاخرة. وممن أكثر من الكتابة فيها الجاحظ، وجلال الدين السيوطي، وسهل ابن محمد السجستاني، وعبد الرحيم بن الحسين الحافظ العراقي، وعلي بن الشاه الظاهري، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن أبي محمد البكري، ومحمد بن خلف بن المرزبان، ومحمد بن محمد الجزائري، ومحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والهيثم بن عدي الكوفي.

ويستوقف النظر في كتب المفاخرة ما تضمن منها من مفاخرة بين السيف والقلم. فهذه الأعمال غالباً ما تنتهي بتفضيل القلم على السيف لأن من كتبها، مثل أحمد ابن محمد بن برد الأندلسي [٣٥]، وعلي بن هبة الله بن ماكولا [٣٦]، ومحمد بن خلف بن المرزبان [٣٧] كانوا رجال قلم، بل إن أحدهم وهو شافع بن علي العسقلاني كان ضريراً [٣٨]، فكان من البديهي أن تنتهي كذلك. وهنا يبدو أنه لا محيص من محاولة تتبُّع علاقة بين كون من فضّل القلم على السيف إنما كانوا من غير العرب الذين كانوا هم قادة الجيوش في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية.

كما يستوقف النظر أيضاً ما ظهر من أعمال فضّل فيها أصحابها العجم على العرب. وهؤلاء كانوا فُرساً أو بشكنس في الأصل، واشتهر عنهم كرههم للعرب. ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى الذي كان يرى رأي الخوارج [٣٩]، وذكر النديم أنه كان أحد الموالي، ونقل ما يفيد بأن أصله يهودي، وأنه كان يرى رأي الخوارج، ولما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره، وأنه "عمل كتاب المثالب الذي كان يطعن فيه على بعض أسباب النبي ﷺ [...] وكان مع ذلك كله وسخاً مدخول الدين مدخول النسب." [٤٠].

وسعيد بن حميد بن البختكان الذي كان له أصل قديم في الفرس، وكان شديد العصبية على العرب [٤١]، وأبو عامر بن غرسية الذي لم يكن يخفي كرهه للعرب [٤٢].

كما يستوقف النظر ما كتب في موضوع المناقب والمثالب. فقد خاض فيها مؤلفون كُثر لا يُبرأون من الهوى. فأحمد بن محمد الجهمي - مثلاً - كان مُسِفّاً. وقد أشار النديم إلى أنه كان "يتناول جِلَّة الناس [...] وقع بينه وبين قوم من العُمريين والعثمانيين شر فذكر سلفهم بأقبح ذكر فقال له بعض الهاشميين في ذلك فذكر العباس بأمر عظيم فأنهي خبره إلى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط." [٤٣].

وعلان بن مقصود كان شعوبياً وعرف بذلك. وقال عنه النديم إن "أصله من الفرس [...] عمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها." [٤٤]، وعلي بن الحسن بن فضال ذكر عنه عبد الرحمن بن الجوزي أنه كان "يضعف في الرواية" [٤٥]، وذكر النديم أنه كان من الشيعة [٤٦]. وهشام بن السائب الكلبي وصفه الذهبي بأنه أحد المتروكين، وأورد في حقه "قال أحمد بن حنبل إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث، وقال ابن عساكر رافضي ليس بثقة." [٤٧].

والهيثم بن عدي الكوفي ضعّفه الذهبي وأورد في

حقه "قال عباس الدوري حدثنا بعض أصحابنا قال قالت جارية الهيثم بن عدي كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح يكذب. وقال ابن معين وأبو داود كذاب [...] وقال النسائي وغيره متروك الحديث."[٤٨].

ونعمان بن محمد بن حيون كان شيعياً فاطمياً من مصر قال عنه الذهبي: "العلامة المارق [...] نبذ الدين وراء ظهره [...] وانسلخ من الإسلام [...] فكان علمه وبالا عليه."[٤٩]. كما كان عباس بن هشام الناشري شيعياً أيضاً [٥٠].

ولوحظ أن الكثرة الغالبة من الأعمال التي ظهرت في المفاخرة خلال القرن الثاني كانت حول الغض من شأن العرب، وقد اتخذت لذلك مدخلاً هو تتبُّع مثالب بعض قبائلهم. ولعل لذلك علاقة بالأوضاع التي سادت خلال العصر العباسي واستمرت حتى ظهر نفوذ الأتراك في عهد المعتصم. ويبدو أن ربط هذا التوجه بما تبوأه العرب من مكانة في عهد الأمويين مما له وجاهته. ويعضد هذا الاستنتاج كون هذه النعرة خفّت كثيراً في القرن الثالث. فلم يظهر إلا كتاب واحد في تفضيل غير العرب على العرب هو كتاب فضل العجم على العرب وافتخارها لابن البختكان، إضافة إلى عدد محدود من كتب المثالب، وظهر إلى جانب هذه كتب في التسوية بين العرب والعجم لابن قتيبة الدينوري، والجاحظ.

واتخذت الكتابات في هذا الموضوع مسارين جديدين، لأولهما علاقة بقيام الدولة العباسية والدولة الفاطمية ويتضمن المفاخرة بين الهاشميين والأمويين. وقد ظهر هذا التوجه في كتاب الفخر بين عبد شمس وبني مخزوم للجاحظ، ورسالة في تفضيل بني هاشم وذم بني أمية لأحمد بن عبيد الله بن عماد، وللآخر علاقة بما أثير حول من أقرب إلى رسول الله ﷺ، العلويون أم العباسيون؟ وتمثّل هذا في ظهور كتب مثل إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم لمحمد بن أحمد بن مرزوق.

٢٧- الملائكة والجن

استأثر هذا العالم غير المرئي باهتمام المؤلفين المسلمين فطرقوا منه نواحي شتى. فقد تناول بعضهم أحوال الملائكة بالبحث. ومن الكتب التي ظهرت في هذا الموضوع رسالة في نوم الملائكة وعدمه لسعد بن محمد بن الديري (٧٦٨-٨٦٧هـ)، وكتاب أخبار الملائكة، وكتاب الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي، وكتاب الكوكب الأجوج بأحكام الملائكة والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج لعلوي بن أحمد السقاف، وكتاب برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي.

وبحث أبو نصر الفارابي ناحيته الفلسفية في كتاب اتفاق أرسطو وأفلاطون في الجن، وظهر كثير من الكتب عن أخبار الجن ابتداء من كتاب أخبار الجن للقيط بن بكر المحاربي، ثم أحاديث الجن والإنس للحسن بن محبوب الزراد (ت ٢٢٤هـ)، وكتاب نوادر الجن للجاحظ، وهواتف الجن لعبد الله بن أبي الدنيا، وأخبار الجن المتمثلين فيه لمحمد بن عمران المرزباني، وإخبار الإخوان عن أحوال الجان ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي، ولقط المرجان في أخبار الجان للسيوطي. بل ظهرت بعض الكتب التي تحدثت عن أشعار عُزيت إلى الجن، مثل كتاب أشعار الجن لمحمد بن عمران المرزباني، وكتاب أشعار تنسب إلى الجن.

وبحث كثير من الفقهاء ومن يحسبون عليهم في فقه أحوال الجن في كتب بدأت في الظهور في منتصف القرن الثامن، مثل آكام المرجان في أحكام الجان لمحمد بن عبدالله الشبلي (ت ٧٦٩هـ)، ومواهب الرحمن في الرواية عن الجان لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي، وكشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، وعقد المرجان فيما يتعلق بالجان لعلي بن إبراهيم الحلبي، وتقعقع السن في نكاح

الجن لحامد بن علي العمادي، وتحلية الزمان في نظم أحكام صنوف الجان لمحمد بن أحمد مشحم الكبير. وتحدثت بعض الكتب عن الجن ومخلوقات أخرى، مثل كتاب بدء خلق إبليس والجن لأحمد بن محمد البرقي، وكتاب شفاء الجنان بأحكام الشياطين والجان، وكتاب تاج السلاطين في معرفة الأبالسة والشياطين.

وقد أسهم مؤلفو العراق بثلث مجمل الإنتاج في هذا الموضوع. وربما يكون لتعدد الأعراق والحضارات في هذه البلاد أثر في ذلك. كما أنه من غير المستبعد أن يكون لورود اسم بابل في القرآن مرتبطاً بالسحر أثر مضاف أيضاً.

واستأثرت ثلاثة قرون هي الرابع والتاسع والحادي عشر بما يقرب من نصف الإنتاج. ويلاحظ أن ما ظهر في العراق من مؤلفات قد اقتصر على الحديث عن الجن، بينما تناولت المؤلفات التي ظهرت في مصر موضوعي الملائكة والجن.

٢٨- المهن والصناعات والعلوم

كتب المسلمون في المهن والصناعات والعلوم وأدابها. ففي مجال تقنية الصناعة ظهرت رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب عمل الأصباغ والمداد والحبر لمحمد بن يزيد (ت ح ٣١١هـ)، وكتاب الأسوس في صناعة الدبوس لمحمد بن عبد العزيز بن جماعة، وكتاب اللباب في علم التراب لأبي عبد الله الزناني.

وظهر في الاقتصاد كتاب الأسعار لما شاء الله المنجم، وكتاب الدنانير والدراهم لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، وأسباب الغنا أي علم الثروة لعلي بن عيد الطرابلسي (ت ١١٣٨هـ). وفي مجال التقييس ظهر كتاب المكاييل والموازين لوكيع القاضي، وكتاب نخبة الزمان في صناعة القبان لعثمان بن علي بن الملك (آخر ق ١٠هـ).

واهتم مؤلفون بالتنبيه على خدع بعض المهنيين، فألفوا فيها أعمالاً مثل رسالة في التنبيه على خدع الكيميائيين ليعقوب بن إسحاق الكندي، وكتاب بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً لابن قيم الجوزية. ونافح آخرون عن بعض المهن في أعمال مثل درء النحس عن أهل المكس لمحمد بن محمد الدلجي (ت ٩٤٩هـ)، وتنويق النطاقة في علم الوراقة لعبد الرحمن بن مسك السخاوي، ورسالة في مدح الوراقين. وعرض غيرهم لآداب بعض المهن، مثل كتاب التعريف بآداب التأليف للسيوطي، وكتاب عقد الجمان فيما يلزم من ولي البيمارستان لعبد الواحد بن محمد المغربي (ت ٩٤٤هـ).

وقد بلغ وعي المؤلفين المسلمين في هذا المجال شأواً بعيداً يمكن تلمّسه في محاولتهم تقييس طرائق مزاولة هذه المهن. فقد عرض السقطي المالقي لأنماط مختلفة من المهن وما ينبغي على المحتسب الالتفات إليه حين النظر فيها[٥١]. كما عرض محمد بن علي بن طولون الدمشقي لأكثر من مئة وعشرين منصباً وما يجب أن يتصف به متولي كل منها[٥٢].

وأفرد مؤلفون آخرون بعضاً من قضايا العلم النظرية المركزية بالتأليف. فقد ظهر كتاب حدود الأكبر والأصغر لعلي بن عيسى الرماني، ودلالة البرهان على أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان لإبراهيم بن عمر الرباط البقاعي، وأعذب المناهل في حد من قال إنه عالم فهو جاهل للسيوطي. كما ظهر عملان فيما لا ينحل هما رسالة في حل ما لا يحل لمحمد بن أحمد الخضري (ت ٩٢٨هـ)، وكتاب حل ما لا ينحل لجلال الدين دانشمند.

وقد أسهم مؤلفو العراق بثلث مجمل الإنتاج في هذا الموضوع، وتوزع معظم الإنتاج المعروف على نحو يكاد يكون متساوياً بين القرن الثالث والقرن التاسع والقرن العاشر. وتمثل إنتاج مصر في هذا الموضوع فيما له علاقة بالعلم والتأليف، واهتم مؤلفو الشام بالصناعة والمهن، وركز مؤلفو العراق على الأوزان والأسعار.

٢٩- النساء والغلمان والتغزل

كتب المؤلفون المسلمون فيما تغزل فيه مجتمعهم. وقد حظي الخال بكثير مما كتب، فظهرت فيه أعمال عديدة، مثل كشف الحال عن وصف الخال لخليل بن أيبك الصفدي، وسير الجمال فيما يقال في الخال لأحمد بن إبراهيم سبط العجمي، ورسالة الخال لمحمد بن علي الحرفوشي (ت ١٠٥٩هـ)، وروضة الخيال فيما وقع في الخال لعبد الرحمن بن محمد بن شاشة. وتغزلوا أيضاً في العذار فظهر في هذا خلع العذار في وصف العذار لخليل ابن أيبك الصفدي، ومحمد بن حسن النواجي (٧٨٥-٨٥٩هـ). كما تغزلوا في الثغور والعيون فظهر في ذلك كتاب راحة الخاطر في الثغور والمحاجر، ورسائل الهائم المهجور في العيون والثغور لخليل بن أحمد الأيوبي، وهو كاتب متخصص في هذا الموضوع. وألفوا الكتب التي تصف تغزلهم في المحبوب كله، مثل رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب لأبي العباس بن محمد بن قليتة (ت ٢٣١هـ)، وكتاب العشق لأبي معشر السرخسي، ومثير الأشواق إلى لذيذ التلاق، وكتاب مريح الأنام ومزيد الغرام، وكتاب النظم المستطاب في التوسل إلى الأحباب لخليل بن أحمد الأيوبي، وكتاب نديم الكئيب وحبيب الحبيب لأحمد ابن محمد الحجازي.

وأفرد بعض المؤلفين الغلمانَ والصبيانَ بالتأليف في ستة أعمال هي كتاب أخبار الغلمان لعلي بن الشاه الظاهري، وأخبار الصبيان لمحمد بن مخلد الدوري (٢٣٣-٣٣١هـ)، وكتاب الفتيان للجاحظ، وكتاب الغلمان لأبي الفرج الأصفهاني، وعبد الملك الثعالبي، وكتاب مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان لمحمد بن حسن النواجي. ويلاحظ أن أول كتاب من هذه الكتب قد تأخر ظهوره حتى منتصف القرن الثالث، أي إلى بداية العصر الثاني للدولة العباسية.

وظهرت أعمال كثيرة تتحدث عن النساء بجميع فئاتهن، ومن ضمن ذلك الجواري والقيان. ففيما يتعلق بالنساء تحدثت بعض الكتب عنهن حديثاً عاماً لم تقتصر فيه على موضوع معين، ومن هذه كتاب النساء لحفص بن غياث العنبري، والهيثم بن عدي الكوفي، والجاحظ، وأحمد بن محمد البرقي؛ وكتاب النساء والولدان لعلي بن الحسن بن بابويه (ت ٣٢٩هـ)، وكتاب الرسى لصالحات النسا ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي. وظهرت كتب تتضمن أخبارهن، مثل كتاب أخبار النساء لعلي بن الشاه الظاهري، والنساء وما جاء فيهن من الخير والمحاسن وما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن لهارون بن علي المنجم، وأخبار النساء الممدوحات لمحمد بن أحمد بن أبي الثلج (ت ح ٣٢٥هـ)، وأخبار النساء لابن حاجب النعمان (٣٤٠-٤٢١هـ)، وتاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء لعلي بن أنجب البغدادي (٥٩٣-٦٧٤)، ونزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع لبدر الدين الصديقي، وابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار.

كما ظهرت كتب تتحدث عن سلوك فئة منهن، وأخرى عن معاملتهن. فمن الفئة الأولى كتاب عجائب النساء لعبد الرحمن بن الجوزي، والعنوان في الاحتراز من مكائد النسوان لعلي بن عمر بن البتنوني (ح ٩٠٠هـ)، والعنوان في سلوك النسوان لعلي بن حسام الدين المتقي (٨٨٥-٩٧٥هـ). ومن الفئة الثانية كتاب عشرة النساء لسليمان بن أحمد الطبراني، والإصابة في منع النساء من الكتابة لنعمان بن محمود الألوسي (١٢٥٢-١٣١٧هـ)، والاكتراث بحقوق الإناث لمحمد بن مصطفى بن باكير (أوائل ق ١٤هـ)، وكتاب عشرة النساء لعبد الرحمن بن عثمان الصدفي، وهو عمل ضخم في عدة مجلدات.

وفيما يتعلق بالجواري ظهرت كتب تتضمن بعضاً من أخبارهن وكيفية اقتنائهن، مثل الإماء الشواعر لأبي الفرج

الأصفهاني، وكتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري للمختار بن الحسين بن بطلان (ت ٤٦١هـ)، وكتاب كنس الجواري في الحسان من الجواري لأحمد بن محمد الحجازي، والقول السديد في اختيار الإماء والعبيد لمحمود ابن أحمد بن الأمشاطي (٨١٥-٩٠٢هـ)، والمستظرف في أخبار الجواري للسيوطي، والسلسل الجاري في ذكر الجواري لحمزة بن علي الناشري.

أما القيان فتحدثت عنهن كتب عديدة، مثل كتاب القيان ليونس بن سليمان المغني، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأبي معشر السرخسي؛ وكتاب قيان الحجاز لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخبار القيان لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب قيان الحجاز، وكتاب قيان مكة لسليمان ابن أيوب المدني، وكتاب نزهة الملوك والأعيان في أخبار القيان والمغنيات الدواخل الحسان لأبي الفرج الأصفهاني.

وقد أسهم مؤلفو العراق بما يزيد على أربعين في المئة من مجمل الإنتاج الذي ظهر في هذا الموضوع. واستأثر القرن الثالث والقرن الرابع والقرن التاسع بأكثر من ثلثي الإنتاج. ولوحظ أن ما ظهر في بلاد العرب تركز حول القيان وأخبارهن، وأن جُل ما ظهر في مصر اهتم بوصف العلاقة بين المحب والمحبوب. كما لوحظ أن ما ظهر حول الغلمان كان جله في القرنين الثالث، والرابع الهجريين.

الاستنتاجات

اعتماداً على البيانات التي جمعت عن الأعمال المدروسة، وعلى استقراء الأحوال الاجتماعية والثقافية للبلدان التي ظهرت فيها هذه الأعمال توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١ - اتسم التوزيع الموضوعي للإنتاج المدروس بشيء من التكتل. فقد شكلت القصص والنوادر ما يزيد قليلاً على ثلاثة عشر في المئة. وتبعتها سبعة موضوعات هي المفاخرة، والتاريخ، والحيوانات، واللغة، واللهو، والعادات والتقاليد والسلوك، والجنس، كانت أوزانها العددية متقاربة، وبلغت في مجملها ما يزيد قليلاً على خمسين في المئة من مجموع الإنتاج.

٢ - ظهر خلال القرن الثالث من الإنتاج المدروس أكثر مما ظهر خلال أي قرن آخر، وقد زاد على القرن الذي يليه عدداً في الإنتاج وهو القرن الثاني بما يقرب من ستين في المئة. ويبلغ مجموع ما ظهر في القرن الثاني، والقرن الثالث، والقرن الرابع، ما يزيد قليلاً على ستة وأربعين في المئة من مجمل الإنتاج. ونقص معدل ما ظهر في القرون التي تلت هذه حتى القرن التاسع.

٣ - شهد القرن التاسع زيادة كبيرة عن القرون الأربعة التي سبقته. وربما يعود هذا إلى حرص المؤلفين على تدوين إرثهم الفكري في مواجهة غزوات البرابرة من المشرق والمغرب، وكان من مظاهر هذا الحرص ظهور الأعمال التجميعية والكتب الموسوعية.

٤ - قلّ ما شملته الدراسة من إنتاج خلال القرن الرابع عشر. ولعل السبب في هذا يعود إلى ضعف تغطية أدوات الضبط الببليوجرافي لأعمال هذا القرن.

٥ - أسهم المؤلفون الذين عاشوا في العراق أو وفدوا إليها بما يقرب من أربعة وأربعين في المئة من الإنتاج المدروس. وشكل إنتاجهم مع إنتاج مؤلفي مصر والشام خمسة وستين في المئة من مجمل هذا الإنتاج. وربما يعود هذا إلى أنها كانت مناطق جذب للعلماء بما توافر فيها من مراكز سياسية وثقافية شد إليها هؤلاء رحالهم من أنحاء العالم الإسلامي المختلفة.

٦ - قل ما شملته الدراسة من إنتاج بلاد العرب، واليمن، والأندلس، وما وراء النهر، والهند. ولعل السبب في هذا يعود إلى أن كثيراً من علماء هذه البلاد نزحوا إلى حواضر المشرق فعُدّوا من أهلها، أو أن تغطية

أعمال الضبط الببليوجرافية، وأعمال الضبط العامة، والكتب التي أرخت للعلوم غير متوازنة ابتداءً.

٧ – أسهم ٦٢٩ مؤلفاً معروفاً بـ ١٥٤٣ عملاً، إضافة إلى ٤٣٢ عملاً لمؤلفين مجهولين لا يعرف عددهم. وأسهم ما يزيد قليلاً على تسعة في المئة من المؤلفين بما يزيد قليلاً على خمسة وأربعين في المئة من مجمل الإنتاج المعلوم مؤلفه. كما أن ٤,٢٩ في المئة من المؤلفين أسهموا بـ ٣٢,٣٤ في المئة من مجمل الإنتاج المعلوم مؤلفه.

٨ – أسهم مؤلفو العراق بأكثرية الإنتاج في ثلاثة وعشرين موضوعاً من موضوعات الدراسة، واقتسموا الأكثرية مع مؤلفي مصر في موضوع واحد، ومع مؤلفي الشام في موضوع واحد. وأسهم مؤلفو مصر بأكثرية الإنتاج في موضوعين، ومؤلفو الشام ومؤلفو فارس في موضوع واحد.

٩ – كان القرن الثالث الهجري هو قرن أغلبية الإنتاج في أربعة عشر موضوعاً من الموضوعات المدروسة، واقتسم الأغلبية في أربعة موضوعات أخرى مع القرن الثاني والقرن الرابع والقرن التاسع. وقد تبعه القرن التاسع بمدى بعيد فكان قرن أغلبية الإنتاج في أربعة موضوعات، واقتسم الأغلبية مع قرنين آخرين هما الثالث والثالث عشر.

١٠– يبدو أن ثراء الحركة الفكرية عند المسلمين كان من بين أسباب كثرة ظهور الغريب والفريد من المؤلفات. ويعضّد هذا كون معظم أعمال الغريب والفريد إنما ظهر خلال القرن الثاني، والقرن الثالث، والقرن الرابع، وهي قرون الإبداع في الحضارة الإسلامية التي ظهرت فيها الكتب الأساس في معظم العلوم. لهذا كان هاجس الأصالة من الدوافع التي حدت بالمؤلفين إلى طرق هذه الموضوعات الفريدة والغريبة.

١١– كان من بين المؤلفين الذين شملتهم هذه الدراسة مؤلفو أغلبية بلغ عددهم سبعة وعشرين أسهم كل منهم بعشرة أعمال أو أكثر، وكتب هؤلاء ٦٩٩ عملاً تمثل ٣٢,٣٤ في المئة من مجمل الإنتاج المعلوم مؤلفه. وتراوح عدد إنتاج هؤلاء ما بين عشرة أعمال وتسعة وستين عملاً .

١٢– أظهرت الدراسة أن للأحوال الاجتماعية والثقافية علاقة لا يمكن غض النظر عنها باتجاهات التأليف.

التوصية ببحوث مستقبلية

ما يزال مجال غرائب التأليف وفرائده عند المسلمين مظنة بحث مستفيض لاتسامه بالسعة والتنوع، وقد تساعد موالاة تقصي أوجهه الموضوعية المختلفة على فهم أشمل للحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في مراحل مختلفة من تاريخها. وربما تؤكد دراسات أخرى تشتمل على أعمال غير ما بُحث في هذه الدراسة – وهي كثيرة – نتائجها أو تصحح مسارها.

وقد يكون من المفيد تتبع غرائب التأليف وفرائده عند المسلمين في الفصول التي وردت في الكتب الموسوعية، وكتب المجموعات، وكتب النوادر، وكتب الأوليات، وكتب الأدب، وكتب المعاني، وكتب التراجم، وما في حكمها.

كما قد يكون من المفيد التثبت من بقاء كثير من هذه الكتب، وبالأخص ما وردت أخباره منها في الكتب المتقدمة، مثل الفهرست للنديم، وفهرس البوني، وكتاب أخبار المصنفين وما صنفوه للقفطي، وكذلك ما الذي نشر منها، وما الذي ما يزال مخطوطاً.

ونظراً لما اعتور بعض هذه المؤلفات من شك في النسبة فربما تفيد دراسة يكون هدفها التحقق من صحة عزوها إلى مؤلفيها في رسم واقع أكثر صحة عن جزء لا ينبغي إغفاله من ميراث المسلمين.

الهوامش

١. الزركشي، محمد بن بهادر. **البرهان في علوم القرآن**. ج ١. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ. ص ص ٩-١٢.

٢. السيوطي، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. ج ٢. بيروت: دار المعرفة. د.ت. ص ص٢٦٦-٢٦٨.

٣. طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. ج ٣. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ. ص ص ٥٨١-٥٩٣.

٤. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. ج ١. مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، د.ت. ص ٧.

٥. ابن جماعة الكناني، إبراهيم بن سعد الله. **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**. تحقيق محمد هاشم الندوي. حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٤هـ. ص ٣٠.

٦. ساعاتي، يحيى محمود. **صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي**. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ ص ص ٧١-٨١.

٧. النديم، محمد بن إسحاق. **الفهرست**. تحقيق رضا تجدد. طهران: دار المسيرة، ١٩٨٨م، ص ص ١٠١-١٠٢.

٨. المصدر السابق. ص ٣٦٧.

٩. حاجي خليفة. مصدر سابق. ص ١٤٥.

١٠. ابن سعيد، علي بن موسى. **المغرب في حلى المغرب**. ج ١. حققه وعلق عليه شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٣م. ص ص ١٩٩-٢٠٣.

١١. المقري، أحمد بن محمد. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. ج ٣. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ. ص ص ١٢٢-١٢٨.

١٢. ابن خلدون، عبد الرحمن. **مقدمة ابن خلدون**. ط ٣. ج ٣. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م. ص ١١٠٠.

١٣. حاجي خليفة. مصدر سابق. ص ٦٩٥.

١٤. ساجقلي زادة، محمد بن أبي بكر المرعشي. **ترتيب العلوم**. دراسة وتحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ. ص ص ١٩١-١٩٢.

١٥. البيضاوي، عبد الله بن عمر. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ط٢. ج ١. القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ. ص٥٤٥.

١٦. القشيري، عبد الكريم بن هوازن. **الرسالة القشيرية**. ج ٢. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٢م. ص ٤٨٢.

١٧. الزرنوجي، إبراهيم. **تعليم المتعلم طريق التعلم**. تحقيق مروان قباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ. ص ٦٤.

١٨. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ج ٧. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. ص ١٣١، وص ١٧٢، وص ٢٠٠، وص ٢٢٥، وص ٢٣٧، وص ٣٠٣، وص ٣٥٩.

١٩. مختار، محمد. **كتاب التوفيقات الإلهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية**. ج٢. دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ. ص ١٠٤٣، وص ١٠٥٦، وص ١٠٤٦، وص ١٠٦٧، وص ١٠٧١، وص ١٠٨٦.

٢٠. ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم. **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**. تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٧م. ص١٨٠.

٢١. التهانوي، محمد بن علي. **كشاف اصطلاحات الفنون**. ج ١. تحقيق علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م، ص ص ٤٢-٤٣.

٢٢. طاش كبري زاده. مصدر سابق. ص ٢٧٧.

٢٣. النديم. مصدر سابق. ص ٣٦٧.

٢٤. ابن العماد الحنبلي. ج ٢. مصدر سابق. ص ٣٣١.

٢٥. ابن الأثير، علي بن محمد. **الكامل في التاريخ**. ج ٨. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م. ص ٦١٩.

٢٦. التنوخي، المحسن بن علي. **الفرج**

بعد الشدة. ج ٤. تحقيق عبود الشالجي. بيروت: دار صادر، ١٩٧٨م. ص ص ٢٣٨-٢٤٠.

٢٧. ابن الأثير. مصدر سابق. ج ٨، ص ١١٣، وج ٨، ص ٤١٦.

٢٨. المصدر السابق. ص ٤١٦، وص ٤٨١.

٢٩. المصدر السابق. ص ٧١٠.

٣٠. ميتز، آدم. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. ط ٤. ج ٢. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٧هـ. ص ٤٠٠.

٣١. النديم. مصدر سابق. ص ٧١.

٣٢. فروخ، عمر. **تاريخ العلوم عند العرب**. ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م. ص ص١٨٠-١٨٥.

٣٣- الخوارزمي، محمد بن أحمد. **مفاتيح العلوم**. ط ٢. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ. ص ص ٢٥٩-٢٦٦.

٣٤. الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان. **إحصاء العلوم**. بيروت: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ١٩٩٦م. ص ص ٤٩-٦٢.

٣٥. السيوطي. جلال الدين. طبقات المفسرين . ج ١. تحقيق علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٢هـ. ص ٦٧.

٣٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. ج ١٧. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ. ص ٨.

٣٧. الذهبي. محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**. ط ٨. ج ١٤. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ. ص ٢٦٤.

٣٨. اسماعيل باشا البغدادي. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. ج ٢. مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية، د.ت. ص ٤١٤.

٣٩. الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ط ٨. ج٩. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ. ص ٤٤٥.

٤٠- النديم. مصدر سابق. ص ص ٥٨-٥٩.

٤١- المصدر السابق. ص ١٣٧.

٤٢- ابن سعيد المغربي. علي بن موسى. **المغرب في حلى المغرب**. ج ٢. حققه وعلق عليه شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م. ص ٣٥٥، وص ص ٤٠٦-٤٠٧.

٤٣ النديم. مصدر سابق. ص ١٢٤.

٤٤ المصدر السابق. ص ١١٨.

٤٥- ابن الجوزي. مصدر سابق. ج١٦. ص ٢٦٣.

٤٦- النديم. مصدر سابق. ص ٢٧٨.

٤٧- الذهبي. مصدر سابق. ج ١٠. ص ١٠١.

٤٨- المصدر السابق. ص ١٠٣.

٤٩- الذهبي. مصدر سابق. ج ١٦. ص ص ١٥٠-١٥١.

٥٠- الباباني، إسماعيل بن محمد أمين. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**. ج ١.مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، د.ت. ص ٣٥٣.

٥١- السقطي المالقي، محمد بن أبي محمد. **في آداب الحسبة**. تحقيق ومراجعة حسن الزين. بيروت: مؤسسة دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ. ص ص ٢٦-٨٨.

٥٢- ابن طولون الدمشقي، محمد بن علي. نقد الطالب لزغل المناصب. تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان. دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤١٢هـ. ص ص ٢٤-١٩٦.

المصادر والمراجع

- ابن الأبار القضاعي، محمد بن عبد الله. **التكملة لكتاب الصلة**. تحقيق عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

- ابن الأبار القضاعي، محمد بن عبد الله. **الحلة السيراء** . ط٢. تحقيق حسين مؤنس . القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٥م.

- **أخبار التراث العربي**، ١٩٨٢م - .

- الأدنروي، أحمد بن محمد. **طبقات المفسرين**. تحقيق سليمان بن صالح الخزي. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧م.

- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. **تاريخ أصبهان**. تحقيق سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. شرح وتعليق

نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٨؟هـ.

- آغا بزرك الطهراني، محمد محسن. **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**. نقحه وزاد فيه ع. المنزوي. طهران: دفتر عن الذريعة، ١٣٧٨-١٣٨٠هـ.

- **آفاق الثقافة والتراث**.

- ابن الأكفاني، عبد العزيز بن أحمد. **نيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**. تحقيق عبد الله بن أحمد بن سلمان الحمد. الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هـ.

- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم. **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**. تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٧م.

- الباباني، إسماعيل بن محمد أمين. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**. مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، د. ت.

- برنامج الوادي آشي. تحقيق محمد محفوظ. ط ٣. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

- بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة عبد الحليم النجار. ط ٣. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨-١٩٧٤م.

- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك. **الصلة**. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٠هـ.

- البغدادي، إسماعيل باشا. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، د. ت.

- البيضاوي، عبد الله بن عمر. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ط ٢. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ.

- البيطار، عبد الرزاق بن حسن. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٦١-١٩٦٣م.

- **التراث والحضارة**، ١٩٧٨م- .

- تقي الدين المكي، محمد بن أحمد. **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.

- ابن تميم القيرواني، محمد بن أحمد. **طبقات علماء أفريقية وتونس**. ط٢. تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي. تونس: الدار التونسية، ١٤٠٥هـ.

- التهانوي، محمد بن علي. **كشاف اصطلاحات الفنون**. تحقيق علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

- التونكي، محمود حسن خان. **معجم المصنفين**. بيروت: مطبعة طبارة، ١٣٤٤هـ.

- الجبوري، عبد الله. **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد**. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ١٣٩٣هـ.

- الجرجاني، حمزة بن يوسف. **تاريخ جرجان**. ط ٣. تحقيق محمد عبد المعيد خان. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠١هـ.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، د. ت.

- ابن حبان البستي، محمد. **مشاهير علماء الأمصار**. تحقيق م. فلايشهمر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٩م.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ط ٢. تحقيق محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م.

- الحسيني، محمد بن علي. **ذيل تذكرة الحفاظ**. تحقيق حسام الدين القدسي. بيروت: دار الكتب العلمية، ؟١٤٠هـ.

- ابن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر. **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**. ط ٢. تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

- ابن حيان، محمد بن خلف. **أخبار القضاة**. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٦٦-١٣٦٩هـ.

- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٤٩هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن. **مقدمة ابن خلدون**. ط ٣. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م.

- ابن خلكان، أحمد بن محمد. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨م.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد. **مفاتيح العلوم**. ط ٢. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ.
- الخوانساري، محمد باقر. **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**. تحقيق أسد الله إسماعيليان. طهران: مكتبة إسماعيليان، ١٣٩٠-١٣٩٢هـ.
- ابن خياط، خليفة. **الطبقات**. ط ٢. تحقيق أكرم ضياء العمري. الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ .
- الداري، تقي الدين بن عبد الهادي. **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣-١٤١٠هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧-١٤١٥هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**. ط ٨. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد. **العبر في خبر من غبر**. ط ٢. تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد. الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٤٠٤-١٤٠٦هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد. **المعين في طبقات المحدثين**. تحقيق همام عبد الرحيم سعيد. عمّان: دار الفرقان، ١٤٠٤هـ.
- رياضي زادة، عبد اللطيف بن محمد. **أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون**. تحقيق محمد التونجي. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٨هـ.
- ابن زبر الربعي، محمد بن عبد الله. **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم**. تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد. الرياض: دار العاصمة، ١٤١٠هـ.
- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.
- الزرنوجي، إبراهيم. **تعليم المتعلم طريق التعلم**. تحقيق مروان قباني. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ.
- ساجقلي زاده، محمد بن أبي بكر المرعشي. **ترتيب العلوم**. دراسة وتحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ.
- ساعاتي، يحيى محمود. **صورة الحياة العلمية في القرن التاسع الهجري من خلال الضوء اللامع للسخاوي**. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي. **طبقات الشافعية الكبرى**. ط ٢. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي. الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٢م.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥٣-١٣٥٥هـ.
- سركيس، يوسف إليان. **معجم المطبوعات العربية والمعربة**. القاهرة: مكتبة يوسف إليان سركيس، ١٣٤٦هـ.
- سزكين، فؤاد. **تاريخ التراث العربي**. نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي وآخرون. الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٣-١٤١٠هـ.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى. **المغرب في حلى المغرب**. حققه وعلق عليه شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م.
- السقطي المالقي، محمد بن أبي محمد. **في آداب الحسبة**. تحقيق ومراجعة حسن الزين. بيروت: مؤسسة دار الفكر الحديث، ١٤٠٧هـ.
- سيد، فؤاد. **فهرس المخطوطات المصورة**. القاهرة: جامعة الدول العربية ـ معهد المخطوطات العربية، ١٣٧٤هـ.
- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة. د. ت.
- السيوطي، جلال الدين. **طبقات المفسرين**. تحقيق علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٢هـ.
- ابن شاكر الكتبي، محمد. **فوات الوفيات**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٣٩٣هـ.

- ابن أبي شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل. **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**. تحقيق إبراهيم الزيبق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م.
- ششن، رمضان (وآخرون). **فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي**. إستانبول: منظمة المؤتمر الإسلامي - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ؟١٤٠٩هـ.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي. **طبقات الفقهاء**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ.
- صالحية، محمد عيسى. **المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع**. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٤١٢هـ.
- الصفدي، خليل بن أيبك. **الوافي بالوفيات**. باعتناء هلموت ويتر وآخرون. فيسبادن: جمعية المستشرقين الألمانية، ١٣٨١-١٤٠٣هـ.
- الضبي، أحمد بن يحيى. **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**. تحقيق فرسكو كودير. ليدن: بريل، ؟١٣٨هـ.
- طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن. **الفهرست**. ط ٢. د. م: د. ن، ١٣٨٠هـ.
- ابن طولون الدمشقي، محمد بن علي. **نقد الطالب لزغل المناصب**. تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان. دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤١٢هـ.
- **عالم الكتاب**، ١٩٨٤م .
- ابن عبد الملك المراكشي، محمد. **الذيل والتكملة**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٤-١٣٨٥هـ.
- ابن عساكر، علي بن الحسن. **تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل**. دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٨-١٤٠٤هـ.
- ابن عساكر، علي بن الحسن. **المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل**. تحقيق سكينة الشهاب. دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. **فهرس ابن عطية**. تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
- العليمي، عبد الرحمن بن محمد. **الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**. تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٢هـ.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- العيدروسي، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله. **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- الغزي، محمد بن محمد. **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**. ط٣. تحقيق جبرائيل سليمان جبور. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ.
- الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان. **إحصاء العلوم**. بيروت: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ١٩٩٦م.
- ابن فرحون اليعمري، إبراهيم بن علي . **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث، ١٣٩٢هـ.
- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد. **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٣هـ.
- فروخ، عمر. **تاريخ العلوم عند العرب**. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- فنديك، إدوارد. **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**. القاهرة : مطبعة الهلال، ١٣١٣هـ.
- الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب. **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**. تحقيق محمد المصري. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد. **طبقات الشافعية**. تحقيق الحافظ عبدالعليم خان. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.

- القزويني، عبدالكريم بن محمد الرافعي. **التدوين في أخبار قزوين**. تحقيق عزيز الله العطاردي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م .

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن. **الرسالة القشيرية**. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٢م.

- ابن قطلوبغا، قاسم. **تاج التراجم**. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دمشق : دار القلم، ١٤١٣هـ.

- القفطي، علي بن يوسف. **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** . القاهرة: مكتبة المتنبي، ؟١٤٠هـ.

- القفطي، علي بن يوسف. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ.

- القنوجي، صديق بن حسن. **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**. تحقيق عبد الجبار زكار. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. ط ٢. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

- كحالة، عمر رضا. **معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافية والرحلات**. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

- كحالة، عمر رضا . **معجم المؤلفين**. بيروت: مكتبة المتنبي، ١٣٧٦هـ.

- **مجلة التراث العربي**، ١٩٧٩م - .

- **مجلة عالم الكتب**، ١٤٠٠هـ - .

- **مجلة عالم النوادر**، ١٤١٧هـ - .

- **مجلة معهد المخطوطات العربية**، ١٩٥٥م - .

- المحبي، محمد أمين بن فضل الله. **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ.

- مختار، محمد. **كتاب التوفيقات الإلهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية. دراسة** وتحقيق وتكملة محمد عمارة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ.

- ابن مخلوف، محمد بن محمد. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**. بيروت: دار الكتاب العربي، ؟١٣٨هـ.

- المرادي، محمد خليل بن علي. **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**. بغداد: مكتبة المثنى، ؟١٣١هـ .

- المقري، أحمد بن محمد. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

- المنجد، صلاح الدين. **معجم المخطوطات المطبوعة ١٩٥٤- ١٩٧٠م**. بيروت: دار الكتاب الجديدة، ١٩٦٧-١٩٨٢م.

- الميهي، أحمد ومحمد الببلاوي. **فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية**. القاهرة: الكتبخانة الخديوية المصرية، ١٣٠٧هـ.

- **الناشر العربي**، ١٩٨٣م .

- النديم، محمد بن إسحق. **الفهرست. تحقيق رضا تجدد**. طهران : دار المسيرة، ١٩٨٨م.

- ابن أبي هاشم، عبد الواحد بن عمر. **أخبار النحويين** . تحقيق مجدي فتحي السيد. طنطا : دار الصحابة للتراث، ١٤١٠هـ.

- الهاشمي ، عمر بن فهد . **معجم الشيوخ**. تحقيق محمد الزاهي. الرياض : دار اليمامة، ١٤٠٢هـ.

- هويسمان. **فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم**. ليدن: بريل، ١٩٦٧م.

- ابن أبي الوفاء، عبد القادر بن محمد. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**. تحقيق عبد الوهاب محمد الحلو. القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ .

- ياقوت بن عبد الله الحموي. **معجم الأدباء** . تحقيق دافيد صمويل مرجليوث . بيروت: دار إحياء التراث العربي. (نسخة مصورة عن طبعة دار المأمون بالقاهرة).

- ياقوت بن عبد الله الحموي. **معجم البلدان** . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ.

- ابن أبي يعلى، محمد. **طبقات الحنابلة**. تحقيق محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة، ؟١٣٨هـ.

نشأة علم التخريج وأطواره

عبدالله بن عبدالمحسن التويجري
كلية أصول الدين بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) ﴿ يأيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن علم التخريج من العلوم التي شرفها الله ؛ لكونه وسيلة من وسائل الوصول إلى السنة وتيسير التعامل معها ، وهو من المعارف المهمة للأمة ؛ لأنه به يمكن التعامل والإفادة من دواوين السنة - التي هي المصدر الثاني للشرع - وإلا أصبح هناك فجوة كبيرة بين المسلم وذلك المصدر العظيم ، فدواوين السنة كثيرة جداً ، ومناهجها مختلفة ، والأحاديث والآثار ضرورية لمن أراد فهم مراد الله في هذا الشرع الذي أنزله ، كما أنه الطريق الأبرز لمن أراد خدمة السنة والذب عن حياضها ، وبه يتحقق من الزيف والصحيح ، ويعرف الغث من السمين .

والتخريج أيضاً حاله حال بقية الفنون نشأ عند الحاجة إليه ، ثم مر بأطوار حتى وصل إلينا بهذه الصورة، ولاشك أن معرفة تاريخ الفن ومراحل نشأته وأطواره أمر مهم لطالب العلم والمتخصص فيه ، وأهل السنة وفرسان الحديث والغواصون في بحاره يحتاجون للتدلي بحبال التخريج ، كي يصلوا إلى الدرر في أعماقه وصدفه ، ولا بد أن تستشرف نفوسهم لمعرفة من نسج تلك الحبال ، وكيف نسجها ، وهذا بلا ريب يحدث في النفس طمأنينة ويقيناً لا يستغني عنهما ذلك الباحث ، فإذا ما عرف القواعد التي وضعها أولئك الأئمة ، وكيف نقدوها وطبقوها عملياً في مصنفاتهم، وكيف أن اللاحق يستدرك على السابق ، ويكمل نقصه ، أدرك أن هذا البناء لم يكن وليد اجتهاد معاصر ، بل كان المتأخرون قاطفي ثمرة وحسب ، لمّوا شتاتها ، ورصوا بنيانها ، ونسقوا صفوفها ، ومع ذلك فلا يزال في هذه المحاولات بعض الثغرات التي تحتاج إلى سد، ومنها موضوع هذا البحث حيث لم أر من اعتنى به

استقلالاً ، وبشكل مفصل ، مع أهميته وشدة الحاجة إليه ، حيث ذكره المصنفون -حديثاً - في قواعد التخريج وأصوله عرضاً ، وغالباً ما يوردونه باختصار في مطالع كتبهم (٤) ، أو يختلط الكلام فيه بمناهج المحدثين وتاريخ السنة النبوية عموماً ، فيكاد تاريخ علم التخريج أن يتلاشى ، أو يصعب تمييزه عنهما (٥) ، أو حتى لا يكون له ذكر واضح في الكتاب عموماً (٦) .

لأجل ذلك كله رأيت من الأهمية بمكان أن أفرد هذا الموضوع بالبحث، وأسطر للمعنيين بعلم الحديث خصوصاً، ولطلاب العلم عموماً هذه الورقات ، مشاركة مني في خدمة السنة النبوية ، فهي الشجرة المباركة التي ما خاب من استظل بظلها ناهيك عن من سقاها واعتنى بها وحماها .

وينبغي أن يعلم أن مما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع أيضاً أني كنت على علاقة مباشرة وطويلة بالتخريج نظرياً وعملياً ، حيث قضيت في أثناء ذلك ما يزيد عن خمسة عشر عاماً ، منها ما يزيد عن ثماني سنوات وأنا أدرس هذه المادة لطلبة كلية أصول الدين ، فكنت أجمع بعض الملاحظات ، وأحدد بعض الثغرات التي تحتاج إلى تعاون لسدها ومعالجتها ، فكان هذا البحث بفضل الله باكورة ما رغبت في إبرازه لإخواني ، وما قصدت به المشاركة في هذا الميدان ، هادفاً بإذن الله إلى تحقيق التكامل ، والمساعدة في تشييد البناء ، مع الاعتراف بفضل السابقين من مشايخي الفضلاء ، وأساتذتي النبلاء ، وبتقصيري عما أتمناه وأرجوه ، وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية :

أولاً : المقدمة وتشتمل على أهمية البحث وسبب اختياره وخطتي فيه .

ثانياً : التمهيد . ويشتمل على عنصرين :

١ - تعريف التخريج لغة واصطلاحاً .

٢ - موضوع علم التخريج وأهميته وفائدته .

وبينت هناك أن علم التخريج ينقسم إلى قسمين : نظري وتطبيقي ، وألقيت الضوء على جانب من جهود العلماء في هذا المجال ، وأنها حققت بفضل الله حماية وصيانة للسنة ، وكذلك تيسيراً وتقريباً لها بين يدي الأمة .

ثالثاً : المبحث الأول : المراحل التاريخية لعلم التخريج ، وأطواره .

وقد تحدثت فيه عن المراحل التي مر بها الجانب النظري منه ، ثم الجانب التطبيقي ، وبينت أن الاصطلاح الذي استقر عليه المحدثون بأن المراد بالتخريج هو " عزو الحديث والدلالة على موضعه في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده " . هذا المعنى قد نشأ مبكراً، وأن الإمام البيهقي - رحمه الله - من أوائل من استخدمه ، وأن هذا الاصطلاح مر بأطوار ، كل واحد أيسر وأوضح من سابقه، حتى وصل إلينا الآن ، ثم بينت الأسباب الإجمالية لهذا التغير .

رابعاً : المبحث الثاني : أنواع التخريج .

وبينت فيه أن أنواع التخريج ثلاثة : مختصر، ومتوسط، وموسع ؛ لأن البعض قد يجهل هذا التقسيم ، ويستغرب ، وربما ينتقد ذلك عمل المحدث وتطويله في استيعاب الطرق والمخارج ، وبيان اختلاف الروايات ، أو ذلك المحدث الذي اختصر تخريجه جداً، واقتصر على ذكر المخرج فقط ، وكأن الأول زاد عن الحاجة ، والثاني قصر دونها ، وما علموا أن هذا منهج معتبر عند أهل الفن ، يراعون فيه الحال والمقام ، ولذا يقول الحافظ العراقي - رحمه الله - في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين المسمى " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار " : لكني اختصرته في غاية الاختصار ، ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار (٧).

وذكرت هناك أمثلة للكتب التي نهجت في تخريجها الأنواع الثلاثة التي ذكرتها آنفاً ، ونماذج منها يتبين للقارئ الفرق بينها .

خامساً : تصور إجمالي للتخريج :

وبينت فيه أن التخريج إجمالاً يرجع إلى إحدى طريقتين هما :

١ - تخريج الحديث بواسطة إسناده .

٢ - تخريج الحديث بواسطة متنه .

وذكرت في آخر المبحث بعض الأسباب المهمة التي تعين على التمكن في هذا الفن .

سادساً : المبحث الرابع : أقسام المصادر التي يخرج منها .

وفيه بينت أن المصادر تنقسم إلى قسمين : أصلية ، وغير أصلية - وتسمى أحياناً " فرعية " - ، وبيان المقصود من كل قسم وكيفية التعامل معها ، والعزو إليها ، ومتى يصح التخريج من المصادر غير الأصلية ، واصطلاح المحدثين في الصيغ المختصرة في وصف المتن أثناء التخريج .

سابعاً : أبرز المؤلفات في طرق التخريج وقواعده .

وذكرت فيه أن التصنيف في قواعد التخريج وأسسه في كتابٍ مستقل قد تأخر إلى عصرنا الحاضر ، ومع ذلك حاولت ترتيب هذه المصنفات التي ذكرتها زمنياً ؛ لما في ذلك من الفوائد التي لا تخفى ، وليس هذا موضع ذكرها.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أبرز النتائج التي وصلت إليها .

وقد سلكت في استخراج المادة العلمية للبحث جمع قواعده النظرية من مباحث علوم الحديث ومقدمات كتب التخريج ، وربط ذلك بالواقع العملي في مصنفات الحديث ، وخصوصاً كتب التخريج العملي كنصب الراية والتلخيص الحبير ، مع مقارنة ذلك بما كتبه المؤلفون في قواعد التخريج ، وبيان مواطن الاتفاق والاختلاف ، والترجيح إذا دعت الحاجة .

أسأل الله التوفيق والسداد ، وحسن القصد في القول والعمل ، وأن يجعل ما سطرته نافعاً ومباركاً في كل زمان ومكان ، وأن يكون مصباحاً يستضيء به السالكون دروب السنة ؛ إنه جواد بر رؤوف رحيم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد :

ويشتمل على عنصرين هما :

أولاً : تعريف التخريج لغة واصطلاحاً :

لما كان معنى التخريج له ارتباط بأطوار هذا العلم والمراحل التاريخية التي مر بها - كما سيأتي في المبحث الأول[٨] إن شاء الله تعالى - كان لا بد من تعريف القارئ به ، سواء في الجانب اللغوي أو الاصطلاحي ، فلذا أقول :

أ - المعنى اللغوي :

أصل كلمة التخريج تعود إلى كلمة " خرج " وهي نقيض دخل ، وهي تعني البروز والظهور ، يقول تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [٩] ، وقال سبحانه : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [١٠]. وأخرج الترمذي وابن ماجة والدارمي[١١] عن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري ، قال : رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة [١٢] ، فقال: " والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله - وفي رواية ابن ماجة : إليّ " ولولا أني أُخرجت منك ماخرجت " قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

قال الفيروزأبادي [١٣] : أرض مخرجة - كمنقشة - نبتها في مكان دون مكان ، وعام فيه تخريج : خصب وجدب ، وتخريج الراعية المرعى أن تأكل بعضاً وتترك بعضاً ، والاستخراج والاختراج : الاستنباط . وخرجه في الأدب ، فتخرج ، وهو خرّيج - كعنين - بمعنى : مفعول ، وخرج اللوح تخريجاً : كتب بعضاً وترك بعضاً .

وقد استوفى الكلام على هذه المعاني للتخريج والإخراج ابن منظور في لسان العرب [١٤] ، فلينظر .

وقال الراغب الأصبهاني في المفردات في غريب القرآن [١٥] :

والتخريج أكثر ما يقال في العلوم والصناعات .

ب - المعنى الاصطلاحي :

يأتي التخريج والإخراج عند المحدثين بعدة معان ، من أبرزها ما يلي :

١ - جمع الأحاديث من صدور الرواة في مختلف الأمصار ، وتصنيفها في الكتب ، وإبرازها وإظهارها للناس ، وهذا ما قام به المحدثون في القرون الأولى ، ولذا اصطلحوا على التعبير عما أسنده أولئك المصنفون في كتبهم من أحاديث بقولهم : أخرجه البخاري ، وأخرجه الشيخان وأحمد ، وهكذا .

وقد يكون عملهم مقصوداً به المعنى الثاني الذي سأذكره قريباً .

قال العلامة السيوطي [١٦] في معرض تفضيله لصحيح البخاري على صحيح مسلم: وبيان ذلك من وجوه:

أحدها : أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضعة وثلاثون رجلاً ، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلاً ، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون ، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون .

ولا شك أن التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه ، إن لم يكن ذلك الكلام قادحاً ، إلى آخر كلامه رحمه الله .

٢ - التفتيش والتنقيب عن الأحاديث ، قال الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه فتح الباقي على ألفية العراقي [١٧] : وأن يخرج للرواة الذين ليسوا أهلاً للمعرفة بالحديث وعلله واختلاف طرقه أو أهلاً لذلك لكنهم عجزوا عن التخريج والتفتيش ، لكبر سن أو ضعف بدن ، متقن من حفاظ وقتهم ، مجالس الإملاء التي يريدون إملاءها قبل يوم مجلسهم ، إما بسؤال منهم له ، أو ابتداء ، فهو حسن، وقد كان جماعة يستعينون بمن يخرج لهم .

وقال السيوطي في تدريب الراوي [١٨] : وإذا قصر المحدث عن تخريج الإملاء ، لقصوره عن المعرفة بالحديث وعلله واختلاف وجوهه ، أو اشتغل عن تخريج الإملاء ، استعان ببعض الحفاظ في تخريج الأحاديث التي يريد إملاءها قبل يوم مجلسه ، فقد فعله جماعة كأبي الحسين ابن بشران ، وأبي القاسم السرَّاج ، وخلائق .

ولذا قد يكون من قبيل المعنى الثاني فعل قدامى المحدثين في مصنفاتهم كالجوامع والسنن والمسانيد وغيرها، باعتبار أنهم قاموا بالتفتيش والتنقيب والكشف عن طرق الأحاديث وعللها من خلال تلك الكتب التي دونَّوها.

وكتب المستخرجات كمستخرج الإسماعيلي (ت٣٧١هـ) على البخاري ، ومستخرج أبي عوانة الإسفراييني (ت٣١٦هـ) على مسلم ، ومستخرج أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) على الصحيحين جميعاً ، مترددة بين المعنيين ، لأن فيها تفتيشاً وتنقيباً عن الأحاديث في الكتب ، ومن صدور الرجال ، لجمع طرق لأحاديث المستخرج عليه ، ثم إبرازها للناس وإظهارها في هذه الكتب المرسومة بالمستخرجات ، وكم من حديث معلق في البخاري تبين للناس إسناده وصحته من خلال هذه المستخرجات .

قال الإمام النووي [١٩] - رحمه الله - : الكتب المخرجة على الصحيحين لم يلتزم فيها موافقتهما في الألفاظ ، فحصل فيها تفاوت في اللفظ والمعنى ، وكذا ما رواه البيهقي في السنن ، والبغوي في شرح السنة وغيرها، وقالوا فيه : رواه البخاري ومسلم أو أحدهما وقع فيه أيضاً تفاوت في اللفظ ، وفي بعضه في المعنى ، فمرادهم أن البخاري ومسلماً أخرجا أصله فليس لأحد أن ينقل منها حديثاً ويقول : هو هكذا في الصحيحين إلا أن يقابله بالصحيحين أو يكون صاحب الكتاب قال : أخرجاه بلفظه.

وقال السخاوي في فتح المغيث [٢٠] : والتخريج : إخراج المحدِّث الحديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها ، وسياقها من مرويات نفسه ، أو بعض شيوخه وأقرانه ، أو نحو ذلك والكلام عليها ، وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين ، مع بيان البدل والموافقة ونحوهما ، مما سيأتي تعريفه ، وقد يتوسع في إطلاقه على مجرد الإخراج .

٣ - عزو الحديث إلى مصادره الأصلية - وسيأتي بيان المراد بها [٢١] - التي أخرجته بسنده ، والدلالة على موضعه فيها .

وهذا هو المشهور في معنى التخريج في العصور المتأخرة ، وعليه استقر العمل ، وأصبح هو المقصود عند الإطلاق ، واستعمال التخريج بهذا المعنى متقدم ، استعمله الأئمة في القرن الخامس وربما قبل ذلك ، وسيأتي إيضاحه في الكلام عن المراحل التاريخية لعلم التخريج وأطواره [٢٢] .

قال المناوي [٢٣] في شرح قول السيوطي " وبالغت في تحرير التخريج " : أي تهذيب المروي وتخليصه وتلخيصه ، بمعنى اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرجيها من أئمة الحديث ، من الجوامع والسنن والمسانيد، فلا أعزو إلى شيء منها إلا بعد التفتيش عن حاله وحال مخرجه، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جلَّ كعظماء المفسرين .

ومن أمثلة الكتب التي تخصصت في تخريج الأحاديث، كتاب نصب الراية للإمام الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ، وهو في تخريج كتاب الهداية لبرهان الدين المرغيناني الحنفي (ت٥٩٣هـ) ، وهو من أشهر المتون الفقهية عند الحنفية .

وكذلك البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، للعلامة ابن الملقِّن (ت ٨٠٤هـ)، كتاب " الشرح الكبير " هو للإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ) ، وهو عبارة عن شرح لكتاب " الوجيز " للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) وهو من أمهات الفقه عند الشافعية .

ومن الكتب أيضاً كتاب التلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الرافعي الكبير - المذكور آنفاً - للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، وهو بكتابه هذا قد لخص كتاب شيخه العلامة ابن الملقِّن المسمى بالبدر المنير ، يقول ابن حجر في مقدِّمة كتابه[٢٤] :

أما بعد ، فقد وقفت على تخريج أحاديث شرح الوجيز ، للإمام أبي القاسم الرافعي - شكر الله سعيه - لجماعة من المتأخرين ، منهم القاضي عز الدين ابن جماعة، والإمام أبو أمامة ابن النقاش ، والعلامة سراج الدين عمر بن علي الأنصاري - يعني ابن الملقن - والمفتي بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر من الفوائد والزوائد .. إلخ .

وقد تخصص ابن حجر - رحمه الله - في التخريج، حتى أصبح فارساً لا يشق له غبار ، فمن مؤلفاته في ذلك : الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، وتخريج أحاديث تفسير الكشاف للزمخشري ، وتخريج الأذكار والأربعين النووية ، وكلاهما للنووي ، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب ، والاستدراك على العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين .

ومن الكتب أيضاً كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للعلامة الألباني ، وهو تخريج موسع، خرج فيه كتاب منار السبيل للشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان (ت ١٣٥٣هـ) ، وكتاب منار السبيل عبارة عن شرح لكتاب دليل الطالب لمرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ) الذي يعتبر من المتون المهمة في الفقه الحنبلي .

والشيخ الألباني صاحب القدم الراسخة في التخريج قد تصدى له ، وصرف جل وقته فيه ، وصنف فيه عشرات

المصنفات الواسعة النافعة ، بل التخريج هو الطابع العام لكتبه ، ومن أشهرها وأوسعها السلسلة الصحيحة ، والسلسلة الضعيفة ، وصحيح سنن أبي داود - ولا يزال الأصل المهم مخطوطاً - ، وتمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة للسيد سابق ، ونيل المرام بتخريج أحاديث الحلال والحرام للقرضاوي ، وغيرها .

وهكذا أصبح اصطلاح التخريج فيما بعد القرن السادس وإلى يومنا هذا علماً على عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية وبيان موضعها فيها ، وقد تم - بفضل الله - تخريج أكثر كتب السنة المنشورة ، وهذا - إن شاء الله - من أسباب حفظ السنة وتقريبها بين يدي الأمة ، بيد أن هذه الساحة لم تسلم من غثاء ربما كدر نفوس الغيورين على سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن الجهود في جملتها طيبة ونافعة ، وربما كان هذا الخلل فيه من الفوائد بقاء تعلق طلاب العلم بتلك الكتب ، نقداً واستدراكاً وتعليقاً ، حتى يبقى للاحق بعد السابق شيء يشارك به .

ثانياً : موضوع علم التخريج وأهميته وفائدته :

علم التخريج ككثير من العلوم له وجهان هما :

أ - **نظري** : وهو يتصل بالأسس والقواعد التي يقوم عليها هذا الفن ، والوسائل والطرق التي بينها أئمة المحدثين نظرياً وعملياً لمن أراد الوصول إلى موضع الحديث في مصادره الأصلية وغير الأصلية - وسيأتي بيان المراد منهما [٢٥] - فمثلاً طرق التخريج التي سيأتي ذكرها [٢٦] ، والمصنفات التي يتم التخريج منها بواسطتها وكيفية التعامل مع هذه المصادر ، وصيغ العزو إليها ، ووصف الأسانيد والمتون ، ثم كيفية تدوين هذا الحديث الذي تم تخريجه وما الذي يلزم كتابته ويستحسن ، كل ذلك وغيره من هذا القبيل .

ب - **تطبيقي** : وهو البحث والتفتيش في مصادر السنة عن الحديث المراد تخريجه ، ثم صياغة ما نصل إليه وفق القواعد والأسس المذكورة في الوجه النظري .

ومن المعلوم أن المصنفات في القواعد والأسس النظرية لعلم التخريج قليلة ومتأخرة ، وسيأتي الحديث عنها في المبحث الخامس من المباحث - إن شاء الله تعالى[٢٧] - أما تطبيق التخريج فقد ازدانت به جل كتب المتون في السنة ، بل قلما وجد محدث أو طالب حديث في القديم والحديث إلا مارس التخريج يوماً ما ، لكن ما بين مقل ومكثر .

فهو في الحقيقة يتكون من مجموعة الوسائل والطرق التي يسلكها الباحث للوصول إلى موضع الحديث والأثر في المصنفات الحديثية ، ثم صياغة ما وصل إليه صياغة صحيحة تدل القارئ بيسر إلى ذلك الموضع .

وشرف العلم بشرف المعلوم فحيث كانت السنة النبوية عظيمة ومهمة في حياة الأمة ، أصبح فن التخريج مهماً وخطيراً لأجل ذلك ، لأنه أصل أصيل في خدمتها والحفاظ عليها ، ومسلك رئيس للتعامل معها والاستفادة منها ، فقلما وجد صاحب فن - وإن لم يكن محدثاً كالمفسرين والفقهاء والمؤرخين واللغويين وغيرهم - احتاج لحديث لمعرفة من رواه أو درجة ثبوته ، أو ليستنبط حكماً أو يستوضح معنى ، أو غير ذلك من المقاصد ، إلا كان التخريج دليله وهاديه إلى مطلوبه ومبتغاه ولا شك ، وبغير ذلك قد يتعب في الوصول إليه ، أو يخسر بعد الوصول لو دونه بشكل غير صحيح .

يقول الحافظ العراقي رحمه الله [٢٨] : لكني اختصرته - يعني كتابه المغني عن حمل الأسفار - في غاية الاختصار ، ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار ، فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه ، وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه ، فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة ، بل وعند كثير من

المحدثين عند المذاكرة والمناظرة ، وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤول.

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في التلخيص الحبير[29] : ثم رأيته - يعني شيخه ابن الملقن - لخصه - يعني كتابه البدر المنير - في مجلدة لطيفة ، أخل فيها بكثير من مقاصد المطول وتنبيهاته ، فرأيت تلخيصه في قدر ثلث حجمه مع الالتزام بتحصيل مقاصده، فمن الله بذلك، ثم تتبعت عليه الفوائد الزوائد من تخاريج المذكورين معه ، ومن تخريج أحاديث الهداية في فقه الحنفية للإمام جمال الدين الزيلعي ، لأنه ينبه فيه على ما يحتج به مخالفوه ، وأرجو الله إن تم هذا التتبع أن يكون حاوياً لجل ما يستدل به الفقهاء في مصنفاتهم في الفروع، وهذا مقصد جليل .

وقال الألباني - رحمه الله - [30] - : فهذا تخريج وضعته لأحاديث كتاب " الحلال والحرام " للشيخ الفاضل الدكتور يوسف القرضاوي ، خرجت فيه أحاديثه تخريجاً علمياً ، وبينت فيه مرتبة كل حديث من صحة أو ضعف ، حسبما تقتضيه قواعد علم الحديث وتراجم رجاله ، ونصوص أئمته، ليكون الواقف على كتابه على بينة من حال أحاديثه ، لا سيما وأكثرها في الأحكام كما هو ظاهر للعيان .

وبالجملة فيمكن القول : بأن أهمية التخريج وفائدته تكمن فيما يلي :

١ - لما كانت أجزاء الشرع من العقائد والأحكام والفضائل والآداب وغيرها مبنية على الأحاديث والآثار ، وهي ليست كالقرآن محفوظة في كتاب ، مصونة عن الزيادة والنقصان والتحريف ، بل هي مبثوثة في آلاف المصنفات ، ذات المناهج المختلفة في ترتيبها وتبويبها، كان التخريج - بشقيه النظري والعملي - أقوى المطايا لتذليل هذه الصعاب ، وتحقيق الطلاب .

يقول المناوي [31] شارحاً كلام السيوطي : " بمعنى اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرجيها من أئمة الحديث من الجوامع والسنن والمسانيد ، فلا أعزو إلى شيء منها إلا بعد التفتيش عن حاله وحال مخرجه ، ولا أكتفي بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جل كعظماء المفسرين ، قال ابن الكمال : كتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة ، (وكأكابر الفقهاء) فإن الصدر الأول من أتباع المجتهدين لم يعتنوا بضبط التخريج ، تمييز الصحيح من غيره ، فوقعوا في الجزم بنسبة أحاديث كثيرة إلى النبي، وفرعوا عليها كثيراً من الأحكام، مع ضعفها ، بل ربما دخل عليهم الموضوع .

وبكل حال فإن جهود العلماء في التخريج ، وثمرة تلك الجهود، تعتبر بحق سياجاً منيعاً حفظت به السنة النبوية، نصبوا فوقه أعلام الحق لطالبيه ، ونثروا سهام الموت حوله لتمنع كل زائغ وجاهل أن يقذف شراً بساحته .

قال الخطيب البغدادي [32] - رحمه الله - : فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة ، حراس الدين ، وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين ، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين ، فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار ، وركوب البراري والبحار ، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى ، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً ، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً، حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأمرها وشأنها، إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

٢ - توثيق النصوص بعزوها إلى مصادرها الأصلية، وهذا يزيدنا طمأنينة بسلامتها ، وثبوتها عن المنقولة عنه ، فمن المسلمات أن متوناً كثيرة شاعت ودرجت

بين الناس على اعتبارها أحاديث ، وإذا هي ما بين حكمة، وجزء من بيت شعر ، وفي أحيان كثيرة يتضح أنها لا هذا ولا ذاك ، بل هي أحاديث مكذوبة لا أصل لها ، ولم يتبين زيف تلك المتون من صحيحها إلا بالتخريج ، بعد التحري والتفتيش عنها في دواوين السنة ، فألفت لأجل ذلك كتب الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس ، مثل المقاصد الحسنة للسخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، وكشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني (ت ١١٦٢هـ) ، وتمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ) .

٣ - بيان أيسر الطرق للوصول إلى مصدر النص في مصادره ؛ لأن المصنفات في السنة تعد بالآلاف ، والرسالة المستطرفة للكتاني (ت ١٣٤٥هـ)- مع أنه لم يذكر كتباً كثيرة - ذكر ما يزيد عن ألف وسبعمائة مصنف. هذا العدد الهائل من الدواوين له مناهج مختلفة في الترتيب والتبويب ، ومسالك بعضها وعر حتى على المتخصصين في الحديث ، ولذا احتاجت إلى إعادة ترتيب ، فمثلاً صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) المسمى بـ " التقاسيم والأنواع " انبرى له ابن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) فأعاد ترتيبه في كتاب سماه " الإحسان في تقريب ابن حبان " كما قام الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) باستخراج زوائد معجمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ) الأوسط والصغير - والذين رتبهما مؤلفهما على أسماء شيوخه ، فأصبح استخراج الحديث منهما عسيراً - ورتبها - أي الزوائد - على الأبواب الفقهية، وسماه " مجمع البحرين بزوائد المعجمين " .

وبهذا اتضح أن قواعد التخريج وطرقه أبانت للباحث أقرب الطرق وأيسرها للوصول إلى النص في مصادره التي أخرجته أو ذكرته ، فوفرت جهداً كبيراً ووقتاً كثيراً ولله الحمد والمنة ، فهذه الفهارس المرتبة للأحاديث بحسب أول اللفظ قد تصل من خلالها إلى موضع النص في دقائق وبدونها قد تحتاج إلى أيام ، وقد تحتاج إلى أسابيع - من غير مبالغة كما يدرك ذلك من جرب - وربما أصابك اليأس والإحباط في أثناء البحث ، فتوقفت عن المواصلة .

٤ - تدريب الباحث على الوصول إلى طلبه بنفسه، دون أن يكون عالة على غيره ، فتصبح أسس التخريج وقواعده كالمفاتيح التي يفتح بها أبواب تلك الدواوين ، ومن ثم يصل إلى موضع النص في ثناياه وزواياه مهما كانت خفية . وهذا أمر ثمرته عظيمة ؛ لأن فيه تحبيباً وتقريباً للسنة لجمهور طلاب العلم ، فالإنسان عدو ما جهل .

٥ - أنه يوفر على الباحث نفسه وكذلك على المتخصصين وقتاً كثيراً، سببه السؤال وانتظار الجواب ، الذي قد يتأخر.

٦ - أنه يوسع القنوات التي يطلع من خلالها عموم الأمة على الأحاديث والآثار بحيث تناسب الأحوال والمستويات.

٧ - وأخيراً فقواعد التخريج وأسسه من أهم القواعد في تحقيق التراث وتوثيق النصوص ، والدقة في ضبط المصنفات حتى تسلم من التحريف والنقص والزيادة.

فمثلاً من أصول التخريج : أنه لا بد من العودة بالنص إلى مصادره الأصلية للتأكد من وجوده وسلامة لفظه .

ومن أصوله : الدقة في وصف حال الحديث سنداً ومتناً ، وهل هو مسند أو منقطع ؟ وهل اللفظ مماثل ؟ أو أن الاتفاق في مجرد المعنى ، أو هو بين ذلك .

المبحث الأول : المراحل التاريخية لعلم التخريج :

التخريج كغيره من الفنون مر بمراحل متعددة ومختلفة ، فقواعده وأسسه النظرية كانت في البداية كلمات وجملاً في كتب علوم الحديث ، ودواوين السنة وشروحها .

فهذا الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) إمام علوم الحديث، ومحور المصنفين فيه ، يبوب في كتابه الكفاية أبواباً يقول فيها :

١ – باب في جواز استثبات الحافظ ما شك فيه من كتاب غيره أو حفظه [٣٣] .

٢ – باب ذكر ما يجب ضبط واحتذاء الأصل فيه وما لا يجب من ذلك [٣٤] . وقال فيه : الواجب على من منع من الرواية على المعنى أن يقيد الكتاب ويضبطه ، ويتبع فيه ألفاظ الراوي وما في أصله ، إلا اللحن المحيل للمعنى ، وما كان بسببه .

ثم روى عن أبي زرعة الدمشقي أنه سمع عفان يقول : سمعت حماد بن سلمة رحمه الله يقول لأصحاب الحديث : ويحكم غيِّروا – يعني قيِّدوا واضبطوا – . ورأيت عفَّان يحض أصحاب الحديث على الضبط والتغيير ، ليصححوا ما أخذوا عنه من الحديث .

وهذا القاضي عياض – رحمه الله – (ت ٥٤٤هـ) يقول في كتابه الإلماع [٣٥] : وكل هذا – يعني معرفة الأحاديث النبوية – إنما يوصل إليه ، ويعرف بالتطلب والرواية ، والبحث والتنقير [٣٦] عنه ، والتصحيح له . ورحم الله سلفنا من الأئمة المرضيين ، والأعلام السابقين ، والقدوة الصالحين ، من أهل الحديث وفقهائهم ، قرناً بعد قرن ، فلولا اهتبالهم [٣٧] ، وتوفرهم على سماعه وحمله ، واحتسابهم في إذاعته ونشره ، ، وبحثهم عن مشهوره وغريبه ، وتنخيلهم لصحيحه من سقيمه ، لضاعت السنن والآثار ، ولاختلط الأمر والنهي ، وبطل الاستنباط والاعتبار .

وقال أيضاً [٣٨] : باب ضبط اختلاف الروايات والعمل في ذلك . هذا مما يضطر إلى إتقانه ومعرفته وتمييزه ، وإلا تسودت الصحف واختلطت الروايات ، ولم يحل صاحبها بطائل ، وأولى ذلك أن يكون الأم [٣٩] على رواية مختصة ، ثم ما كانت من زيادة أخرى ألحقت – إلى أن قال – : ومن الصواب أن لا يتساهل الناظر في ذلك ولا يهمله ، فربما احتاج – إن أفلح – إلى تخريج حديث ، أو تصنيف كتاب فلا يأتي به على رواية من يسنده إليه إن لم يهتبل [٤٠] بذلك فيكون من جملة أصناف الكاذبين .

ثم خصصوا له فصولاً وأبواباً مستقلة في كتب علوم الحديث ، قال النووي – رحمه الله – (ت ٦٧٦هـ) في إرشاد طلاب الحقائق [٤١] :

فصل : وليشتغل بالتخريج والتصنيف إذا استعد لذلك ، وتأهل له ، فإنه كما قال الخطيب : يثبت الحفظ ويزكي القلب ويشحذ الطبع ، ويكشف الملتبس ، ويجيد البيان ، ويحصل جميل الذكر ، ويخلده إلى آخر الدهر ، وقل من يمهر في علم الحديث ، ويقف على غوامضه ، ويستبين الخفي من فوائده ، إلا من فعل ذلك .

وللعلماء في تصنيف الحديث طريقان ، أجودهما : تصنيفه على الأبواب ، وتخريجه على مسائل الفقه ، فيذكر في كل باب ما حضره فيه .

والطريق الثاني : تصنيفه على المسانيد ، فيجمع في مسند كل صحابي جميع ما عنده من حديثه صحيحه وضعيفه .

ومما يعتنون به في التصنيف جمع الشيوخ ، ويجمعون التراجم والأبواب .

ويمثل هذا كتب ابن الصلاح (ت ٦٤٢هـ) في مقدمته [٤٢] ، والحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) في شرحه لألفيته ، والسخاوي في فتح المغيث [٤٣] وغيرهم .

ثم أخيراً في عصرنا الحاضر أفردوا له مصنفات مستقلة .

وأول من صنف فيه – حسب علمي – هو أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه " حصول التفريج بأصول العزو والتخريج " [٤٤] ، وسيأتي ذكر أشهر هذه المصنفات في المبحث الخامس الآتي قريباً ، إن شاء الله تعالى [٤٥] .

أما الممارسة العملية للتخريج ، فقد تقدم أنها ظهرت

مبكرة ، بيد أن التخريج والإخراج مر بمراحل مختلفة ومتنوعة من أبرزها :

أ – منذ منتصف القرن الثاني بدأ المحدثون في التفتيش عن الأحاديث والآثار في الأمصار ، ومن صدور الرجال ، وترتيبها وإبرازها للأمة في المصنفات والأجزاء ، ومن أوائل من صنف [٤٦] : الحافظ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي (ت ١٥٠هـ) ، وسعيد بن أبي عروبة البصري (ت ١٥٦هـ) ، والإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الشامي (ت ١٥٧هـ) ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب المدني (ت ١٥٨هـ) ، والإمام سفيان بن سعيد الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ) ، والإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري المدني (ت ١٧٩هـ) ، والإمام عبد الله ابن المبارك المروزي الخراساني (ت ١٨١هـ) وغيرهم .

ثم لم ينتصف القرن الثالث حتى كثرت دواوين السنة على اختلاف ترتيبها وتبويبها ، فمنها المسانيد والجوامع والسنن والمصنفات .

ب – مع نهاية القرن الثالث اتجه المصنفون في السنة إلى نهج جديد ، وهو البحث والتفتيش عن طرق أخرى لأحاديث تلك المصنفات السابقة – والصحيحين منها خاصة – وذلك بغرض تعزيزها، واستكمال ما قد يظن فيها من نقص او خلل ، وكذلك وصل المعلق وكشف المبهم وبيان المهمل ، فظهر ما يسمى بالمستخرجات ، ومن أبرزها[٤٧] :

١ – مستخرجات على الصحيحين : كمستخرج أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، ومستخرج أبي بكر البرقاني (ت ٤٢٥هـ) ، ومستخرج أبي علي الماسرجسي (ت ٣٦٥هـ) ، ومستخرج أبي ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ) .

٢ – مستخرجات على صحيح البخاري : كمستخرج الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ)، ومستخرج أبي أحمد محمد بن أبي حامد الغطريفي (ت ٣٧٧هـ) ، ومستخرج أبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن أبي ذهل الهروي (ت ٣٧٨هـ)، ومستخرج أبي بكر بن مردويه الأصبهاني (ت ٤١٦هـ).

٣ – مستخرجات على صحيح مسلم : كمستخرج أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦هـ) ، ومستخرج أبي بكر محمد بن محمد النيسابوري الإسفراييني (ت ٢٨٦هـ) ، ومستخرج أبي الفضل أحمد ابن سلمة النيسابوري البزار (ت ٢٨٦هـ) ، وغيرها كثير، فقد ذكر الكتاني في الرسالة المستطرفة اثني عشر مستخرجاً، كلها على صحيح مسلم .

٤ – مستخرجات على السنن : كمستخرج قاسم بن أصبغ القرطبي (ت ٣٤٠هـ) على أبي داود ، ومستخرج أبي بكر بن منجويه (ت ٤٢٨هـ) على الترمذي . وهناك أيضاً مستخرج أبي نعيم على التوحيد لابن خزيمة ، ومستخرج العراقي على المستدرك .

ج – مع مطلع القرن الخامس بدأت المرحلة الثالثة والأخيرة من التخريج ، وذلك ببزوغ التخريج واشتهاره بمعنى العزو والدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية ، ومن أوائل من اشتهر عنه هذا الاستعمال – فيما أعلم – الإمام البيهقي – رحمه الله – (ت ٤٥٨هـ)[٤٨]، وتبعه على ذلك الإمام البغوي – رحمه الله – (ت ٥١٦هـ) كما في كتابه (شرح السنة) ، والإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) – كما في كتابه " ذم الهوى" [٤٩] ، ومع ذلك فقد مر التخريج – حسب هذا الاصطلاح – بمراحل حصل له فيها تنوع حسب حاجة الناس ، والمستوى العلمي عامة ، ومعرفتهم بالسنة خاصة ، ويمكن أن أجمل هذه المراحل فيما يلي :

١ – مرحلة عزو الحديث إلى مصدره فقط دون تحديد الموضع التفصيلي فيه وذلك بالعزو مثلاً إلى الصحيحين أو السنن أو غيرها . مثال ذلك قول الإمام البيهقي في سننه [٥٠] عن ابن عباس رضي الله

عنهما أن النبي ﷺ شرب لبناً فمضمض ، وقال : "إن له دسماً " رواه البخاري في الصحيح عن أبي عاصم، ورواه مسلم من وجه آخر عن الأوزاعي . وقال أيضاً عن حديث عمر رضي الله عنه في أمر النبي ﷺ بغسل يوم الجمعة (٥١) ، وهكذا حديث أرسله مالك بن أنس في الموطأ ، فلم يذكر عبد الله بن عمر في إسناده ، ووصله خارج الموطأ، والموصول صحيح. وكذلك فعل البغوي – رحمه الله – في شرح السنة(٥٢)، فقال عن حديث أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس " : هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه محمد – يعني البخاري – عن عبد الله بن يوسف ، وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وقتيبة ، كلهم عن مالك . وقال أيضاً (٥٣) عن حديث كعب بن عجرة في النهي عن تشبيك اليدين عند الخروج إلى الصلاة :رواه أبو عيسى – يعني الترمذي – عن قتيبة عن الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري ، عن رجل عن كعب.

٢ – مرحلة عزو الحديث إلى مصدره ، وإلى موضوع عام فيه كالصلاة والزكاة والصيام مثلاً مع تحديد الموضوع الخاص – أحياناً – ، وممن صنع ذلك الإمام المزي في مثل كتابه " تحفة الأشراف " ، فمثلاً يسوق حديث ابن عباس رضي الله عنهما : بت عند خالتي ميمونة فتحدث النبي ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد . الحديث (٥٤) ، عزاه إلى : البخاري في التفسير، وفي الأدب ، وفي التوحيد ، عن سعيد بن أبي مريم ، عن محمد بن جعفر ، عن شريك عن كريب عنه ، وإلى مسلم في الصلاة ، عن أبي بكر بن إسحاق الصغاني ، عن ابن أبي مريم ، عن شريك ، عن كريب، عنه رضي الله عنه .

وهكذا يفعل الإمام الزيلعي – رحمه الله – في "نصب الراية " فنراه مثلاً يورد حديث النهي الوارد عن الانتفاع من الميتة بإهاب . (٥٥) . ويقول : رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن عبد الله بن عكيم عن النبي ﷺ أنه كتب إلى جهينة قبل موته بشهر : " أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب " ، انتهى . أخرجه النسائي في الذبائح ، والباقون في اللباس ، وقال الترمذي: حديث حسن .

٣ – مرحلة العزو إلى المصدر وإلى الكتاب والباب إن كان مبوباً، وزادوا على ذلك – ومن باب التيسير والدقة – فصاروا يذكرون الجزء والصفحة ورقم الحديث ، وهذا إن شاء الله من مزيد خدمة السنة وتقريبها لعموم الأمة وهذه المرحلة ظهرت حديثاً ، وقلما تجد كتاباً مخرجاً في العصر الحاضر – خصوصاً إذا كان تخريجه موسعاً أو متوسطاً – إلا وكان كذلك ، فلله الحمد والمنة .

والمتأمل لهذه الأطوار التي حصلت لفن التخريج والمراحل التي مر بها ، يدرك أن هناك أسباباً متعددة ساعدت في حصول هذا التغير ، ويمكن إجمال هذه الأسباب فيما يلي:

أ – الضعف العلمي الذي أصاب الأمة في الفنون عموماً وفي علم الحديث خصوصاً ، وأصبح هذا الضعف يزداد كلما ابتعدنا عن العهد النبوي وطالت الأسانيد ، وتعددت الطرق وكثرت المصنفات ، وتفرقت واختلفت مناهجها ، فكان الأمر في البداية لا يحتاج إلا إلى ذكر متن الحديث أو طرفه ، ثم يعرف السامع كيف يصل إلى إسناده وطرقه ، وغالباً ما يستطيع الحكم عليه ، ثم احتاج الناس إلى تحديد المصدر الذي أخرج فيه هذا الحديث كالصحيحين والسنن مثلاً ، وحينئذ يستطيع السامع الوصول إليه داخل المصدر بيسر وسهولة ؛ نظراً لقوة المعرفة بمناهج هذه المصنفات وطرق ترتيبها ، وقد رأينا

آنفاً كيف كان العزو في مرحلته الأولى إلى المصدر وحسب، كما صنع البيهقي والبغوي وغيرهما .

ثم فتر العزم وضعفت الهمم ، فاحتاج الناس إلى تحديد أدق ومزيد تفصيل في العزو ، حتى تضيق دائرة البحث والتفتيش والتحري ، فاعتنى المخرجون بذكر عنوان الكتاب والباب ، ثم تزايدت الحاجة حتى زادوا على ذلك بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث .

ب - التيسير على الأمة باختصار الطرق الموصلة إلى مواضع النصوص في دواوين السنة ، حتى يتم توفير الوقت والجهد ، ويصرف في مصالح أخرى .

ج - الاستفادة من تجارب الآخرين في كيفية ضبط النصوص ، والتعامل معها ، والوصول إليها .

المبحث الثاني : أنواع التخريج :

ينقسم التخريج - إجمالاً - إلى ثلاثة أنواع هي :

١ - التخريج المختصر .

٢ - التخريج المتوسط .

٣ - التخريج الموسع .

يقول الحافظ العراقي - رحمه الله - في افتتاحية تخريجه لكتاب إحياء علوم الدين [٥٦] : فلما وفق الله تعالى لإكمال الكلام على أحاديث " إحياء علوم الدين " في سنة إحدى وخمسين [٥٧] ، تعذر الوقوف على بعض أحاديث فأخرت تبييضه إلى سنة ستين ، فظفرت بكثير مما عزب عني علمه ، ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمه ، وأنا مع ذلك متباطئ في إكماله ، غير متعرض لتركه وإهماله ، إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه ، وتكرر السؤال من جماعة في إكماله ، فأجبت وبادرت إليه، ولكني اختصرته في غاية الاختصار ؛ ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار ، فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه ، وبيان صحته أو حسنه ، أو ضعف مخرجه ، فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة ، بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة ، وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤول .

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه ، وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة ، وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح ، بأن يكون في كتاب التزم مخرجه الصحة ، أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء .

والعلامة ابن الملقن جمع الأنواع الثلاثة في تخريجه لكتاب واحد وهو " الشرح الكبير " . فخرجه تخريجاً موسعاً في " البدر المنير " ، ثم اختصره في تخريج متوسط في " خلاصة البدر المنير " ثم اختصره في تخريج مختصر في "مختصر البدر المنير" .

وقال العلامة الألباني - رحمه الله - في مطلع كتابه " إرواء الغليل " [٥٨] : قد كنت فرغت من تخريجي منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، ولذلك جريت على الإحالة عليه في تخريج بعض الأحاديث في كثير من مؤلفاتي المطبوعة منها والمخطوطة ، سواء ما كنت قد سلكت في تخريجه مسلك البسط أو التوسط أو الإيجاز ، أو الاكتفاء بذكر مرتبة الحديث فقط ، مثل "الأحاديث الصحيحة" و"الأحاديث الضعيفة" . ويقول أيضاً - رحمه الله - في مقدمة كتابه "ضعيف الجامع الصغير" [٥٩] : وقد رأيت أن يكون تحقيقي للكتاب بأوجز طريق ، وذلك بأني كتبت تحت كل حديث مرتبته من الصحة والضعف ، وجعلتها خمس مراتب : صحيح ، حسن ، ضعيف ، ضعيف جداً ، موضوع، وذيلت المرتبة بذكر المصدر الذي حققت فيه الكلام على الحديث ، ونقلت منه المرتبة ، والكلام المشار إليه قد يكون مبسوطاً ، وقد يكون مختصراً، حسب المصدر الذي حقق

الحديث فيه ، فقد يكون من كتبنا في "التخريج" التي تقبل إطالة النفس فيه ، مثل "السلسلتين" و"إرواء الغليل" و"تخريج أحاديث الحلال والحرام" ، وقد يكون تعليقاً أو نحوه ، مما لا يتسع المجال لإطالة التخريج فيه ، مثل تخريج "مشكاة المصابيح"، و "تخريج العقيدة الطحاوية" ، و"تخريج الكلم الطيب"، وغيرها، والمهم أن أي مصدر عزوت الحديث إليه من تآليفي، فلا يكون الحديث فيه قد صحح أو ضعف إلا بعد دراسة إسناده، وتحقيق القول فيه بفضل الله ورحمته.

وإجمالاً يمكن وصف أنواع التخريج بما يلي :

١ - المختصر : ويقتصر فيه على ذكر المصدر الذي خرج الحديث فقط كما يصنع البيهقي والبغوي والعراقي - كما سلف قريباً - والنووي في كثير من كتبه كرياض الصالحين والأذكار والأربعين ، وكثير من كتب أحاديث الأحكام كالمنتقى للمجد ابن تيمية (ت ٦٥٢هـ)، وعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ) ، والمحرر لابن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ) ، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) ، وغيرها ، وكذلك مثل كتاب الجامع الصغير للسيوطي (ت ٩١١هـ)، وكنز العمال للبرهان فوري (ت٩٧٥هـ).

٢ - التخريج الموسع : ويذكر غالباً مع اسم المصدر الموضع التفصيلي بداخله، وإسناد الحديث، كما يوصف المتن بأوصافه المختصرة التي اصطلح عليها المحدثون - وسيأتي بيانها في المبحث الرابع الآتي قريباً - بإذن الله - [٦٠] ، وأيضاً يتوسع في سياق طرق الحديث وبيان موطن اتفاقها وافتراقها ، ويتم بتوسع تتبع المصادر التي أخرجته وإن نزلت ، ومن أمثلة الكتب التي جاء التخريج فيها موسعاً :

* تحفة الأشراف للحافظ المزي .
* نصب الراية للإمام الزيلعي .
* تخريج الأذكار للحافظ ابن حجر .
* إرواء الغليل ، والسلسلتين : الصحيحة والضعيفة، للعلامة الألباني ، وغير ذلك كثير .

ولنأخذ على ذلك مثالاً واحداً لحديث مخرج في مصدرين من هذه المصادر المذكورة ، وهو حديث صفوان ابن عسال رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليها إلا عن جنابة ، ولكن من بول أو غائط أو نوم .

فقد أورده الإمام الزيلعي في نصب الراية [٦١] ، وقال : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم ابن أبي النجود عن زر بن حبيش ، عن صفوان، وهو بكماله يتضمن قصة المسح والعلم والتوبة والهوى . أما الترمذي فرواه في كتاب " الدعوات " في باب التوبة والاستغفار"، من حديث سفيان وحماد بن زيد، كلاهما عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، وذكر الزيلعي الحديث بطوله . قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ورواه في "الطهارة " من حديث أبي الأحوص عن عاصم به ، بقصة المسح فقط ، وقال : حديث حسن صحيح .

ورواه النسائي في سننه في " باب الوضوء من الغائط " من حديث سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، ومالك بن مغول ، وزهير ، وأبي بكر بن عياش ، وشعبة ، كلهم عن عاصم به ، بقصة المسح فقط .

وأخرجه ابن ماجة في " الطهارة " في " باب الوضوء من النوم " عن سفيان عن عاصم به ، بقصة المسح ، وفي " الفتن " عن إسرائيل عن عاصم به ، بقصة التوبة ، وفي "اعلم " ، عن معمر عن عاصم به ، بقصة العلم .

ورواه ابن حبان في صحيحه في " النوع الحادي والسبعين " ، من القسم الأول من حديث سفيان عن عاصم به ، بتمامه .

ورواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث معمر عن عاصم به ، بقصة المسح ، والتوبة .

قال الشيخ تقي الدين في " الإمام " : ذكر أنه رواه عن عاصم أكثر من ثلاثين من الأئمة ، وهو مشهور من حديث عاصم ، لكن الطبراني رواه من حديث عبد الكريم ابن أبي المخارق ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن زر ، وهذه متابعة غريبة لعاصم عن زر ، إلا أن عبد الكريم ضعيف . انتهى كلام الزيلعي .

وأورده العلامة الألباني في إرواء الغليل (٦٣) ، وقال : حسن أخرجه ، - كما قال المؤلف : - أحمد (٢٣٩/٤ ، ٢٤٠) ، والنسائي (٣٢/١) ، والترمذي (١٥٩/١ - ١٦٠)، وكذا ابن ماجة (١٧٦) ، والشافعي (٣٣/١) ، والدارقطني(٧٢) ، والطحاوي (٤٩/١) ، والطبراني في "الصغير " (ص ٥٠) ، والبيهقي (١١٤/١ ، و ١١٨ و٢٧٦ و٢٨٢ و ٢٨٩) من طرق كثيرة عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عنه . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح ، قال محمد بن إسماعيل (يعني البخاري) : هو أحسن شيء في هذا الباب" .

قلت : وأخرجه ابن خزيمة أيضاً وابن حبان في "صحيحيهما" . كما في "نصب الراية " (١٨٢/١ - ١٨٣)، والحديث إنما سنده حسن عندي، لأن عاصماً هذا في حفظه ضعف لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن ، نعم قد تابعه طلحة ابن مصرف عند الطبراني في " الصغير " (ص٣٩) ، وطلحة ثقة ، إلا أن الراوي عنه أبا جناب الكلبي مدلس ، وقد عنعنه ، وكذلك تابعه حبيب بن أبي ثابت عند الطبراني كما ذكره الزيلعي - ولعله في " الكبير"، ولكن الراوي عنه عبد الكريم بن أبي المخارق ضعيف .

وخالفه المنهال بن عمرو فقال : عن زر بن جحش الأسدي عن عبد الله بن مسعود قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال فقال: يارسول الله إني أسافر بين مكة والمدينة فأفتني عن المسح على الخفين ، فقال : فذكره بدون استثناء .

قلت : فجعله من مسند ابن مسعود وهو شاذ ، وفي الطريق إلى المنهال الصعق بن حزن وهو صدوق يهم كما قال الحافظ .

وللحديث طريق آخر من رواية أبي روق عطية بن الحارث قال : ثنا أبو الغريف عبد الله بن خليفة ، عن صفوان بن عسال ، دون الاستثناء أيضاً .

أخرجه أحمد ، والطحاوي ، والبيهقي ، وسنده ضعيف ، أبو الغريف هذا قال أبو حاتم " ليس بالمشهور " وقد تكلموا فيه ، وهو شيخ من نظراء أصبغ بن نباتة " كما في " الجرح " (ج ٢ / ٣١٣/٢) وأصبغ عنده لين الحديث. انتهى كلام الألباني .

٣ - التخريج المتوسط : وهو عبارة عن التخريج المختصر، مع إضافة بعض الجوانب المذكورة في التخريج الموسع، فأحياناً يذكر فيه عنوان الكتاب والباب داخل المصدر، وأحياناً يوصف المتن ، وأحياناً يتوسع في العزو إلى المصادر حتى تبلغ غير المشهورة ، وكذلك المصادر المتأخرة والنازلة ، ومن أمثلة ذلك كتاب الدراية في تخريج أحاديث الهداية للحافظ ابن حجر، وخلاصة البدر المنير لابن الملقن ، وكثير من تخريجات الشيخين عبد القادر وشعيب الأرناؤوط - أثابهما الله - كتخريجهما لزاد المعاد، وتخريج الأول لجامع الأصول، وتخريج الثاني لشرح السنة .

المبحث الثالث : تصور إجمالي للتخريج :

من يقوم بتخريج الحديث غالباً ما يستعين بإحدى طريقتين هما :

١ - تخريج الحديث بالنظر إلى إسناده : سواء كان بصفة من صفاته كالمرسل والمسلسل والمعلق ، أو بأحد رواته الأعلى كالصحابي ، أو الأدنى كشيخ المؤلف ، أو من بينهما ، أو نحو ذلك .

٢ - تخريج الحديث بالنظر إلى متنه - لفظه أو معناه - : سواء كان بداية اللفظ ، أو تصاريف الكلمات التي يتكون منها المتن أو موضوعه ومعناه وحينئذٍ لا بد عند التخريج من النظر إلى الموضوع والمعنى ، من فهم معنى الحديث ودلالته وفي أي موضوع هو .

ولا يمكن القول بأن إحدى هاتين الطريقتين هي الأسهل على الإطلاق ؛ لأن هناك أحوالاً وصفات تتعلق بالمخرج - بكسر الراء المشددة - ، أو المخرج - بفتح الراء المشددة ، أي الحديث - ، أو توافر المصادر التي سيتم التخريج منها .

فمعرفة الباحث بمعنى الحديث ومدلوله ، مع المعرفة بمناهج كتب السنة وطرق ترتيبها قد يجعل الوصول إلى موضع الحديث بهذه الطريقة أسهل من غيرها ، خصوصاً عند الجهل براوي الحديث ، أو عدم التأكد من لفظه . كما أن انضباط لفظ الحديث ، وخصوصاً أوله ، قد يجعل الكشف عن موضع الحديث سهلاً جداً ، سيما بالنسبة لغير المتخصصين في السنة ، والذين اعتادوا طريقة الفهرسة والمعاجم .

وأحياناً تكون المعرفة براوي الحديث هي أقصر الطرق في الوصول إلى موضع الحديث ، فمثلاً : لو كان عندنا حديث للطبراني في معجمه الصغير بكامل إسناده ، فيصبح الكشف عن موضعه بواسطة شيخ الطبراني من أيسر السبل وأسرعها ، ولو كان عندنا حديث قتادة بن ملحان رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصوم البيض . الحديث (٥٤) ، ونريد أن نعرف من أخرجه من أصحاب الكتب الستة (٦٥) ، سنجد أن ذلك يتم بسهولة وسرعة من خلال هذا الصحابي حين ننظر في كتاب تحفة الأشراف .

كما أن توافر المصادر التي تخدم طريقة ما تجعلها الأفضل والأيسر للباحث ، كوفرة الفهارس مثلاً .

لكن في الجملة ، وإذا توافرت الأسباب وزالت الموانع، فالغالب أن التخريج بالنظر إلى أول لفظ الحديث يبقى أسرع الطرق على الإطلاق ، ثم يأتي بعد تخريجه عن طريق الراوي ، ثم أخيراً عن طريق الموضوع والمعنى .

ولا بد من التنبيه هنا أن طول الممارسة لهذا الفن يكون لدى الإنسان ملكة وحذقاً ، يجعله يتخطى الصعاب ، ويطوي الوهاد، ويكشف لك عما في بطون الكتب والدواوين بشكل يثير الإعجاب ، وهذا واضح ظاهر في مصنفات الراسخين في هذا الفن ، تماماً كما هو الحال عند أصحاب الباع الطويل في كل فن ومهنة ، ومن نظر في كتب الحافظ ابن حجر والسيوطي والألباني رأى كيف غاصوا في بحار تلك المخطوطات العميقة ، فاستخرجوا للأمة درراً كانت لا ترى وسط الأعماق ، ولا يعلم بها الخاص فضلاً عن العام، وما كان الوصول إليها سهلاً لولا توفيق الله ثم تلك المعرفة الواسعة التي أنعم الله بها عليهم .

لنأخذ أمثلة على ذلك :

أولاً : مثال من تخريج الحافظ ابن حجر ، حيث عقب على روايات الإمام البخاري لحديث " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" بقوله(٦٦) والبخاري - رحمه الله - أخرجه من حديث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام، وأنس بن مالك ، وسلمة بن الأكوع ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهم أجمعين ، ثم قال الحافظ معلقاً على ذلك :

وقد أخرج البخاري حديث " من كذب عليّ " ، أيضاً من حديث المغيرة وهو في الجنائز ، ومن حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وهو في أخبار بني إسرائيل ، ومن حديث واثلة بن الأسقع ، وهو في مناقب قريش ، لكن ليس هو بلفظ الوعيد بالنار صريحاً . واتفق مسلم معه على تخريج حديث علي وأنس وأبي هريرة والمغيرة ، وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد أيضاً ، وصح أيضاً في غير الصحيحين من حديث عثمان بن عفان وابن مسعود وابن

عمر وأبي قتادة وجابر وزيد بن الأرقم وورد بأسانيد حسان من حديث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل ، وعقبة بن عامر ، وعمران بن حصين وابن عباس وسلمان الفارسي ، ومعاوية بن أبي سفيان ورافع بن خديج ، وطارق الأشجعي ، والسائب بن يزيد وخالد بن عرفطة وأبي أمامة وأبي قرصافة وأبي موسى الغافقي وعائشة ، فهؤلاء ثلاثة وثلاثون نفساً من الصحابة ، وورد أيضاً عن نحو من خمسين غيرهم بأسانيد ضعيفة ، وعن نحو من عشرين آخرين بأسانيد ساقطة .

وقد اعتنى جماعة من الحفاظ بجمع طرقه ، فأول من وقفت على كلامه في ذلك علي بن المديني ، وتبعه يعقوب بن شيبة فقال : روي هذا الحديث من عشرين وجهاً عن الصحابة من الحجازيين وغيرهم ، ثم إبراهيم الحربي وأبو بكر البزار فقال كل منهما : إنه ورد من حديث أربعين من الصحابة ، وجمع طرقه في ذلك العصر أبو محمد يحيى ابن محمد بن صاعد فزاد قليلاً ، وقال أبو بكر الصيرفي شارح رسالة الشافعي : رواه ستون نفساً من الصحابة ، وجمع طرقه الطبراني فزاد قليلاً ، وقال أبو القاسم بن مندة : رواه أكثر من ثمانين نفساً ، وقد خرجها بعض النيسابوريين فزادت قليلاً ، وقد جمع طرقه ابن الجوزي في مقدمة كتاب " الموضوعات " فجاوز التسعين ، وبذلك جزم ابن دحية ، وقال أبو موسى المديني : يرويه نحو مائة من الصحابة ، وقد جمعها بعده الحافظان يوسف بن خليل وأبو علي البكري ، وهما متعاصران فوقع لكل منهما ما ليس عند الآخر ، وتحصل من مجموع ذلك كله رواية مائة من الصحابة على ما فصلته من صحيح وحسن وضعيف وساقط ، مع أن فيها ما هو في مطلق ذم الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد الخاص . ونقل النووي أنه جاء عن مائتين من الصحابة ، ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه جماعة أنه متواتر ، ونازع بعض مشايخنا في ذلك قال : لأن شرط التواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة ، وليست موجودة في كل طريق منها بمفردها . وأجيب بأن المراد بإطلاق كونه متواتراً رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه في كل عصر ، وهذا كاف في إفادة العلم . وأيضاً فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم . نعم وحديث علي رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وثقاتهم ، وكذا حديث ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو ، فلو قيل في كل منها إنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحاً ، فإن العدد المعين لا يشترط في المتواتر ، بل ما أفاد العلم كفى ، والصفات العلية في الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه كما قررته في نكت علوم الحديث وفي شرح نخبة الفكر ، وبينت هناك الرد على من ادعى أن مثال المتواتر لا يوجد إلا في هذا الحديث ، وبينت أن أمثلته كثيرة : منها حديث " من بنى لله مسجداً " ، والمسح على الخفين ، ورفع اليدين ، والشفاعة ، والحوض ، ورؤية الله في الآخرة و " الأئمة من قريش " وغير ذلك ، والله المستعان .

وأما ما نقله البيهقي عن الحاكم ووافقه أنه جاء من رواية العشرة المشهورة ، قال : وليس في الدنيا حديث أجمع العشرة على روايته غيره . فقد تعقبه غير واحد ، لكن الطرق عنهم موجودة فيما جمعه ابن الجوزي ومن بعده ، والثابت منها ما قدمت ذكره . فمن الصحاح : علي والزبير، ومن الحسان : طلحة وسعد وسعيد وأبو عبيدة ، ومن الضعيف المتماسك : طريق عثمان، وبقيتها ضعيف وساقط.

ثانياً : مثال من تخريج الإمام السيوطي ، حيث ذكر في كتابه الجامع الصغير (٦٧) أيضاً حديث " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " وعزاه إلى الإمام أحمد والشيخين والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه .

والإمام أحمد والبخاري وأبي داود والنسائي وابن ماجة عن الزبير رضي الله عنه .

ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والترمذي عن علي رضي الله عنه .

والإمام أحمد وابن ماجة عن جابر وعن أبي سعيد رضي الله عنهما .

والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والإمام أحمد والحاكم عن خالد بن عرفطة وعن زيد ابن أرقم رضي الله عنهما .

والإمام أحمد عن سلمة بن الأكوع ، وعن عقبة بن عامر ، وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

والطبراني في الكبير عن : السائب بن يزيد وعن سلمان بن خالد الخزاعي ، وعن صهيب وعن طارق بن أشيم وعن طلحة بن عبيد الله ، وعن ابن عباس وعن ابن عمر وعتبة بن غزوان ، وعن العرس بن عميرة ، وعن عمار ابن ياسر ، وعن عمران بن حصين ، وعن عمرو بن حريث، وعن عمرو بن عبسة ، وعن عمرو بن مرة الجهني ، وعن المغيرة بن شعبة وعن يعلى بن مرة ، وعن أبي عبيدة بن الجراح ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم .

والطبراني في الأوسط عن البراء ، وعن معاذ ابن جبل ، وعن نبيط بن شريط ، وعن أبي ميمون رضي الله عنهم .

والدارقطني في الأفراد عن أبي رمثة ، وعن ابن الزبير ، وعن أبي رافع ، وعن أم أيمن رضي الله عنهم .

والخطيب في تاريخه عن سلمان الفارسي ، وعن أبي أمامة رضي الله عنهما.

وابن عساكر في تاريخه عن رافع بن خديج ، وعن يزيد بن أسد ، وعن عائشة رضي الله عنهم .

وابن صاعد في طرقه عن أبي بكر الصديق ، وعن عمر بن الخطاب ، وعن سعد بن أبي وقاص ، وعن حذيفة ابن أسيد ، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم .

وأبي مسعود بن الفرات في جزئه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والبزار عن سعيد بن زيد رضي الله عنه .

وابن عدي في الكامل عن أسامة بن زيد وعن بريدة وعن سفين وعن أبي قتادة رضي الله عنهم .

وأبي نعيم في المعرفة عن جندع بن عمرو ، وعن سعد بن المدحاس ، وعن عبد الله بن زغب بن قانع عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهم .

والحاكم في المدخل عن عفان بن حبيب رضي الله عنه.

والعقيلي في الضعفاء عن غزوان وعن أبي كبشة رضي الله عنهما.

وابن الجوزي في مقدمة الموضوعات عن أبي ذر وعن أبي موسى الغافقي ، رضي الله عنهما .

ثالثاً : مثالان لتخريج العلامة الألباني ، أحدهما من السلسلة الصحيحة [68] حيث ذكر حديث " لو كان بعدي نبي لكان عمر " وقال : رواه الترمذي (٢/٢٩٣) وحسنه ، والحاكم (٣/٨٥) وصححه ، وأحمد (٤/١٥٤) ، والروياني في مسنده (١/٥٠) ، والطبراني في المنتقى من حديثه (٢/٧/٤) ، وأبو بكر القطيعي في " الفوائد المنتقاة " (٢/٧/٤) ، والخطيب في الموضح (٢/٢٢٦) ، وابن عساكر (٣/٢١٠/٢) ، عن ابن عبد الرحمن المقرئ ، نا حيوة عن بكر بن عمرو ، عن مشرح بن هاعان ، عن عقبة ابن عامر – مرفوعاً – .

ثم رواه النجاد من طريق ابن لهيعة عن مشرح به .

والثاني : من السلسلة الضعيفة [69] حيث ذكر حديث " ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه "، وقال : منكر . رواه الترمذي (٣/١٥٢) وأبو بكر الشافعي في " الرباعيات " (١/١٠٦/١-٢) والعقيلي (٤٥٥) ، وأبو الحسن النعالي في " جزء من

حديثه " (١٢٤ – ١٢٥) ، وابن بشران في " الأمالي " (١/٦/١٨ ، ١/٦٠/٢٢) والقطيعي في " جزء الألف دينار" (١/٣٥) ، وأبو نعيم في " أخبار أصبهان " (١٨٥/٢) ، وزاهر الشحامي في "السباعيات " (ج/٧/١٢/٢) ، وأبو بكر بن النقور في "الفوائد" (١/١٤٩/١) ، وابن شاذان في "المشيخة الصغرى " (٥٣/٢) والخطيب في " الفقيه والمتفقه " (٢٧٧/١) وعبد الله العثماني الديباجي في "الأمالي " (١/٥٦/١) ، وابن عساكر في تاريخه (٢/٢٤٩/١٤) ، والضياء المقدسي في " المنتقى من مسموعاته بمرو " (٣٣/١) كل هؤلاء أخرجوه عن يزيد بن بيان المعلم عن أبي الرحال عن أنس مرفوعاً . وقال الترمذي : " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ : يزيد بن بيان " .

فتأمل هذا الجهد العظيم في تخريج حديث واحد يقع ضمن آلاف الأحاديث التي خرجها كل واحد منهم ، وكذلك الإسهاب والتوسع في جمع طرقه ومخارجه ، ولا يقل عن ذلك أهمية تلك المصادر والتي لا يزال أكثرها – حتى في عهد الطباعة – خطياً ، صعب الترتيب – كالفوائد – ، رديء الخط ، نادر الوجود مغموراً غير مشهور فلا يخطر على الذهن غالباً عند البحث .

بيد أنه مع الممارسة العملية للتخريج والتي تنمي الملكة ، فهناك عوامل تساعد أيضاً في تنمية المعرفة والحذق لهذا الفن ، ومن أهم هذه العوامل : –

١ – معرفة أصول التخريج وقواعده من خلال المصنفات المتخصصة في ذلك ، والتي سيأتي ذكر بعضها في المبحث الخامس (٧٠) بإذن الله تعالى .

٢ – المطالعة في كتب التخريج كنصب الراية ، والدراية ، والتلخيص الحبير ، وإرواء الغليل ، وغيرها .

٣ – المعرفة الإجمالية بمناهج الأئمة في مصنفاتهم ، وطريقة ترتيبها لأن المسانيد تختلف عن الجوامع ، وكتب التراجم تختلف عن كتب الغريب ، وهكذا .

٤ – التلقي عن أرباب هذا العلم والمتخصصين فيه ، وسؤالهم عما أشكل فيه .

المبحث الرابع : أقسام المصادر التي يخرج منها :

لا خلاف أن في كل فن من الفنون مصادر أصلية وأخرى غير أصلية ، وهذه الأخيرة يطلق عليها أحياناً : مصادر فرعية ، أو وسيطة .

إلا أن الخلاف في ضابط كل نوع والفرق بينهما في الفنون عموماً لا يعنينا ، والذي يعنينا هنا هي مصادر السنة ، وماهي المصادر الأصلية وغير الأصلية للأحاديث والآثار ، لأنه يترتب على ذلك أمور كثيرة من أبرزها :

١ – صيغة العزو إليها .

٢ – متى يصح التخريج من غير المصادر الأصلية ؟

٣ – وصف المتن والإسناد .

٤ – أهمية توثيق النص من المصادر الأصلية .

وعليه ، فقد اختلف في تحديد المصدر الأصلي من غير الأصلي من المصادر التي توجد فيها الأحاديث والآثار، فقيل :

المصادر الأصلية هي : كتب السنة القديمة التي جمعت الأحاديث مسندة من مؤلفيها إلى النبي ﷺ أو الصحابة أو من دونهم ، مثل الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها ، ويلحق بها الكتب التابعة لها كجامع الأصول وتحفة الأشراف ، ومختصر البخاري ومختصر مسلم وغيرها ، وكتب الفنون الأخرى كالعقيدة والتفسير والفقه إذا كانت الأحاديث فيها مسندة من مؤلفيها .

وغير أصلية : ما سوى ذلك ، ككتب الأحاديث المتأخرة التي جمعت الأحاديث في موضوع معين كأحاديث الأحكام والترغيب والترهيب ، أو كتب الفنون الأخرى التي لا تسند الأحاديث كتفسير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ومجموع النووي ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) (٧١).

وقيل : المصادر الأصلية ، هي التي تكون مصدراً أولياً للمعلومة ، فلا تستقي مادتها من غيرها ، وغير الأصلية هي التي تنقل مادتها من غيرها [٧٢] .

ولكن الذي يظهر أن أرجح الأقوال، وأليقها بالحال – وهذا واضح لمن نظر في كتب الأئمة وتطبيقهم العملي والاصطلاحات الحديثية التي استخدموها – أن المراد بالمصادر الأصلية هي المصنفات التي يسند فيها مؤلفوها الأحاديث والآثار بأسانيدهم إلى من أسند الحديث والأثر إليه ، سواء كان كتاباً للأحاديث خاصة كالصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والأجزاء وغيرها ، أو كانت من كتب علوم الحديث كالعلل لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ، والعلل للدار قطني (ت ٣٨٥هـ) ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم (ت ٤٠٥هـ) ، أو كانت من كتب التراجم كالتاريخ الكبير والأوسط والصغير وكلها للبخاري (ت ٢٥٦هـ) ، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ت ٣٦٥هـ) ، والضعفاء الكبير للعقيلي (ت ٣٢٣هـ) .

أو كان في الفنون الأخرى كالعقيدة ، مثل كتاب السنة للإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) ، والإيمان لابن أبي شيبة (ت٢٣٤هـ) ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ت ٣١١هـ) .

أو في التفسير كتفسير بقي بن مخلد الأندلسي القرطبي [٧٣] (ت ٢٧٦هـ) ، وجامع البيان للطبري (ت٣١٠هـ) ، وتفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير أبي بكر بن مردويه (ت ٤١٦هـ) .

أو في الفقه كالمدونة للإمام مالك (ت ١٧٩هـ) ، أو الأمام للشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، أو الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني – صاحب أبي حنيفة – (ت١٨٩هـ) .

أو في التاريخ والسير ، كالسيرة النبوية لابن إسحاق (ت ١٥١هـ) ، أو عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، أو تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري .

أو في اللغة وغريب الحديث ، كغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، أو غريب الحديث لإبراهيم الحربي (ت ٢٨٥هـ) ، أو غريب الحديث للخطابي (ت ٣٨٨هـ) .

أو غيرها من الفنون المختلفة ، ما دام أنها قد أسندت الأحاديث من مؤلفيها إلى من أسند الحديث إليهم.

والمصادر غير الأصلية هي ما سوى ذلك ، بمعنى أنها تذكر الأحاديث بلا أسانيد ، أو بأسانيد ، لكن منقولة من مصادر سابقة كما يفعل ابن كثير في تفسيره ، وفي البداية والنهاية ، وغالب كتب السنة المتأخرة هي مصادر غير أصلية ، لأنها تنقل الأحاديث وتجمعها من بطون الكتب السابقة ، كرياض الصالحين للنووي ، أو الترغيب والترهيب للمنذري (ت ٦٥٦هـ) ، وتحفة الأشراف للمزي (ت٧٤٢هـ) .

هذا عن الفرق بين المصادر الأصلية وغير الأصلية ، وضابط كل نوع.

أما صيغة العزو إليها عند التخريج منها، فهي كما يلي: بالنسبة للمصدر الأصلي ، يقال : أخرجه ورواه وخرجه وأسنده ؛ وكل صيغة يفهم منها أن مصنف الكتاب – الذي عزي إليه – رواه بإسناده . والصيغة الأولى أكثرها استعمالاً ، وتليها الثانية .

وأما المصدر غير الأصلي ، فيقال : ذكره ، وأورده ، وعزاه ، ونسبه ، وساقه ، ونقله ، ونحو ذلك من العبارات التي تفيد أن الحديث منقول عن مصدر آخر .

بيد أنه يحصل تجوز – قليل – في استعمال هذه المصطلحات وخصوصاً عند المتقدمين ، ومن لا يعرف مدلول هذه الصيغ من المتأخرين أو غير المتخصصين ، فيقولون : أورده فلان ، وهو قد أخرجه ، أو : رواه فلان ، وهو إنما ذكره مجرد ذكر ، وسأذكر مثالاً لذلك في آخر الأمثلة .

وبالنظر للتطبيق العملي نجد استخدام هذه

المصطلحات ظاهراً ووافراً في المصنفات الحديثية - خصوصاً كتب التخريج - وللتأكيد هاك أمثلة لذلك :

١- أورد الإمام الزيلعي (٧٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " أيما إهاب دبغ فقد طهر"، وقال : رواه النسائي في سننه في كتاب " الفرع والعتيرة " والترمذي وابن ماجة في كتاب " اللباس " ، ورواه مالك في الموطأ ، وابن حبان في صحيحه في "النوع السادس والمائة من القسم الثاني"، ورواه أحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه والبزار في مسانيدهم.

وأعلم أن كثيراً من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين عزوا هذا الحديث في كتبهم إلى مسلم ، وهو وهم ، وممن فعل ذلك البيهقي في سننه (٧٥) وإنما رواه مسلم بلفظ "إذا دبغ الإهاب فقد طهر " ، واعتذر عنه الشيخ تقي الدين في كتاب الإمام ، فقال : والبيهقي وقع له مثل (٧٦) في كتابه كثيراً ، ويريد به أصل الحديث لا كل لفظة منه ، قال: وذلك عندنا معيب جداً إذا قصد الاحتجاج بلفظة معينة ، لأن فيه إيهام أن اللفظ المذكور أخرجه مسلم ، مع أن المحدثين أعذر في هذا من الفقهاء ؛ لأن مقصود المحدثين الإسناد ومعرفة المخرج ، وعلى هذا الأسلوب ألفوا كتب الأطراف ، فأما الفقيه الذي يختلف نظره باختلاف اللفظ فلا ينبغي له أن يحتج بأحد المخرجين ، إلا إذا كانت اللفظة فيه .

٢ - قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير(٧٧) : حديث: روي أن النبي ﷺ قال: "مسح الرأس أمان من الغل".

هذا الحديث أورده أبو محمد الجويني ، وقال : لم يرتض أئمة الحديث إسناده فحصل التردد في أن هذا الفعل هل هو سنة أو أدب ؟ وتعقبه الإمام بما حاصله : إنه لم يجر للأصحاب تردد في حكم مع تضعيف الحديث الذي يدل عليه ، وقال القاضي أبو الطيب : لم ترد فيه سنة ثابتة، وقال القاضي حسين : لم ترد فيه سنة ، وقال الفوراني : لم يرد فيه خبر ، وأورده الغزالي في الوسيط ، وتعقبه ابن الصلاح فقال : هذا الحديث غير معروف عن النبي ﷺ ، وهو من قول بعض السلف ، وقال النووي في شرح المهذب : هذا حديث موضوع ، ليس من كلام النبي ﷺ ، وزاد في موضع آخر : لم يصح عن النبي ﷺ فيه شيء ، وليس هو سنة بل بدعة ، ولم يذكره الشافعي ولا جمهور الأصحاب ، وإنما قاله ابن القاص وطائفة يسيرة، وتعقبه ابن الرفعة بأن البغوي من أئمة الحديث ، وقد قال باستحبابه ، ولا مأخذ لاستحبابه إلا خبر أو أثر لأن هذا لا مجال للقياس فيه . انتهى كلامه (٧٨) .

ولعل مستند البغوي في استحباب مسح القفا : ما رواه أحمد وأبو داود من حديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده ، أنه رأى النبي ﷺ يمسح رأسه حتى بلغ القذال وما يليه من مقدم العنق . وإسناده ضعيف كما تقدم ، وكلام بعض السلف الذي ذكره ابن الصلاح يحتمل أن يريد به ما رواه أبو عبيد في " كتاب الطهور " عن عبد الرحمن بن مهدي عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن موسى بن طلحة قال : " من مسح قفاه مع رأسه وقي الغل يوم القيامة " ، قلت : فيحتمل أن يقال : هذا وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع ؛ لأن هذا لا يقال من قبل الرأي ، فهو على هذا مرسل .

ومن أمثلة تجوز الأئمة في هذه الصيغ والمصطلحات ما فعله الإمام الزيلعي في نصب الراية (٧٩) حيث قال : أما حديث عائشة : فله خمس طرق - ثم ذكر أربع طرق وقال - ذكر ابن الجوزي هذا الحديث من هذه الطرق الأربعة في " الموضوعات " . انتهى كلام الزيلعي.

وبالرجوع إلى كتاب الموضوعات تبين أن ابن الجوزي أسندها ولم يذكرها مجرد ذلك ، فقد قال (٨٠) : وأما حديث عائشة - رضي الله عنها - فله أربع طرق :

الطريق الأول : أنبأنا محمد بن عبيد الله بن نصر - ثم ساق ابن الجوزي بقية الطرق - .

بقي أن أذكر هنا أن الأئمة اصطلحوا أيضاً على استعمال بعض الصيغ المختصرة في وصف المتون والأسانيد ، عند تعدد الطرق ، أو في التخريج الموسع ، ومن أحسن وأدق من استخدم هذه المصطلحات من المتقدمين الإمام مسلم - رحمه الله - (ت ٢٦١هـ) في صحيحه ، وهذه وإن كانت من ميزات صحيح مسلم على كثير من المصنفات الحديثية فليست بغريبة عليه ، لما اشتهر عنه من إتقانه للصناعة الحديثية ، يقول الإمام النووي - رحمه الله [٨١] - : سلك مسلم رحمه الله في صحيحه طرقاً بالغة في الاحتياط والإتقان والورع والمعرفة، وذلك مصرح بكمال ورعه وتمام معرفته وغزاره علومه وشدة تحقيقه ، بحفظه وتقعدده في هذا الشأن وتمكنه من أنواع معارفه وتبريزه في صناعته وعلو محله في التمييز بين دقائق علومه ، لا يهتدي إليها إلا أفراد في الإعصار ، فرحمه الله ورضي عنه ، وأنا أذكر أحرفاً من أمثله ذلك : تنبيهاً بها على ما سواها ، إذ لا يعرف حقيقة حاله إلا من أحسن النظر في كتابه مع كمال أهليته ، ومعرفته بأنواع العلوم التي يفتقر إليها صاحب هذه الصناعة ، كالفقه ، والأصولين ، والعربية ، وأسماء الرجال ، ودقائق علم الأسانيد ، والتاريخ ، ومعاشرة أهل هذه الصنعة ومباحثتهم ومع حسن الفكر ونباهة الذهن ومداومة الاشتغال به ، وغير ذلك من الأدوات التي يفتقر إليها .

فمن تحري مسلم - رحمه الله - اعتناؤه بالتميز بين "حدثنا" و" أخبرنا " وتقييده ذلك على مشايخه ، وفي روايته ، وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما وأن "حدثنا " لا يجوز إطلاقه إلا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة، و" أخبرنا " لما قرئ على الشيخ ، ومن ذلك اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة كقوله " حدثنا فلان وفلان ، واللفظ لفلان قال أو قالا حدثنا فلان " ، وكما إذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث أو صفة الراوي أو نسبه أو نحو ذلك فإنه يبينه ، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى ، وربما كان في بعضه اختلاف في المعنى ، ولكن كان خفياً لا يتفطن له إلا ماهر في العلوم التي ذكرتها في أول الفصل ، مع اطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء، وسترى في هذا الشرح من فوائد ذلك ما تقرُّ به عينك إن شاء الله تعالى . انتهى كلام النووي .

وقد أجمل ذلك أحد الشعراء بقوله :

تناظر قوم في البخاري ومسلم
إلي وقالوا أي ذين تقدم
فقلت : لقد فاق البخاري صحة
كما فاق في حسن الصناعة مسلم

وعليه فيمكن أن أقول بأن من نظر في مصنفات السنة ؛ الأصلية منها وغير الأصلية ، المتقدمة منها والمتأخرة ، يجد أن استخدامهم للصيغ المختصرة في وصف المتن تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

١ - أن يوجد تطابق تام بين لفظي الحديث - المعطوف والمعطوف عليه - وحينئذٍ يعبرون عن المتن المعطوف - لأجل الاختصار - بصيغ متعددة ، من أشهرها : بمثله ، بلفظه ، به .

قال الإمام النووي - رحمه الله - [٨٢] : الكتب المخرجة على الصحيحين لم يلتزم فيها موافقتهما في الألفاظ فحصل فيها تفاوت في اللفظ والمعنى . وكذا ما رواه البيهقي في السنن والبغوي في شرح السنة وغيرهما وقالوا فيه : رواه البخاري ومسلم أو أحدهما وقع فيه أيضاً تفاوت في اللفظ وفي بعضه في المعنى ، فمرادهم أن البخاري ومسلماً أخرجا أصله . فليس لأحد أن ينقل منها حديثاً ويقول : هو هكذا في الصحيحين ، إلا أن يقابله بالصحيحين أو يكون صاحب الكتاب قال : أخرجاه بلفظه.

٢ - أن يوجد اختلاف بينهما لا يؤثر على أصل اللفظ ، بل نجد أكثر العبارات - غالباً - مذكورة في

اللفظين ، وحينئذٍ يعبرون عن المتن المعطوف بصيغ متعددة، من أشهرها : بنحوه ، بلفظ مقارب ، بشبهه .

٣ - أن يوجد اختلاف كامل أو شبه كامل ، وإنما الاتفاق في المعنى ، وحينئذٍ يعبرون عن المتن المعطوف بقولهم : بمعناه ، ونحو ذلك.

وأحياناً يزيدون على الصيغ السالفة - من باب الدقة ومزيد البيان - عبارات أخرى فيها إجمال وتفصيل ، حسب عناية الواصف ، واقتضاء الحال ، ومن هذه العبارات:

فيه زيادة في أوله ، أو آخره ، أو أثنائه ، وقد يذكرون هذه الزيادة .

بتقديم وتأخير .

بلفظ أطول أو أقصر ، أو مطولاً أو مختصراً .

فيه قصة ، أو سبب ورود .

ولتقريب ذلك أسوق أمثلة من عمل الأئمة في ذلك ، وأبدأ بصحيح مسلم ؛ لما سبق من تصدره وتميزه في هذا المجال :

١ - قال مسلم - رحمه الله - (٠٠) : حدثنا يحيى ابن يحيى ، قال : قرأت على مالك عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : "إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه " .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب (يعني ابن عبد الرحمن) عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمعنى حديث سمي .

٢ - وقال الإمام الدار قطني - رحمه الله - [٨٤] نا أبو أحمد بن عبدوس ، نا أبو بكر بن أبي شيبة ، نا عباد ابن العوام ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بقتل العبد .

نا محمد بن الحسن المقري ، نا أحمد بن العباس الطبري ، نا إسماعيل بن سعيد ، نا عباد بن العوام ، عن عمرو بن عامر والحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده مثله سواء .

وقال أيضاً "[٨٥] نا عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز، نا خلف بن هشام ، نا حماد بن زيد ، عن أيوب عن نافع عن ابن عمر - قال حماد ولا أعلمه إلا رفعه إلى النبي ﷺ قال : " كل مسكر حرام ، وكل مسكر خمر ، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة".

نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا أبو الربيع الزهراني ، نا حماد بن زيد ، عن أيوب عن نافع ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه ، ولم يشك .

نا المحاملي نا ابن محشر نا ابن المبارك ، عن حماد ابن زيد مرفوعاً ، وكذلك رواه يونس المؤدب عن حماد كذلك، عن النبي ﷺ بغير شك ، وقال لوين عن حماد رفعه ولم يشك ، ورواه الحكم بن عبد الله أبو النعمان البصري عن شعبة عن أيوب كذلك عن النبي ﷺ بغير شك .

ونا دعلج بن أحمد، نا أحمد ، نا موسى بن هارون ، نا محمد بن مالك البصري جار ابن حسنات عنه .

٣ - وقال الإمام المزي - رحمه الله - [٨٦] : حديث جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أمي ماتت ، وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : " نعم ، فدين الله أحق أن يقضى " خ - [٨٧] يعني البخاري - في الصوم عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة عن الأعمش ، عنه - يعني عن مسلم بن عمران البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما- [٨٨] به ، قال الأعمش : قال الحكم وسلمة : ونحن جميعاً جلوس حين حدث مسلم بهذا الحديث قال : سمعنا مجاهداً يذكر هذا عن ابن عباس : ويذكر عن أبي خالد حدثنا الأعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة بن كهيل ، عن سعيد بن

جبير وعطاء ومجاهد ، عن ابن عباس : قالت امرأة إن أختي ماتت ، وقال يحيى وأبو معاوية : حدثنا الأعمش عن مسلم عن سعيد عن ابن عباس ، قالت امرأة إن أمي ماتت، وقال عبيد الله يعني ابن عمرو الرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن الحكم ، عن سعيد عن ابن عباس ، قالت امرأة : إن أمي ماتت ، وعليها صوم نذر ، وقال أبو حريز : حدثني عكرمة عن ابن عباس : قالت امرأة إن أمي ماتت وعليها صوم خمسة عشر يوماً ، م - أي مسلم - فيه - أي الصيام - عن أحمد بن عمرو الوكيعي ، عن حسين بن علي عن زائدة به ، وعن أبي سعيد الأشج ، عن أبي خالد الأحمر بإسناده نحوه ، وعن إسحاق بن منصور وابن أبي خلف - وعبد بن حميد ، ثلاثتهم عن زكريا بن عدي ، عن عبيد الله بن عمرو الرقي به ، (٨٩) وعن إسحاق بن إبراهيم، عن عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد نحوه : أن امرأة قالت : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر ، د - يعني أبا داود - في الأيمان والنذر عن مسدد ، عن يحيى به ، وعن محمد بن العلاء عن أبي معاوية به . ت - يعني الترمذي - في الصوم عن أبي سعيد الأشج وأبي كريب (فرقهما) كلاهما عن أبي خالد الأحمر بإسناده ، ك: جاءت امرأة فقالت : إن أختي ماتت، وعليها صوم شهرين متتابعين إلا أنه لم يذكر "الحكم " ، وقال : حسن . س - يعني النسائي - فيه - أي الصيام من الكبرى - عن الأشج بإسناد مسلم ، وعن القاسم بن زكريا بن دينار عن زكريا بن عدي به وعن القاسم بن زكريا بن دينار ، عن حسين بن علي عن زائدة بإسناده مثله ، عن قتيبة ، عن عبثر بن القاسم وعن الحسين بن منصور ، عن عبدالرحمن بن مغراء وعن عمرو ابن يحيى بن الحارث الحمصي ، عن احمد بن أبي شعيب الحراني ، عن موسى بن أعين ثلاثتهم عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير نحوه - في حديث ابن مغراء : " امرأة " ، وفي حديث الآخرين " رجل " وفي حديثهم جميعاً : إن أمي ماتت ، وعليها صوم شهر وزاد ابن مغراء عن الأعمش : وعن سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عباس ، وعن الحكم بن عيينة عن عطاء عن ابن عباس، وفي حديث موسى بن أعين عن الأعمش قال وحدثنيه سلمة بن كهيل والحكم مثل ذلك عن ابن عباس ، ق - يعني ابن ماجة - فيه - يعني الصيام - عن أبي سعيد الاشج بإسناد مسلم .

أما وصف السند ، فهم لا يصفون إلا ما كان فيه تطابق تام، فيقولون : بمثله، أو بهذا الإسناد، أو به ، أو بإسناده، وقد سلف شيء من ذلك في تخريج المزي الآنف الذكر .

المبحث الخامس: أبرز المؤلفات في طرق التخريج وقواعده:

تقدم في المبحث الأول (٩٠) أن ذكرت هناك أن إفراد قواعد التخريج وطرقه في مصنفات خاصة قد تأخر إلى عصرنا الحاضر ، وإن كانت قبل ذلك مبثوثة في ثنايا المصنفات الحديثية ، سواء منها كتب المتون والأسانيد ، أو كتب علوم الحديث ، ثم أصبحت فصولاً مستقلة في كتب علوم الحديث ، إلى أن جاء العصر الحاضر فأفردوها في مصنفات خاصة ، وأبرز أسباب هذا التأخر في إفرادها بالتصنيف ، هو تأخر الحاجة لذلك ، حيث لم يكن هناك داع شديد إليه في القرون السابقة ، نظراً لتمكن المطالعين في دواوين السنة من وسائل التعامل معها ، وقدرتهم على الوصول إلى المطلوب منها ، وحين وجدت حاجة قليلة لذلك، ظهرت هذه القواعد والأسس في ثنايا كتب علوم الحديث على هيئة مباحث وفصول مستقلة ، وفي عصرنا الحاضر ومع اشتداد الحاجة لتلك القواعد والأسس انبرى عدد من العلماء إلى تصنيف كتب مستقلة ، عنيت بهذا الفن ، وبسطت القول في إيضاحه، وتدعيم ذلك بالأمثلة ، فقدمت - بحمد الله - خدمة للسنة انتظمت في عقد الخدمات الجليلة التي قدمتها الأمة لآثار نبيها صلوات الله وسلامه عليه ،

وأصبحت بناءً أولياً في هذا الفن ، ولكونه في البداية فلا يخلو من النقص والخلل ، وهذه سنة الله في العلم ، ولولا ذلك ما ترك السابق للاحق شيئاً ، وليس هذا موضع الحديث عن نقدها وبيان اختلاف وجهات النظر حول ما ورد فيها، ولكن حسبي الآن أن أذكر هذه المؤلفات على سبيل الإجمال ليقف القارئ على كوكبة تنير له الطريق ، وتمهد له السبيل ، إن رغب الرحلة إلى واحة السنة والتجوال في ميادينها واقتطاف الأحاديث والآثار من حقولها ، وهذه المصنفات هي :

١ - حصول التفريج بأصول العزو والتخريج ، لأبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، المغربي، المتوفى بالقاهرة سنة ثمانين وثلاثمائة وألف هجرية[٩١] .

٢ - أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، لمحمود الطحان ويظهر - والله أعلم - أنه ثاني كتاب صنف في هذا الفن وإن كان قد توهم نفسه - كما ذكر في مقدمته[٩٢] - أنه أول من صنف في هذا الفن ، حيث مضى أن الغماري قد توفي قبل أن يرى كتاب الطحان النور بثماني عشرة سنة ؛ لأن هذا الأخير قد نشر لأول مرة في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية ، والأول توفي سنة ثمانين وثلاثمائة وألف كما أسلفت . ومع ذلك فقد كان لهذا الكتاب - أعني كتاب الطحان - الأثر الواضح من بين كتب هذا الفن ، وذلك بسبب تدريسه لطلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لمدة تقارب عشرين عاماً ، وهي من أكبر الجامعات الإسلامية في العالم من حيث تعداد طلابها، وامتداد عمرها، وتنوع جنسيات الدارسين فيها.

٣ - كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام ﷺ لعبد الموجود محمد عبد اللطيف، وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة في مصر سنة أربع وأربعمائة وألف هجرية.

٤ - طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ لعبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي ، وقد نشر الكتاب أول مرة في مصر سنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية ، وكلام مؤلفه في المقدمة يشعر بأنه أول المصنفات في هذا الفن حيث يقول[٩٣] : ولقد كان علم التخريج يؤخذ من الشيوخ بالسماع ، ولم تكن فيه مؤلفات ، وأثناء دراستي هذا العلم كنت أتوق لقراءة كتاب فيه ، لكني لم أجد في ذلك كتاباً - رغم بحثي وتمحيصي- وأثناء دراستي في التخصص " الماجستير " سألت أحد مشايخي عن مؤلف في التخريج فأخبرني أن هذا العلم يصعب التأليف فيه ، وتعجبت ، فإني أؤمن أن كل ما يقال يمكن أن يكتب ، وكتبت بعض موضوعات هذا العلم فأعجب بها مشايخي ، وأثنوا عليها ، مما دفعني إلى السير في هذا المؤلف .

بيد أنه كما هو واضح فإن الكتب السابقة كلها تقدمت عليه بسنوات عديدة ، ولذا انتقده في هذا الأمر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد[٩٤] .

٥ - تخريج الحديث النبوي ، تأليف عبد الغني بن أحمد ابن مزهر التميمي.

٦ - التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل لبكر بن عبد الله أبو زيد ، وقد نشر كتابه لأول مرة بالرياض سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف ، وقد تميز كتابه بنقد الكتب السابقة عليه ، والاستدراك عليها .

٧ - مباحث في علم التخريج ودراسة الأسانيد لرتيبة بنت إبراهيم خطاب طاحون ، وقد نشر كتابها بالقاهرة سنة أربع عشرة وأربعمائة وألف هجرية .

٨ - علم تخريج الأحاديث (أصوله - طرائقه - مناهجه) لمحمد محمود بكار ، وقد نشر كتابه بالرياض سنة سبع عشرة وأربعمائة وألف هجرية .

الخاتمة :

مما سبق يتبين لك أخي القارئ الكريم أن علم التخريج فن حاله حال بقية الفنون ، نشأ بسبب الحاجة إليه ، ثم مر بمراحل عبر هذه القرون ، وإلى أن وصل إلينا بهذه الصورة ، والتي لا تزال من الناحية النظرية في مرحلة البناء غير المكتمل ، وما زالت أيدي التجارب تحاول أن تسويه حيناً فتخدشه أحياناً ، والمهم أنه علم جوهري بالنسبة للأمة ، ومتعلق بأمر عظيم ، لأنه يفتح القنوات والأبواب بين أفراد الأمة ونصوص السنة ، وبغير ذلك قد تتيه ، وقد لا تصل . ثم إنه أيضاً ذو مساس مباشر بالمحافظة على هذا الدين ذلك الأمر الذي يقول الله فيه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٩٥) ولهذا وغيره يمكن أن ألخص لك النتائج العامة لهذا البحث فيما يلي :

١ – إن علم التخريج كغيره من الفنون ، نشأ بسبب الحاجة إليه ولا زال ينمو ويترعرع حتى الآن ، ويكتسب أهميته من كونه وسيلة للسنة النبوية وهي أحد مصادر الشريعة الأصلية .

٢ – أن التخريج له جانبان : نظري وعملي ، والعملي أسبق إلى الظهور وأبرز وجوداً في الساحة الحديثية .

٣ – كلما ازداد جهل الناس بالسنة وبعدهم عن دواوينها ابتكر المحدثون في ميدان علم التخريج – العملي منه والنظري – وسائل جديدة ، وقواعد وأسساً تعين على تيسير التعامل مع الأحاديث والآثار والحصول عليها من مواطنها .

٤ – كان الطور الأول للتخريج يعنى بجميع الأحاديث من صدور الرجال المتفرقين في ثنايا الأمصار ، وتمييزها وترتيبها وإبرازها للناس في المصنفات الحديثية ، كالمسانيد، والصحاح، والسنن، والمصنفات ، وغيرها .

٥ – والطور الثاني أصبح فيه نوع من التفنن عند المحدثين، حيث وجهوه لزيادة توثيق نصوص تلك الدواوين السابقة من ناحية البحث عن طرق أخرى لها ، حملت في ثناياها فوائد أخرى كوصل المنقطع وكشف المبهم وبيان المدلس وغيرها كثير .

٦ – ثم تبعها طور ركزَّ على تحوير التخريج ، بحيث ينصب على معنى العزو والدلالة على موضع الحديث في مصادره الحديثية ، ثم استفاض هذا الاصطلاح واشتهر ، وكثر المعتنون به ، والمصنفات فيه ، حتى أصبح هذا الوصف علماً على هذا المعنى ، ولا يفهم منه عند الإطلاق إلا هذا ، واستمر هذا الاصطلاح مع شيء من التغيير فيه إلى يومنا هذا .

٧ – تأخر التصنيف استقلالاً في الجانب النظري عن الجانب العملي زمناً طويلاً يزيد عن سبعة قرون ، حيث لا يعرف من صنف كتاباً مستقلاً في قواعد وطرق التخريج مثل عصرنا الحاضر بينما صنف الأئمة في تخريج الأحاديث في القرن السادس ، وربما قبل ذلك .

٨ – فن التخريج تعتمد المهارة به على طول الممارسة ، والنظر في تخريج الأئمة ، أكثر من الإلمام بقواعده النظرية .

٩ – ينقسم التخريج إلى ثلاثة أقسام : قسم موسع ، يتم فيه استيعاب مخارج الحديث وطرقه ، وذكر الأسانيد ، ووصف المتون، وما يلزم لذلك ، وقسم آخر مختصر، يكتفى فيه بذكر المصدر الذي أخرج الحديث، وربما ذكر معه الموضع التفصيلي بداخله ، وبينهما قسم متوسط .

١٠– طرق التخريج إجمالاً ترجع إلى طريقتين هما :

أ – تخريج الحديث بواسطة إسناده.

ب – تخريج الحديث بواسطة متنه .

ولا تعتبر إحدى الطريقتين هي الأسهل بإطلاق ؛ لأن

ذلك يتأثر ببعض الأحوال والقرائن .

١١- يلزم التفريق بين المصدر الأصلي وغير الأصلي عند التخريج منها ، والعزو إليها .

١٢- لا تزال المصنفات في قواعد التخريج وطرقه تحتاج إلى نقد وإعادة نظر ، حتى تكتمل صورتها وتسلم من النقص والخلل .

١٣- هذا البحث ما هو إلا لبنة في بناء القسم النظري من هيكل التخريج ، حاولت من خلاله إلقاء الضوء على جانب مهم فيه ، قد يساعد بإذن الله على الوصول إلى نظرة أوسع وأشمل .

وسبحانك الله وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

الهوامش

١ - سورة آل عمران آية (١٠٢) .

٢ - سورة النساء آية (١) .

٣ - سورة الأحزاب آية (٧٠-٧١).

٤ - انظر : أصول التخريج ودراسة الأسانيد (١٥) وعلم تخريج الأحاديث (ص ١٨) .

٥ - انظر : كشف اللثام عن تخريج حديث سيد الأنام (٧١-١٥٦) .

٦ - انظر على سبيل المثال : كتاب التأصيل ، وكتاب طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ .

٧ - المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، بهامش إحياء علوم الدين (١/١) .

٨ - انظر : المبحث الأول : المراحل التاريخية لعلم التخريج .

٩ - سورة النحل : ٧٨ .

١٠- الأنفال : ٣٠ .

١١- الترمذي (٥/٧٢٢ : ٣٩٢٥ كتاب المناقب - باب فضل مكة)، وابن ماجة (٢/١٠٣٧: ٣١٠٨ - كتاب المناسك - باب فضل مكة) والدارمي (٢/٢٣٩ - كتاب السير - باب إخراج النبي ﷺ من مكة) .

١٢- بفتح المهملة ثم سكون وفتح الواو وهاء وراء . قال الدارقطني: كذا صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو ، وهو تصحيف وكانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه . انظر : معجم البلدان (٢/٢٩٤).

١٣- ترتيب القاموس (٢/٣٢).

١٤- (٢/١٤٩) مادة " خرج " وانظر أيضاً: المجموع المغيث (١/٥٦٢)، والمشوف المعلم (١/٢٣٨) ، وفيض القدير (١/٢٠).

١٥- ص (١٤٥) مادة " خرج " .

١٦- انظر تدريب الراوي (١/٩٢) .

١٧- التبصرة والتذكرة (٢/٢٢٣) .

١٨- (٢/١٣٨) ، وانظر أيضاً : فتح المغيث (٢/٣٠٩) ، وإرشاد طلاب الحقائق (٥١١/١)

١٩- إرشاد طلاب الحقائق (١٢٥/١) .

٢٠- (٣٣٨/٢) .

٢١- انظر : المبحث الرابع .

٢٢- انظر : المبحث الأول .

٢٣- فيض القدير (٢٠/١) .

٢٤- التلخيص الحبير (٢١/١) .

٢٥- انظر : المبحث الرابع .

٢٦- انظر : المبحث الثالث .

٢٧- انظر : المبحث الخامس .

٢٨- المغني عن حمل الأسفار، بحاشية إحياء علوم الدين (١/١) .

٢٩- (٢١/١) .

٣٠- غاية المرام (ص ٣) .

٣١- فيض القدير (٢٠/١ ، ٢١) .

٣٢- شرف أصحاب الحديث (ص١٠).

٣٣- الكفاية في علم الرواية (ص٢١٦).

٣٤- الكفاية في علم الرواية (ص٢٤١).

٣٥- انظر : ص ٦ .

٣٦- هو البحث ، كأنه مأخوذ من تفتيش الطائر الأرض بمنقاره

بحثاً عن الطعام وغيره . انظر المعجم الوسيط (٢/٩٤٥).
٣٧- أي : اغتنامهم : انظر : ترتيب القاموس (٤/٤٧٥) .
٣٨- الإلماع (ص ١٨٩) .
٣٩- أي : القصد ، انظر : مختار الصحاح (ص ٢٦) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ (المائدة : ٢) .
٤٠- تقدم معناها قريباً .
٤١- (٥٢٣/١) .
٤٢- انظر : مقدمة ابن الصلاح (ص١٢٨) .
٤٣- انظر : التبصرة والتذكرة (٢٤٣/٢) وفتح المغيث (٢٤٠/٢).
٤٤- انظر : التأصيل (ص ٨٨) .
٤٥- انظر : المبحث الخامس .
٤٦- انظر : السنة قبل التدوين (٣٣٧) .
٤٧- وانظر أيضاً : الرسالة المستطرفة (ص ٢٦) .
٤٨- انظر أيضاً : كشف اللثام (١٥٤/١).
٤٩- ص ٢٢ .
٥٠- انظر : سنن البيهقي (١٦٠/١ - كتاب الطهارة - باب المضمضة من شرب اللبن وغيره..) والحديث في البخاري (الفتح ٣١٣/١ : ٢١١ - كتاب الوضوء - باب هل يمضمض من اللبن) ومسلم (٢٧٤/١ : ٣٥٨) - كتاب الحيض) ، وأبي داود (١٣٥/١ : ١٩٦) - كتاب الطهارة ، باب في الوضوء من اللبن) ، والترمذي (١٤٩/١: ٨٩) كتاب الطهارة - باب في المضمضة من اللبن) ، والنسائي (١٠٩/١ - كتاب الطهارة - باب المضمضة من اللبن) .
٥١- سنن البيهقي (٢٩٤/١ - كتاب الطهارة - باب الدلالة على أن الغسل يوم الجمعة ..) والحديث في الموطأ (١٠١/١ - كتاب الجمعة - باب العمل في غسل الجمعة) .
٥٢- شرح السنة (٣٦٥/٢ : ٤٨٠ - كتاب الصلاة - باب تحية المسجد) والحديث في البخاري (الفتح ٥٣٧/١ : ٤٤٤ - كتاب الصلاة - باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين) ومسلم (٤٩٥/١ : ٧١٤ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها) .
٥٣- انظر : شرح السنة (٤٧٥/٢ : ٣٦٠ - كتاب الصلاة - باب الهدي في المشي إلى الصلاة) والحديث في الترمذي (٢٢٨/٢: ٣٨٦ كتاب الصلاة - باب ما جاء في الهدي في المشي الى الصلاة).
٥٤- تحفة الأشراف (٢٠٦/٥ : ٦٣٥٥) . والحديث في البخاري (٢٣٥/٨ : ٤٥٦٩) - كتاب التفسير - باب ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية ، و٥٩٦/١٠: ٦٢١٥ - كتاب الأدب - باب رفع البصر إلى السماء، و١٣ /٤٣٨ : ٧٤٥٢ - كتاب التوحيد - باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق) ، ومسلم (٥٣٠/١ : ٧٦٣) - كتاب صلاة المسافرين وقصرها).
٥٥- نصب الراية (١٢٠/١) ، والحديث في : سنن أبي داود (٣٧٠/٤ : ٤١٢٧ ، ٤١٢٨) - كتاب اللباس - باب في ما روي أن لا ينتفع بإهاب الميتة) ، والترمذي (٢٢٢/٤ : ١٧٢٩- كتاب اللباس - باب ما جاء في جلود الميتة إذا دبغت) ، والنسائي (١٧٥/٧- كتاب الفرع والعتيرة - باب ما يدبغ به جلود الميتة) . وانظر أيضاً من أمثلة العزو للمصدر مع تحديد الموضوع العام والخاص ما أورده الزيلعي في نصب الراية ، وسيأتي ذكره في مبحث

التخريج الموسع في ص٣١).
٥٦- المغني عن حمل الأسفار بهامش إحياء علوم الدين (١/١) .
٥٧- يعني : بعد السبعمائة .
٥٨- إرواء الغليل (١/٧) .
٥٩- ضعيف الجامع الصغير (١/٩).
٦٠- انظر : المبحث الرابع .
٦١- (١/١٨١) .
٦٢- سورة الأنعام الآية ١٨٥ .
٦٣- (١/١٤٠ : ١٠٤) .
٦٤- أخرجه أبو داود (٢/٨٣١ : ٢٤٤٩) - كتاب الصيام - باب في صوم الثلاث من كل شهر)، والنسائي (٤/٢٢٤ - كتاب الصوم باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر) ، وابن ماجة (١/٥٤٤ : ١٧٠٧- كتاب الصيام - باب ماجاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر).
٦٥- وهي الصحيحان، والسنن الأربع: أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .
٦٦- فتح الباري (١/١٩٩: ١٠٦ - ١١٠) كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبي ﷺ متعمداً) .
٦٧- (٢/١٨٠)، وانظر: صحيح الجامع الصغير (١/١١١١: ٦٥١٩).
٦٨- (٣٢٧) .
٦٩- (١/٣١٧ : ٣٠٤) .
٧٠- انظر : المبحث الخامس .
٧١- انظر : أصول التخريج ودراسة الأسانيد (ص١٢-١٤) .
٧٢- انظر لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص١٢٧) .
٧٣- قال ابن حزم - رحمه الله - ما صنف في الإسلام مثل تفسيره، لا تفسير محمد بن جرير - يعني الطبري - ولا غيره . انظر: الرسالة المستطرفة (ص٧٧) .
٧٤- نصب الراية (١/١١٥) ، والحديث في النسائي (٧/١٧٣ - كتاب الفرع والعتيرة - باب جلود الميتة)، والترمذي (٤/٢٢١: ١٧٢٨ كتاب اللباس - باب ما جاء في جلود الميتة) ، وابن ماجة (٢/١١٩٣ : ٣٦٠٩ - كتاب اللباس - باب لبس جلود الميتة إذا دبغت) ، والموطأ (٢/٤٩٨ - كتاب الصيد - باب ما جاء في جلود الميتة) ، والمسند (١/٢١٩) ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤/١٠٣ : ١٢٨٧ - كتاب الطهارة - باب جلود الميتة) .
٧٥- ما فعله البيهقي له وجهة ؛ لأن مسلماً أخرج إسناده فقط ، ولم يذكر اللفظ ، والعبرة بالإسناد ، وقد ذكر ذلك أيضاً الحافظ كما في الفتح (٩/٦٥٨) ، والدراية (١/٥٧) .
٧٦- هكذا في المطبوع، ولعلها "مثل ذلك".
٧٧- (١/١٠٣) .
٧٨- يعني " ابن الرفعة ".
٧٩- (١/١٠٢) .
٨٠- الموضوعات (٢ / ٧٩ - كتاب الطهارة - باب إسخان الماء).
٨١- شرح مسلم للنووي (١/٢١، ٢٣).
٨٢- إرشاد طلاب الحقائق (١/١٢٥).
٨٣- صحيح مسلم ١/٣٠٦ - ٣٠٨ : ٤٠٩ - ٤١١ - كتاب الصلاة) .
٨٤- سننه (٣/١٣٤ - كتاب الحدود والديات).
٨٥- سننه (٤/٢٤٨ - كتاب الأشربة).
٨٦- تحفة الأشراف (٤/٤٤٢: ٥٦١٢).
٨٧- هذه الجملة التفسيرية وما سيأتي من عندي قيدتها لإيضاح كلام المؤلف رحمه الله .
٨٨- يعني الإسناد وليس المتن .
٨٩- هنا الإشارة " به " للإسناد وليست للمتن فلينتبه .
٩٠- انظر : المبحث الأول .
٩١- انظر : التأصيل (ص ٨٨) .
٩٢- انظر : أصول التخريج ودراسة الأسانيد (ص٥).
٩٣- مقدمة الكتاب (ص٤) .
٩٤- انظر : التأصيل (ص ٩٠) .
٩٥- سورة الحجر ، آية ٩ .

فهرس المصادر والمراجع

*- استعملت في هذا الفهرس رموزاً مختصرة وهي : (ت : تحقيق) ، (ش : نشر) ، (ط : طبع) .

١ - **القرآن الكريم** .

٢ - **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان** ، لابن بلبان الفارسي ت : الحوت - ش : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ .

٣ - **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق** ، للنووي - توزيع : عبد الباري فتح الله السلفي - ش : مكتبة الإيمان - المدينة .

٤ - **إرواء الغليل** ، للألباني - ط : المكتب الإسلامي عام ١٣٩٩هـ .

٥ - **أصول التخريج ودراسة الأسانيد**، للطحان ، ط : المطبعة العربية - حلب ١٣٩٨هـ.

٦ - **الإلماع** ، للقاضي عياض - ت : السيد صقر - ش : دار التراث، القاهرة ١٣٩٨هـ .

٧ - **التأصيل** ، للشيخ بكر أبو زيد - ش : دار العاصمة - الرياض ١٤١٣هـ .

٨ - **التبصرة والتذكرة** ، للحافظ العراقي - ش : دار الكتب العلمية - بيروت .

٩ - **تحفة الأشراف** ، للحافظ المزي - ش : الدار القيمة - بومباي - الهند - ١٣٨٤هـ .

١٠- **تدريب الراوي** ، للسيوطي - ت: عبد الوهاب عبد اللطيف - ش : دار إحياء السنة - مصر عام ١٣٩٩هـ .

١١- **ترتيب القاموس** ، للطاهر الزاوي - ط : البابي الحلبي - مصر .

١٢- **التلخيص الحبير** ، للحافظ ابن حجر - ت : شعبان إسماعيل - ش : مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ .

١٣- **جامع الترمذي** ، ت : أحمد شاكر - ش : المكتبة الإسلامية.

١٤- **ذم الهوى** ، لابن الجوزي . ت : أحمد عطا - ش : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ .

١٥- **الرسالة المستطرفة** ، للكتاني ، ط : دار البشائر - بيروت ١٤٠٦هـ.

١٦- **سلسلة الأحاديث الضعيفة** ، للعلامة الألباني - ط : المكتب الإسلامي .

١٧- **سنن ابن ماجة** - ت : عبد الباقي - ش : دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٥هـ .

١٨- **سنن أبي داود** - ت : الدعاس - ش : محمد السيد - حمص ١٣٨٨هـ .

١٩- **سنن البيهقي** - ش : دار الفكر - بيروت .

٢٠- **سنن الدار قطني** - ط : دار المحاسن - القاهرة ١٣٨٦هـ .

٢١- **سنن الدارمي** - ش : دار إحياء السنة النبوية .

٢٢- **سنن النسائي** - ش : دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ .

٢٣- **السنة قبل التدوين** ، لمحمد عجاج الخطيب - ش : دار الفكر - بيروت ١٤٠٠هـ .

٢٤- **شرح السنة** ، للبغوي - ت : شعيب الأرناؤوط - ط : المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ .

٢٥- **شرح مسلم** ، للنووي - المطبعة المصرية ومكتبتها .

٢٦- **شرف أصحاب الحديث** ، للخطيب البغدادي - ت : محمد سعيد أوغلي - ش : دار إحياء السنة النبوية - أنقرة .

٢٧- **صحيح الجامع الصغير** ، للعلامة الألباني - ط : المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ .

٢٨- **صحيح مسلم** ، ت : عبد الباقي - ش : دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ.

٢٩- **ضعيف الجامع الصغير** ، للعلامة الألباني - ط : المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ .

٣٠- **طرق تخريج حديث الرسول** ﷺ، لعبد المهدي بن عبد الهادي - ش : دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٧م.

٣١- **علم تخريج الأحاديث** ، لمحمد محمود بكار - ش : دار طيبة الرياض ١٤١٧هـ .

٣٢- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، للعلامة الألباني - ش : المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٠هـ .

٣٣- **فتح الباري** ، للحافظ ابن حجر - تعليق : الشيخ ابن باز، عبدالباقي - ط : المطبعة السلفية - القاهرة .

٣٤- **فتح المغيث** ، للحافظ السخاوي - ط : العاصمة - القاهرة ١٣٨٨هـ .

٣٥- **فيض القدير** ، للمناوي - ش : دار المعرفة - بيروت .

٣٦- **كشف اللثام عن تخريج حديث سيد الأنام** ، لعبد الموجود عبداللطيف - ش : مكتبة الأزهر - القاهرة ١٤٠٤هـ .

٣٧- **الكفاية في علم الرواية** ، للخطيب البغدادي - ش : المكتبة العلمية - بيروت .

٣٨- **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر** ، لمحمد عجاج الخطيب - ش : مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٣هـ .

٣٩- **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث** ، للأصفهاني - ت : عبد الكريم الغرباوي - ط : معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى - مكة ١٤٠٨هـ .

٤٠- مختار الصحاح، للرازي - ش : دار البصائر ١٤٠٥هـ .

٤١- **المسند**، للإمام أحمد - ش : المكتب الإسلامي - بيروت.

٤٢- **المشوف المعلم** ، لأبي البقاء العكبري - ت : ياسين السواس - ط : دار الفكر - دمشق - ١٤٠٣هـ .

٤٣- **معجم البلدان** ، لياقوت الحموي - ت : فريد الجندي - ش : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ .

٤٤- **المعجم الوسيط** ، لجماعة من الأساتذة في مجمع اللغة العربية - ط : المكتبة الإسلامية - إستانبول .

٤٥- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار** ، للحافظ العراقي - ش: دار المعرفة - بيروت .

٤٦- **المقاصد الحسنة** ، للحافظ السخاوي - ش : دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ .

٤٧- **مقدمة ابن الصلاح** - ش : دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ.

٤٨- **الموضوعات** ، لابن الجوزي - ت: عبد الرحمن عثمان - ش : دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ .

٤٩- **الموطأ**، للإمام مالك - ت : عبدالباقي - ط : الحلبي - مصر.

٥٠- **نصب الراية** ، للحافظ الزيلعي - ط : المجلس العلمي - ١٣٥٧هـ.



إسهامات علماء المسلمين وحقيقة علماء الفرنج

محمد بسام ملص
عمان - الأردن

مقدمة :

لا شك أن الله تعالى أراد أن تعلو كلمة هذه الأمة وترتفع راية التوحيد مصداقاً لما وعد به المسلمين من العلو والنصر ، ولا شك أن الخيرية ما تزال ملازمة هذه الأمة ما بقيت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر : ﴿كُنتُم خَيرَ أمَّةٍ أخرِجَت للناس تأمُرُونَ بالمعروف وتنهونَ عن المُنكرِ وتُؤمِنُونَ بالله﴾ (١) .

وفي إسهامات علماء المسلمين في ميادين العلوم الدنيوية وانتشارها في أرجاء المعمورة مؤشر إلى وعد الله سبحانه وتعالى الذي لا يخلف الميعاد ، والحاجة لبيان هذا الأمر لأولاد الأمة حاجة شديدة وهم يقفون ، مثلما تقف الأمة بأسرها، على مفترق طرق وقد كثرت الفتن ، وأريد لهذه الأمة أن تتخلى عن قيمها اتباعاً لدعوة شياطين الجن والإنس .

إنجازات علماء الأمة في أدب الأطفال :

لقد كتب مهتمون في مجال ثقافة الطفل كتباً كثيرة عن إسهامات علماء الأمة في موضوعات عديدة مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء والفلك والجغرافيا والرياضيات والطب والتمريض وغيرها مما كان للعلماء فيها نصيب(٢) ، ولا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا إن كثيراً من هذه الكتب يفتقد إلى المنهج في بيان حقيقة هذه الإسهامات وأثرها الحقيقي على علماء الفرنج ، وخاصة علماء أوربة ، فقد اكتفى كتّابها ببيان إنجازات العلماء المسلمين في إطار تقليدي مكرر ، وحاول قليل منهم أن يقدموا جديداً في المادة ، غير أن الأمر بقي في هذا الإطار .

وننوه هنا إلى اهتمام عديد من دور النشر بتقديم الموضوع لأولاد الأمة وفق سلاسل عن طريق استكتاب كتاب ، فتكون العجلة وأغراض الانتشار والتوزيع والربح هي التي تتحكم في كتابة هذه الكتب بصورة عامة .

ويلاحظ في مجال كتابة هذا الموضوع أن كثيراً من الكتّاب عمدوا إلى مراجع تعتبر في مجال التأليف كتباً ثانوية تتطلب حذراً شديداً عند الأخذ منها ، في حين أنهم قد أعرضوا عن الكتب الأصلية ولم يلجأوا إلى دراسات تلتزم درجة عالية من الدقة العلمية والموضوعية ، ناهيك عن غياب المنهج الذي يتوجب تقديم الأعمال من خلاله لأولاد الأمة ، علماً بأن كثيراً من المستشرقين وكتّاب الفرنج قد خاضوا في هذا المجال وحاولوا أن يؤطروا إنجازات علماء الأمة ضمن منهجهم وقيمهم ، ولم يدرك كتّاب أدب الأطفال هذا الأمر بصورة جلية، إلا من رحم ربي ، معتبرين أن الكتابة في أدب الأطفال مجرد نقل معلومة مثيرة وطريفة وظريفة قد تكون جديدة ، ولكنها ضمن رؤية غير إسلامية ، ولا نبالغ إذا ما قلنا إن الكتابة في ثقافة الطفل هي عمل حضاري يؤدي دوراً تربوياً مهماً لا يقل أهمية عن دور الوالدين والمدرسة والمسجد ، مع إغفال دور التلفاز وغيره من الوسائل المرئية والمسموعة الحديثة لأنها في وضعها الراهن تؤدي إلى الهدم ولا تقوم بعملية البناء المرجوة.

وقد تم اختيار كتاب له سمات مختلفة عما هو سائد في الموضوع يحمل عنوان "علماء العرب وعلماء

الغرب في اللقاء الفريد" لكاتبه عبدالتواب يوسف [٣] ليكون مدار هذه الدراسة .

علماء العرب وعلماء الغرب في اللقاء الفريد :

يقول الكاتب عن كتابه : «ماذا يحدث لو أن علماء العرب وعلماء الغرب الذين عملوا في مجال واحد التقوا؟... لا شك أنه سيكون اللقاء الفريد .. وذلك هو عنوان الكتاب الذي يروي قصة حضارة العرب وكيف سبقوا الغرب ، ثم كيف تفوق الغرب على العرب .. والكتاب فاز بجائزة الدولة» [٤] .

إن فكرة الكتاب متميزة وغير مسبوقة ، ولا شك أن وضع المادة العلمية المعرفية في إطار غير تقليدي يشجع القارئ على قراءتها ، ومن مزايا الكتاب أيضاً أنه قدم أموراً عدة تعتبر جديدة على القارئ ، قد لا يطلع عليها في مرحلة متأخرة من عمره ، خاصة إذا ما تحدثنا عن طغيان وسائل الإعلام المرئية والمسموعة على المقروءة ، وإذا ما رأينا تراجع القراءة في حياة كثيرين من أولاد الأمة ، إلا من رحم ربي ، في حين راحت الاهتمامات الأخرى التي تولدت عندهم نتيجة تقنيات العصر تطغى بصورة كبيرة على القراءة وتزاحمها بشدة ، فالقارئ للكتاب هذا لا شك سيجد أموراً جديدة تتعلق بجهود العلماء المسلمين وعلماء الفرنج في ميادين مثل علم الضوء والميكانيكا والفلك والملاحة والطيران والطب والتمريض وأدوات الكتابة .

مسائل حول الكتاب :

يثير الكتاب مسائل تستحق منا قراءة متأنية ، هي مسائل على جانب كبير من الأهمية في موضوع العلوم ودور علماء المسلمين فيه ، وحقيقة إسهامات علماء الفرنج ، وتصب هذه في كيفية تعاملنا مع جهود علمائنا على وجه الخصوص وجهود علماء الأمم على وجه العموم ، فمما لا شك فيه أن "على الوارثين لهذا التراث الإسلامي أن يسهموا في قضية إظهار الحقائق إسهاماً كبيراً" [٥] .

المسألة الأولى :

يلاحظ أن الحيز الذي احتلته جهود علماء الفرنج يساوي ذلك الذي وضعت فيه إنجازات علماء المسلمين ، إن لم يزد عليه ، فإن قيل بأن الأمر يرتبط بمنهج سار عليه الكاتب لبيان إسهامات علماء المسلمين والفرنج على حد سواء ، نقول بأن الواجب يقتضي بيان إنجازات علماء الفرنج في إطار إسهامات علمائنا .

فعلى سبيل المثال نرى إسهاباً واضحاً عند الحديث عن العالم نيوتن (١٦٤٣ – ١٧٢٧م / نحو ١٠٥٣ – ١١٤٠هـ) وعن فاسكو دا جاما (نحو ١٤٦٠ – ١٥٢٤م / نحو ٨٦٥ –٩٣١هـ) ، وعن المرضة فلورنس نايتنجيل (١٨٢٠ – ١٩١٠م / نحو ١٢٣٦ – ١٣٢٨هـ) وعن جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م / نحو ٩٧٢ – ١٠٥٢هـ) وعن وليم هارفي [٦] (١٥٧٨ – ١٦٥٧م / نحو ٩٨٦ – ١٠٦٨هـ) .

ولم يكتف بذلك ، بل قرنت جهود علماء الفرنج بالمدح والتعظيم وإعلاء الشأن ، ومن ذلك أن نيوتن قد اعتبر على لسان الحسن بن الهيثم (٣٥٤ – نحو ٤٣٠هـ) أعظم علماء التاريخ وقد أرسى قواعد نظريات زلزلت العلم الحديث وعمره واحد وعشرون عاماً [٧] ، وأما فلورنس نايتنجيل فإن الناس يتسابقون إلى لمس ثوبها أو تقبيل يدها ، وقد تردد على دارها العظماء والسادسة والقادة والأدباء والصحفيون ، وقد أحدثت ثورة في تاريخ العلاج واستقبلت كالفاتحين ومنحت وسام استحقاق وأقيم لها تمثال ، وأنشد الشاعر لونجفلو في شخصيتها قصيدة يحفظها الأطفال في المدارس . وكان رائعاً أن تذكرها المرضة المسلمة رفيدة بنت سعيد رضي الله عنها [٨] ، وأما دانييل ديفو الكاتب الإنجليزي (١٦٦٠ – ١٧٣١م / نحو ١٠٧١ – ١١٤٤هـ) فإن روايته "روبنسون كروزو" من أجمل القصص الإنسانية المثيرة وقد لقيت شهرة عظيمة [٩] ، وأما جاليليو فهو العالم الكبير الذي أكد على

كروية الأرض وله اكتشافات علمية عظيمة وهو مبتكر التلسكوب والميكروسكوب [١٠] .

هذا التعظيم المبالغ فيه لعلماء الفرنج يعارض المنهج الواجب اتباعه في الكتاب في أدب الطفل المسلم .

المسألة الثانية :

يعترف علماء الفرنج صراحة في هذه اللقاءات المتخيلة بأنهم أخذوا عن علماء المسلمين على النحو التالي :

أ - يعتبر نيوتن أن الحسن بن الهيثم أستاذه ورائد كل الدنيا في علم الضوء ، وقد قرأ كتابه في الضوء واعترف له بأنه صحح علم اليونان في علم الضوء ، وأنه أول من تكلم عن انعكاسات الضوء وانكساره وامتداده ، وله فضل على صناعة التلسكوب والميكروسكوب ، وأن قراءته لكتبه جعلته يفكر فيه طويلاً [١١] .

ب - يُظهر فاسكو دا جاما دهشته وهو يطلع على علم أحمد بن ماجد (نحو ٨٣٤ - ٩٠٥هـ) عن البحار وعن خبرته الواسعة وإرشاداته البالغة الدقة في مجال الملاحة والخرائط ، ويدهش دا جاما عندما يرى آلات عربية متقدمة تستعمل في رصد النجوم [١٢] .

جـ - يذكر الأخوان رايت ، أورفيل (١٨٧١ - ١٩٤٨م/ نحو ١٢٨٨ - ١٣٦٨هـ) ، وولبور (١٨٦٧ - ١٩١٢م / نحو ١٢٨٤ - ١٣٣١هـ) عباس بن فرناس (... - ٢٧٤هـ) على أنه رائع ما سبقه أحد إلى إنجازاته وأنه ضحى ليمهد الطريق لغيره [١٣] .

د - يصرح دانييل ديفو أنه حاول تقليد ابن طفيل (٤٩٤ - ٥٨١هـ) عندما كتب روايته "روبنسون كروزو" ، ويذهل وهو يستمع إلى قصة ابن طفيل العظيمة والعميقة[١٤].

هـ - يقول جاليليو إنه يعرف عن ابن يونس المصري (... - ٣٩٩هـ) أموراً كثيرة ، ويعترف أنه سبقه إلى اكتشاف الرقاص (بندول الساعة) وإلى معرفة الساعة التي تدق، ويعترف له بفضله عليه ، ويقر بأن نجاح ابن يونس قد أذهله في تحويل عمليات الضرب في الحساب إلى عمليات جمع تسهل حلول كثير من المسائل الصعبة[١٥] .

و - يبدو وليم هارفي متلهفاً حريصاً على أن يعرف من سبقه إلى اكتشاف الدورة الدموية [١٦] .

ويتضح من هذا أن أولئك العلماء قد اعترفوا بإنجازات المسلمين العلمية وفضلهم عليهم ، ورغم أن هذه الأقوال وردت في إطار لقاءات تخيلية افتراضية ، إلا أن القارئ يستنتج دون شك أن علماء الفرنج أمناء في النقل والأخذ عن غيرهم ، يعطون الحق لأصحابه ، فهم لم ينكروا جهود علماء المسلمين ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن اعترافات علماء الفرنج وتصريحاتهم وأقوالهم تلك من شأنها أن تعلي مكانتهم وتعظمهم في نفوس أولاد الأمة ، فإنهم لم يكتفوا ببيان أمانتهم العلمية ، بل إنهم قد تفوقوا على المسلمين بجهودهم والتزامهم بالحق والأمانة . وهنا يبدو المجازفة في هذا المنهج الذي اتبع في الكتاب ، فوجب بيان حقيقة علماء الأمة وعلماء الفرنج .

حقيقة علماء الأمة وعلماء الفرنج :

لقد أخذ علماء المسلمين عمن سبقهم من العلماء ، واستفادوا وكانوا يعتبرون أنفسهم أشبه بتلاميذ لعلماء الإغريق وغيرهم [١٧] ، ولم ينتقصوا من قدرهم ، كما أن الأخذ لم يمنعهم من الاستدراك عليهم ، شريطة ألا ينطوي ذلك على الإسراف في التجريح والتضليل ، وبذلك أرسوا الأسس الأخلاقية للنقد متحلين بالأمانة العلمية والموضوعية (الالتزام بالحق) منطلقين أساساً من تربيتهم الإسلامية القويمة ، فكان النقد عندهم مفيداً ومثمراً [١٨] .

أما عملية الأخذ والتمثل عند علماء الفرنج فتمت على غير تلك الصورة ، فقد كانوا يأخذون وهم يشعرون بشعور المعاداة والبغضاء تجاه من يأخذون منهم ، وانعكس ذلك على عملية الأخذ بصورة عقد نفسية

واضطراب ، وطبيعي أن يفقدوا لذلك عنصري الوضوح والصراحة المتصلان بالأمانة العلمية ، وهما العنصران الأصليان في عملية أخذ علماء المسلمين من غيرهم (١٩) .

وأدى هذا إلى أن تتخذ عملية أخذ علماء الفرنج من علوم المسلمين صفة الانتحال ، فقد انتحلوا لأنفسهم بحوثاً أخذوها من كتب علماء المسلمين (٢٠) ، وهذه الانتحالات كثيرة "أعظم من أن تستطيع تبيانها جماعة كثيرة من العلماء في عشرات السنين" (٢١) ، وهذا قول صادر عن الباحث المسلم فؤاد سزكين الذي أمضى ، وما زال ، سنوات طويلة يدرس إسهامات علماء المسلمين ، ونذكر من هذه الانتحالات على سبيل المثال ما أخذه عالم الفلك كوبرنيكوس (١٤٧٣ - ١٥٤٣م / نحو ٨٧٨ - ٩٥٠هـ) من نظريات الفلكيين المسلمين ، وخاصة العالم المسلم ابن الشاطر (٢٢) (٧٠٤ - ٧٧٧هـ) ، وما أخذه مايكل سيرفيتوس (نحو ١٥٠٩ - ١٥٥٣م / نحو ٩١٥ - ٩٦١هـ) ثم وليم هارفي من بعده من ابن النفيس عن الدورة الدموية واكتسابهما الشهرة (٢٣) .

ولأن أمر الانتحال لم يذكر في الكتاب ، بل ذكر الضد ، تم إعطاء القارئ صورة غير صحيحة عن إسهامات علماء الفرنج ، تساهم في تضليله بدل أن تبين له الحق ، وتزيد من إعجابه بعلماء الفرنج ومن جهله بحقيقتهم .

المسألة الثالثة :

الحسن بن الهيثم وإسحق نيوتن :

يظهر في هذا اللقاء أمران :

الأمر الأول : ذكر أن نيوتن "جلس في هدوء تحت شجرة التفاح الشهيرة .. إنها تلك التي سقطت منها تفاحة، فلم تمتد إليها يده لتلتقطها كما أنه لم يهمل هذا الذي حدث ويحدث دون أن يهتم به أحد بل فكر في الأمر طويلاً .. وسأل نفسه ببساطة : لماذا سقطت التفاحة ؟ وإذا بالإجابة على السؤال تكشف واحداً من أعظم اكتشافات العصر .. إنه قانون الجاذبية .." (٢٤) . ويفهم من هذا الكلام أن نيوتن يعتبر مكتشف قانون الجاذبية ، وهذا قول فيه مجازفة ومغالطة علمية وتاريخية ، فإن اكتشاف قوانين الجاذبية يرتبط بإنجازات علماء الأمة الذين توصلوا إلى مضمون قوانين الحركة الثلاثة وإن لم تتح لهم فرصة لصياغتها في قوانين كما فعل نيوتن .. وتذكر في هذا الشأن من باب الأمانة العلمية جهود الإغريق في ميدان علم الميكانيكة من أمثال أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م)(٢٥)، والعالم جون فيلوبونس (٤٩٠ - نحو ٥٧٠م) الذي أوجد نظرية جديدة في القوة تعد بديلاً لديناميكية أرسطو (٢٦) .

وتذكر جهود ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ) والعالم أبو البركات البغدادي (نحو ٤٨٠ - نحو ٥٦٠هـ) وفخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) ونصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ) في هذا المجال (٢٧) ، ومن المرجح أن يكون قد وصل كثير منها إلى أوربا عندما ترجم كتاب لابن سينا إلى اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي (٢٨) (السادس الهجري) ، وإذا كان نيوتن قد اطلع على جهود علماء أوربا من أمثال كوبرنيكوس وجاليليو وكيبلر (٢٩) (١٥٧١ - ١٦٣٠م / نحو ٩٧٩ - ١٠٤٠هـ) فمن المهم أن نشير إلى أن أعمال الفرغاني (النصف الأول من القرن الثالث الهجري) الفلكية كانت من أهم مصادر كوبرنيكوس وجاليليو وكيبلر (٣٠) ، وهذا جزء من الحقيقة ، إلا أن ما ورد في الكتاب يعطي نيوتن التفرد في أنه قد اكتشف قانون الجاذبية لمجرد أنه قد رأى تفاحة تسقط (٣١) .

الأمر الآخر : ذكر في اللقاء على لسان نيوتن وهو يخاطب الحسن بن الهيثم : "كيف كان يمكنني أن أقول إن الضوء مكون من كل ألوان الطيف لو لم أقرأ كتاباتك ؟"(٣٢) ، ويفهم من هذا الكلام أن لنيوتن ريادة في تحليل الضوء إلى ألوان الطيف ، وهذا الأمر يمثل جانباً من انتحال علماء الفرنج ، فهم يعزون اكتشاف ألوان الطيف إلى نيوتن (٣٣) ، ولو أن نيوتن ذكر "أستاذه" ابن الهيثم حقيقة

لظهر هذا في كتبه ، إلا أنه لم يفعل ، وتبقى الحقيقة قائمة وهي أن لابن الهيثم ومن بعده كمال الدين الفارسي (عاش حتى أوائل القرن الثامن الهجري) جهوداً مميزة في بيان حقيقة قوس قزح وألوان الطيف [٣٤] .

المسألة الرابعة :

أحمد بن ماجد وفاسكو دا جاما :

يذكر عند الحديث عن أحمد بن ماجد وفاسكو داجاما ما يلي : "كانت هناك إشاعة تملأ كل الدنيا ، وتقول ... إن هذا اللقاء قد حدث .. ولم يكن هناك ما يثبت ذلك إلى أن كشف أنور عبدالعليم عن وثائق تؤكده .. ومن واقع ما نشره نحكي لكم قصة هذا اللقاء الذي تم بين اثنين من البحارة : العربي العظيم ابن ماجد .. والبرتغالي الشهير فاسكو دا جاما .." [٣٥] وتلقي هذه الكلمات ضوءاً على المصدر المرجح الذي اعتمد عليه الكاتب عندما كتب اللقاء ، ومصدره هو كتاب "ابن ماجد الملاح" لمؤلفه أنور عبدالعليم ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٦٧م (نحو ١٣٨٧هـ) ، وفيه يذكر مؤلفه أن ابن ماجد قد عاون دا جاما [٣٦] ، واعتماداً على هذا أجرى ذلك اللقاء الذي ورد على شكل يوميات تخيل الكاتب أن دا جاما قد سجلها ، ويتبين من هذا اللقاء الأمور التالية :

الأمر الأول : يعتبر الباحث جابرييل فران (Gabriel Ferrand) من أوائل من ذكر أن من أرشد داجاما في رحلته البحرية كان الملاح ابن ماجد [٣٧] وقد اعتمد فران على خبر رواه قطب الدين النهروالي (٩١٧ - ٩٨٨هـ) في مصنفه "البرق اليماني في الفتح العثماني" [٣٨]، وقد تبينت للباحث أنور عبدالعليم أمور جديدة في الموضوع بعد أن كتب مؤلفه "ابن ماجد الملاح" ، (من المرجح أن يكون مؤلف كتاب "اللقاء الفريد" مدار الدراسة قد اعتمد على هذا الكتاب) ، فصنف كتابه الآخر "الملاحة وعلوم البحار" عام ١٩٧٩م [٣٩] (١٤٠٠هـ) ليؤكد فيه أن ابن ماجد ليس هو مرشد داجاما موضحاً ما يلي :

١ - ضعف رواية النهروالي التي دونت بعد نحو ٥٠ عاماً من وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي [٤٠] ، ومن المرجح أن يكون النهروالي قد اعتمد على إشاعات متواترة ، ولو أن الواقعة صحيحة لذكرها ابن ماجد نفسه في مؤلفاته ، ولذكرها رجل مثل سيدي علي حسين (... - ٩٧٠هـ) في كتابه "المحيط" الذي اطلع بنفسه على أعمال ابن ماجد ، وعاش مع الملاحين المسلمين فلم يسمع حكاية إرشاد ابن ماجد لداجاما [٤١] .

٢ - كما أن المصادر البرتغالية تقرر من جهتها أن الربان الذي أرشد داجاما كان من جوزرات [٤٢] على ساحل الدكن في الهند يعرف بالمعلم كانا أو كاناكا [٤٣] ، في حين أن ابن ماجد عربي مسلم من ظفار بالجزيرة العربية.

٣ - روى النهروالي أن ابن ماجد ساعد داجاما وهو في حال سكر [٤٤] ، وهذا أمر لا يقبله عقل لأن داجاما لا يمكن أن يطمئن إلى رجل فاقد الوعي ليدله على الطريق ، وهو طريق بحري لم يسبق للبرتغاليين ارتياده [٤٥] ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن ابن ماجد كان رجلاً ورعاً تقياً لا يمكن أن يرتكب معصية في أخريات أيامه [٤٦] ، ومن يطلع على ما كتبه يدرك أن رجلاً بهذا الخلق القويم لا يمكن أن يقترب من الخمر [٤٧] .

٤ - كانت أغلب تجارة المحيط الهندي في أيدي الملاحين المسلمين ، ولم يكونوا يسمحون للبرتغاليين بأن ينتزعوا منهم هذه السيادة [٤٨] .

الأمر الثاني : ذكر في اليوميات التي افترض الكاتب أن داجاما سجلها أثناء رحلته إلى الهند أن داجاما قضى الليلة التي سبقت إقلاعه في دير يصلي لله ويدعوه أن تنجح الرحلة ، وأنه في عيد يوم الميلاد الذي يحتفل به النصارى أقام ومن معه احتفالات [٤٩] ، وهذا كلام يتطلب إعادة نظر لأنه موجه لأولاد الأمة ، فإن داجاما قد حاول أن يتستر بالدين ليحقق أطماعه وأطماع

ملك البرتغال ، وقد سميت سفنه بأسماء الملائكة والقديسين[٥٠] ، ولا نعجب إذا ما عرفنا أن من أهداف رحلته نشر النصرانية الكاثوليكية في بلاد الشرق[٥١] ، وكان من أهدافها أيضاً القضاء على قوة المسلمين ، ونظراً لأن الرحلة كانت ذات أهداف تنصيرية استعمارية لمواجهة الإسلام والمسلمين ، فقد "... (كثروا) في بحر الهند وبنوا في (كوه) من بلاد (الدكن) قلعة يسمونها (كوتا) ثم أخذوا (هرموز) وتقووا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال ، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، إلى أن كثر ضررهم على المسلمين ، وعمّ أذاهم المسافرين" [٥٢] ، ويذكر كذلك أن داجاما عاد إلى الهند حاكماً عليها عام ١٥٠٢م (نحو ٩٠٨هـ) من قبل ملك البرتغال فجرى على يديه القتل والنهب والحرق في مراكب المسلمين[٥٣] .

ولم يكن أمر البرتغاليين ليخفى على المسلمين ، فهو ذا ابن ماجد نفسه يبين أنهم مستعمرون يضمرون الشر للإسلام والمسلمين [٥٤] ، فيقول في أرجوزة له عنهم :

واشتروا البيوت ثم سكنوا

وصاحبوا للسوامر ركنوا

والناس تضرب فيهم الظنونا

ذا حاكم أو سارق مجنونا

وتضرب السكة وسط البندر

بندر كاليكوت بين السفر

يا ليت شعري ما يكون منهم

والناس معجبين من أمرهم[٥٥]

ويحذر كل ملاح : "والحذر كل الحذر إذا استشارك عدوك في السفينة ، فإنه لم يستشرك إلا عند فساد الأمر ، مقصوده يشركك في الشر والتعب والامتحان"[٥٦] .

الأمر الثالث : يقول الكاتب على لسان داجاما إنه قد دهش من معلومات ابن ماجد المسلم عن البحار ، وذهل عندما اطلع على خرائط وآلات عربية متقدمة تستخدم في رصد النجوم ، واعترف أنه مدين لابن ماجد بالكثير ، وأقر بأن ابن ماجد "رجل رائع مهذب ، طيب ، ... يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها ، وقال لي : (إنه حج إلى بيت الله الحرام في مكة ...)"[٥٧] . فهل هذا كلام يصدر عن رجل نصراني متعصب غرضه التنصير والقضاء على المسلمين وقوتهم ؟! لقد كان من الضروري التنبه إلى هذا حتى لا يتم تضليل أولاد الأمة وهم يقرأون عن ابن ماجد وداجاما.

المسألة الخامسة :

عباس بن فرناس والطيران :

ذكر في خمسة مواضع في اللقاء الذي تم بين عباس بن فرناس والأخوين رايت ولندبرج أن محاولة ابن فرناس في الطيران قد أفقدته حياته [٥٨] ، ويفيد خبر عن سيرته أنه لم يلق حتفه نتيجة ذلك ، بل تأذى فقط لأنه أغفل عن وضع ذيل من الريش كما هي الحال عند الطيور[٥٩] .

المسألة السادسة :

رفيدة رضي الله عنها وفلورنس نايتنجيل :

ارتبط اسم الصحابية رفيدة رضي الله عنها بالممرضة نايتنجيل في هذا اللقاء الذي تتبين فيه أمور :

الأمر الأول : المرجح أن اسم الصحابية هو رفيدة دون أية نسبة ، كما ورد عند ابن سعد بإسناد صحيح ، عند رواية خبر إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه : "لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة ، وكانت تداوي الجرحى" [٦٠] ، أما عند ابن هشام فهي امرأة من أسلم ، وقد روى الخبر عن ابن إسحاق دون سند ، وفيه قول الرسول ﷺ عن سعد رضي الله عنه : "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب" [٦١] .

وعند ابن سعد خبر آخر دون سند عن كعيبة بنت سعد الأسلمية[٦٢] ، وربما اختلط الأمر بين الصحابيتين ، وأمر التصحيف مستبعد في هذا الحال ، إلا أن الخبر عند ابن سعد عن رفيدة بسند صحيح ، كما تم بسط ذلك ، أما عن كعيبة فهو دون سند ، ويتضح من هذا أن في الخبر

الصحيح اسم رفيدة رضي الله عنها دون أية نسبة ، ودون ذكر قوله عليه أفضل الصلاة والسلام : "اجعلوه في خيمة رفيدة رضي الله عنها" ، كما ورد في الكتاب موضوع الدراسة (٦٣) ، ويرجح الخبر الصحيح ، والله أعلم .

الأمر الثاني : أحسن الكاتب وهو يذكر على لسان رفيدة رضي الله عنها أن عملها كان لوجه الله (٦٤) ، فهذا يبين الفرق جلياً بين أعمال المسلمين وغير المسلمين ، كما يعرض لأمر النية ، وقد قال الرسول ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٦٥) ، إلا أن قولها قد اعتراه اضطراب وهزة عندما جعلها الكاتب تصرح في أربعة مواضع أن عبارة الرسول ﷺ لها «اجعلوه في خيمة رفيدة رضي الله عنها» وهي لم ترد في خبر صحيح ، كانت هي الوسام الذي حصلت عليه ، وأن كل ممرضة عربية تعمل في مستشفى هي بمثابة تمثال حي لها ، وأنها تمنت لو أن داراً للتمريض في الوطن العربي قد حملت اسمها ، وأن الشعراء لم ينشدوا في شخصها قصائد فقد شغل أغلبهم بالخلفاء والسلاطين ، وكانت بذلك ترد على أسئلة نايتنجيل وتعليقاتها (٦٦) .

إن إجابات رفيدة رضي الله عنها هذه لم ترد في أي خبر صحيح ، وهي إضافة إلى ذلك تعكس وجهة نظر امرأة تعيش في عصرنا ، لا في عصر النبوة والخلافة الراشدة الذي قال عنه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٦٧) ، وهو فترة مؤيدة بالوحي ضمت خيرة رجال هذه الأمة ونسائها ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه الكريم إلى يوم الدين لإيمانهم به وتصديقهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وسبقهم ونصرتهم وجهادهم بالأموال والأنفس ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه(٦٨) ، فرفيدة رضي الله عنها وهي تنتمي إلى عصر النبوة ما كانت تطلب شيئاً مما قيل على لسانها ، فلم تكن تسعى إلى الدنيا والمجد والشهرة والأوسمة ومديح الساسة والعظماء والقادة والشعراء والأدباء والصحفيين لها ، ولم تكن تريد التماثيل والأوسمة مثلما حصل لنايتنجيل ، فهذه مما يحبط الأعمال ويؤدي ، والعياذ بالله ، إلى جهنم ، وقد قال الرسول ﷺ عن "رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"(٦٩) .

وكان بتوجب التأكيد على هذا الأمر لأنه سمة من سمات الشخصية الحضارية المسلمة ، ولأنه يبرز مزايا السيرة النبوية والخلافة الراشدة التي هي خير القرون ، فهي تصوب المسار وتمثل المعيار والمرجعية وتوضح ملامح الأمة وقسماتها (٧٠) .

الأمر الثالث : وردت أخبار على لسان رفيدة رضي الله عنها تفيد أنها كانت زمن السلم تخدم العجزة والبائسين وتخفف آلامهم ، وأنها ساهمت في تضميد جروح خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأنها قامت بتمريض كثير من الشعراء(٧١) ، وهذه أخبار لم ترد في أي مصدر من المصادر التاريخية المتقدمة ، ولم يرد إلا خبر مقتضب عن الصحابية قد تم عرضه بعون الله ، فالواجب والحال هذه الإمساك عن هذه الأخبار التزاماً بالأمانة التاريخية والأخبار الصحيحة المتعلقة بخير القرون وما ورد على لسانهم حقاً .

الأمر الرابع : يلاحظ في اللقاء أن الصحابية رضي الله عنها قامت بزيارة نايتنجيل ، وكان ينبغي أن تقوم نايتنجيل بذلك ، حتى وإن زارها عظماء العالم والسياسيون والقادة والأدباء ، وهذا يكون من باب إعزاز الصحابية ، فالمسلمون أعزاء أشداء على الكافرين (٧٢) ، فتكون زيارتها للصحابية فرصة لتتعرف إلى خير القرون وإلى الأجر الذي يكسبونه خارج إطار الأوسمة وإقامة التماثيل وتقبيل الأيادي والشهرة والقصائد ، فيدرك

القارئ القيم الإسلامية الحميدة من خلال هذا، بدل أن تكون الصحابية هي التي تذكر نايتنجيل وتزورها فيعتبر عملها لذلك رائعاً [٧٣] ، ويعرف القارئ كذلك من ترجح كفتها في ميزان الحق .

الأمر الخامس : يرد على لسان نايتنجيل وهي تخاطب الصحابية : "هكذا كانت مهمتنا الجليلة ، لا تأخذ حقها من الدعاية والإعلان" [٧٤] ، إن استخدام كلمتي "الدعاية والإعلان" مرتبط بالسلع التجارية أكثر من ارتباطه بأي أمر آخر ، فهل عمل الصحابية بصورة خاصة وعمل المرضات بصورة عامة سلعة يروج لها عن طريق الدعاية والإعلان ؟ !

المسألة السابعة :

ابن طفيل ودانيل ديفو :

جرى لقاء بين ابن طفيل الفيلسوف ودانيل ديفو الكاتب الإنجليزي ، وتتضح الأمور التالية فيه :

الأمر الأول : افترض الكاتب أن ابن طفيل يعرف أموراً في اللغة الإنجليزية فيخاطبه قائلاً :

"مستر ديفو" ، وافترض كذلك أنه قرأ قصة "روبنسون كروزو" ، وأقر بأنها من أجمل القصص الإنسانية المثيرة[٧٥] ، وكان الأولى بديفو أن يقدم نفسه لابن طفيل ويعرّفه بروايته، فيكون الأمر أكثر قبولاً وواقعية.

الأمر الثاني : يذكر على لسان حي بن يقظان : "بدأت أتحسس حياتي من الظلام الكامل إلى أعلى حقيقة يصل إليها الإنسان .. ألا وهي وجود الله .. يدركها الإنسان وحده ، بنفسه ، وبعقله !! " [٧٦] وهذا كلام فيه نظر ، فلو أن الأمر مرهون بالعقل وحده لما كانت هناك حاجة لأن يرسل الله سبحانه وتعالى رسله مبشرين ومنذرين ومبينين للناس الطريق السوي ، فإن معرفته الصحيحة والهداية الكاملة لا تتم إلا عن طريق الأنبياء والرسل ، فهي معرفة لا يشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم أو تعبير ولا يستقل بها العقل ، ولا يغني فيها الذكاء أو الفطنة ، ولا تكفي فيها سلامة الفطرة والإغراق في القياس العقلي والتأمل الفلسفي ، فإن سر ضلال الفلاسفة اعتمادهم في ذلك على عقلهم وعلمهم [٧٧] ، وليست حياة كثير منهم بعيدة عن ضلالهم وإضلالهم وتخبط كثير من الناس معهم اتباعاً لأهوائهم وعقولهم الضالة .

الأمر الثالث : قال الكاتب على لسان ابن طفيل : "وجعلت حي بن يقظان يذهب إلى الجزيرة المجاورة لأنقد مجتمع الناس وأبين فساد نظمهم في وضع المجتمع والحياة ، كل همهم الرغبة في الثواب والخوف من العقاب ! الأخلاق عندي مسألة طبيعية ، فطرية عقلية" [٧٨] . وهذا كلام فيه مجازفة ، فهل الرغبة في الثواب والخوف من العقاب أمر فاسد في المجتمع ؟ ! إن كان الأمر كذلك حكمنا على مسار المجتمع الإسلامي عبر القرون بالفساد ! بل وجب علينا أن نلغي أمر الثواب والعقاب وصلتهما بالله الواحد الأحد خالق الناس وهاديهم إلى الصراط السوي !

ولو كان أمر الأخلاق يتوقف على المسألة الطبيعية والفطرية والعقلية لسادت الفوضى والاضطراب ولخرجت النفس الإنسانية عن فطرتها لتطيع العقل ولا تترك للإيمان سبيلاً إليها ، فإن اعتمد الإنسان على عقله ليؤسس أخلاقه ويؤطرها ضلّ وتاه ، وقد رأينا ضلال الأمم في السابق ، ونراه اليوم ! إن عقل الفرنج بعيداً عن الإيمان الحق قد قادهم إلى أخلاق من نوع خاص تعلي من شأنهم وتحط من شأن الآخرين ، وإن عقلهم قد قادهم إلى اكتشافات واختراعات علمية أفسدت دون إصلاح ، وهدمت دون بناء ، وما القنبلة الذرية إلا ثمرة من ثمرات الأخلاق التي تعتمد على العقل وحده ، وما الاكتشافات المذهلة في مجال العلوم الحياتية مثل التلاعب بالصفات الوراثية والاستنساخ إلا ثمرة أخرى من ثمرات هذا المذهب ، والاكتشافات ما تزال تتوالى ، فنسأل الله الرحمة والهداية، ونعوذ به من أن نَضلّ أو نُضَلَّ .

إن مسألة الأخلاق بمنأى عن الإيمان والاعتماد على العقل والاعتراض على الرغبة في الثواب والخوف من العقاب تتوجه إلى الناشئة المسلمين ، فكان يتوجب الحذر الشديد والتنبه إليها .

المسألة الثامنة :

ابن يونس المصري وجاليليو :

وردت في هذا اللقاء الأمور التالية :

الأمر الأول : ذكر في موضع سابق أن جاليليو مبتكر التلسكوب (المنظار الفلكي) والميكروسكوب (المجهر)[٧٩] ، ويفهم من كلمة مبتكر أنها تعني مخترع : ابتكر الشيء ابتدعه غير مسبوق إليه [٨٠] . أما المنظار الفلكي فإن مخترعه هو هانز ليبرشي (Hans Lip-pershey (١٥٧٠ - ١٦١٩م/ نحو ٩٧٨ - ١٠٢٩هـ) في هولندا[٨١] ، ويذكر في هذا المجال أن أحد الفرنسيين يدعى جاك بافدير (Jacques Bavedere) في باريس قد كتب إلى جاليليو بشأن اختراع ليبرشي ، فقام جاليليو بدوره بصنع منظار[٨٢] ، فإن اختراع ليبرشي يسبق صنع جاليليو منظاره بنحو عام .

أما مخترعا المجهر فمن المرجح أنهما صانعا العدسات هانز يانسين وابنه زاخرياس (Hans and Zacharias Jannsen) في هولندا في نحو عام ١٦٠٠م (نحو ١٠٠٩هـ) [٨٣] ، ولم يعرف عن جاليليو عمله في مجال المجهر ، كما ذكر خطأ بأنه مخترع المجهر [٨٤] .

الأمر الثاني : ورد على لسان جاليليو أن ابن يونس المصري قد اكتشف الرقاص (بندول الساعة)[٨٥] ، ولا يوجد دليل على أنه قد عرف الرقاص [٨٦] ، ومن المرجح أن يكون العالم كمال الدين يونس الموصلي (٥٥١ - ٦٣٩هـ) قد تناول قوانين الرقاص [٨٧] ، وإن كان الباحث دافيد كنج المتخصص في الموضوع يرى أن مبدأ الرقاص لم يكن معروفاً لدى العلماء المسلمين في تلك الحقبة ، في حدود ما وصل إلى الباحثين من مصادر .

الأمر الثالث : ذكر جاليليو أن الفاطميين قد بنوا لابن يونس المصري مرصداً على جبل المقطم قرب الفسطاط وأنه أنشأ مرصداً أسماه مرصد ابن يونس [٨٩] ، ولم يثبت علمياً ولا تاريخياً وجود مرصد عند ابن يونس المصري ، وإن توفرت عنده أدوات رصد[٩٠] ، وقد جرت محاولة غير ناجحة لبناء مرصد على جبل المقطم في نحو عام ٥١٣هـ ، كما ذكر المقريزي [٩١] ، أي بعد أكثر من مائة عام على وفاة ابن يونس المصري ، وكان للحاكم بأمر الله الفاطمي بيت على جبل المقطم ، ربما احتوى على أدوات رصد ، ومن المرجح أن يكون ابن يونس المصري قد استخدمها، ولكن لا يمكن تسمية ذلك البيت بالمرصد [٩٢] .

المسألة التاسعة :

ابن النفيس ووليم هارفي :

تتضح من اللقاء بين ابن النفيس ووليم هارفي الأمور التالية :

الأمر الأول : ذكر أن وليم هارفي قد كتب كتاباً "سوف يعتبر من أعظم عشرة كتب غيرت من تاريخ العالم"[٩٣] ، وهذا الكلام يعظم من شأن هارفي فيجعل كتابه يبلغ هذا الشأن ، اعتماداً على قول أو أقوال أجنبية تسعى جاهدة إلى إخفاء الحقيقة .

الأمر الثاني : يذكر أن هارفي كان حريصاً ، بعد لقائه برجل لا يرتدي الملابس الأوروبية وبعد معرفته بأمر كتاب ابن النفيس "على أن يعرف من سبقه إلى هذا الكشف" [٩٤] ، وقد ذهل عندما عرف بالأمر . وإضافة إلى أن هذا يضلل القارئ فيتركه في حيرة من أمره بشأن اكتشاف العالم ابن النفيس رحمه الله للدورة الدموية الصغرى ، فإنه يخفي عنه حقيقة انتقال اكتشاف ابن النفيس إلى علماء الفرنج لينتهي إلى هارفي ! كما يخفي أمر انتحال علماء الفرنج لهذا الاكتشاف العلمي ! فمن المعروف لدى الباحثين في تاريخ الطب أن شرح ابن النفيس رحمه الله للدورة الدموية الصغرى قد أخذه العالم

الإيطالي أندرياس الباجوس (١٤٥٠ - ١٥٢٢م / نحو ٨٥٤ - ٩٢٩هـ) وترجمه إلى اللاتينية [٩٥] ، واعتمد الأسباني سرفيتس على هذه الترجمة وأضافها إلى كتاب صنفه عن النصرانية وقد صدر عام ١٥٥٢م (نحو ٩٦٠هـ)، واطلع هارفي بدوره على كتاب سيرفيتس عندما كان يدرس في جامعة بادوا الإيطالية مدة خمس سنوات ، فقد كانت نسخة منه موجودة في مكتبة الجامعة [٩٦] ، وبذلك فإن اعتبار كتاب هارفي بأنه سيغير مجرى التاريخ اعتبار واه لأنه قائم على انتحال .

الأمر الثالث : ذكر أن "الأطفال في كل العالم الآن يعرفون هذه الحقائق ، وكل الدنيا تعترف أن عالمنا العربي الكبير (ابن النفيس) ... قد وصل إلى كثير من المعلومات التي ساعدت في علاج أمراض القلب .. وأن هارفي الذي جاء بعده نبّه الدنيا إلى هذه الحقيقة .. وفتح أعين العالم كله على أن القلب مضخة تدفع الدم في جسم الإنسان"[٩٧] ، هذا التعميم ينفيه واقع ما زال قائماً في بلاد الفرنج بصورة عامة ، فإن قراءة لما يكتب عن اكتشاف الدورة الدموية في كتبهم تعتبر أن هارفي هو مكتشف الدورة الدموية [٩٨] ، فلا يقال إذاً إن الأطفال في كل العالم يعرفون الحقيقة !

المسألة العاشرة :

تتناول هذه المسألة الأمور الثلاثة التالية :

١ - غلب استخدام لفظ "العرب" وما يشتق منها على الكتاب [٩٩] ، في حين استخدم مصطلح الإسلام ومشتقاته في مواضع قليلة [١٠٠] ، وربما كانت غلبة استخدام لفظ "العرب" لربط إسهامات علماء الأمة بإنجازات أمم سابقة في مصر القديمة وبابل وآشور وفينيقيا وسبأ ومأرب ، وعدت إنجازات الأمم تلك "سبق في الحضارة" [١٠١] ، وكان يتوجب بيان أنها لم تكن سوى إسهامات مادية ترتبط بقيم تلك الأمم بمعزل عن التوحيد ، ففي منظور الإسلام لا تعد سبقاً حضارياً ، فهي وثيقة الصلة بالوثنية والكفر بأنعم الله وظلم العباد والتسلط والقهر ، والمجازفة في طرح مثل هذا الأمر إنما يؤدي بأولاد الأمة إلى التذبذب بين قيم تلك الأمم المادية وبين قيم الإسلام [١٠٢] ، ويزداد الأمر سوءاً عندما يتم تعظيم جهود علماء الفرنج في أعين أولاد الأمة وإخفاء حقيقة جهودهم التي اعتمدت أساساً على انتحالاتهم وسرقاتهم العلمية .

وكان الأولى إقران لفظ الإسلام ومشتقاته بعلماء الأمة وإسهاماتهم ، اتفاقاً مع المنهج المرجو في تقديم جهودهم لأولاد الأمة .

٢ - كذلك غلب على الكتاب استخدام التقويم الميلادي[١٠٣]، واستثني من هذا موضع أشير فيه إلى وصف قلم فاستخدم التقويم الهجري وما يقابله بالميلادي [١٠٤] ، وكان هذا ما يتوجب التقيد به عند ذكر السنين لأن المادة أساساً تجمع بين إسهامات علماء المسلمين وعلماء الفرنج ، وطبيعي أن نستثني من هذه التواريخ المستخدمة في يوميات الملاح البرتغالي داجاما [١٠٥] ، فلها ما يبررها ، وإن كان من المستحب الإشارة إلى التاريخ الهجري الذي يقابلها.

٣ - استخدم المصطلحان التاليان التلسكوب والميكروسكوب [١٠٦] ، وكان الأجدر استخدام ما يقابلهما باللغة العربية : المنظار والمجهر ، حرصاً على تعزيز استخدام المصطلحات العربية .

إجابات بعض الناشئة :

طرحت على بعض الناشئة أسئلة تتعلق ببعض مواد الكتاب ، فكانت إجاباتهم على النحو التالي :

أ - الاسم : إسلام مصطفى سالم الزعبي .

العمر : ١٣ سنة .

١ - من مكتشف قانون الجاذبية ؟

- العالم نيوتن .

٢ - من اعتبر نيوتن أستاذه ورائده ؟ بما لقّبه ؟

- الحسن ابن الهيثم ، اعتبره أستاذ العالم كله في

علم الضوء.

٣ – كيف عرف نيوتن أن الضوء مكون من كل ألوان الطيف؟

– من قراءته لكتب الحسن بن الهيثم ، عن طريق منشور زجاجي وضعه في ضوء الشمس .

٤ – من أخذ عن ابن الهيثم أيضاً من العلماء ؟

– جاليليو.

٥ – من ابتكر التلسكوب والميكروسكوب ؟

– جاليليو.

٦ – ماذا اعتبر نيوتن وهو ما زال في الحادي والعشرين من عمره ؟

– أعظم علماء التاريخ ، وهو الذي أرسى قواعد نظريات زلزلت العلم الحديث .

٧ – مم استفاد نيوتن ؟

– استفاد من العلماء السابقين وخصوصاً مما قرأه من أعمال وكتابات وتجارب الحسن بن الهيثم ومن ابتكارات العالم جاليليو .

٨ – من يكون رائد نيوتن : ابن الهيثم أم جاليليو ؟

– ابن الهيثم .

٩ – أية ملحوظات أخرى .

– إن نيوتن اكتشف قانون الجاذبية عن طريق تفاحة.

ب – الاسم : ياسر محمد أحمد عواد .

العمر : ١٣ سنة .

١ – من استخدم التلسكوب لأول مرة ؟

– جاليليو .

٢ – كيف تصف اكتشافات جاليليو ؟

– إنها عظيمة : أكد على كروية الأرض ، اكتشف طريقة سقوط الأجسام وله اكتشافات علمية عظيمة.

٣ – من اكتشف الرقاص (بندول الساعة) ؟

– ابن يونس

جـ – الاسم : مهند عبدالقادر العوراني .

العمر : ١٢ سنة .

١ – ما الذي أثار الناس في معرض فرانكفورت ؟

– الكتاب الذي كتبه وليم هارفي وهو "حركة القلب والدورة الدموية".

٢ – كيف سوف يعتبر هذا الكتاب ؟ لماذا ؟

– من أعظم عشرة كتب لأنه غيّر من التاريخ .

٣ – كيف أمضى هارفي خمسين عاماً ليؤلف كتابه هذا ؟

– بإلقاء المحاضرات في كلية الطب في كامبردج ، ومن ممارسة الطب وعلاج المرضى .

٤ – ماذا فعل هارفي بعد أن توصل ابن النفيس إلى كثير من المعلومات التي ساعدت في علوم أمراض القلب ؟

– زاد على هذه المعلومات بأن اكتشف الدورة الدموية الكبرى .

د – آلاء عاطف الحراسيس .

العمر : ١٢ سنة .

١ – لماذا كان وليم هارفي فخوراً ؟

– لقد كان فخوراً بما كتب بعد خمسين عاماً من إلقاء المحاضرات في كلية الطب في كامبردج ومن ممارسة الطب وعلاج المرضى .

٢ – ماذا فعل هارفي بعد أن توصل ابن النفيس إلى كثير من المعلومات التي ساعدت في علوم أمراض القلب ؟

– إنه نبه الدنيا إلى هذه الحقيقة وفتح أعين الناس (العالم) إلى أن القلب "مضخة" تدفع الدم في جسم الإنسان .

ومن هذه الإجابات [(١٠٧)] ما يدل على أمانة علماء الفرنج واعترافهم بالأخذ من علماء المسلمين، وهذا مخالف للواقع.

إسهامات علماء الفرنج : إعادة نظر :

إذا كان الكتاب "علماء العرب وعلماء الغرب في اللقاء الفريد" قد ألقى ضوءاً على إسهامات علماء الغرب في إطار المفهوم السائد عن إنجازاتهم ، فقد جانب الصواب ، حتى وإن جرت محاولة غير علمية تتصف بالافتراء والبعد عن الحقيقة في كون علماء الفرنج قد أقروا

بجهود علماء المسلمين ، فالواقع القائم ما زال يؤكد على أن إسهامات علماء الفرنج كانت متفردة ، وأن رجالها كانوا عباقرة ، فحق على الناس أن يطلقوا على عصرهم اسم "عصر النهضة" ، وحق عليهم أن يسموهم "عظماء" .

لقد حان الوقت لكي نرى بطلان مصطلح "عصر النهضة" و"الميلاد الجديد للعلوم الإغريقية في أوربا"(١٠٨) ، فالنهضة المزعومة «أشبه ما تكون بالولد الذي نسب إلى غير أبيه الحقيقي» (١٠٩) وهذا حكم المؤرخ والباحث فؤاد سزكين الذي أمضى أكثر من ثلاثين عاماً في دراسة إسهامات علمائنا(١١٠) ، وأما رجال النهضة فقد كانوا أشبه بتلاميذ غير أمناء أخذوا من أساتذتهم ، ولا نقلل من جهود أولئك التلاميذ ، ولكننا نذكر دائماً أن أخذهم كان غير أمين(١١١).

علماء الأمة :

إن حديثنا عن إسهامات علماء الأمة ينبغي ألا يقتصر فقط على إبداعاتهم وسبقهم وريادتهم ، لأن هذه مما يتصف به علماء أمم أخرى ، ولكن يتوجب علينا أن نشير إلى نواياهم وهم يطلبون العلم ، لا لمغنم دنيوي باطل، بل لأجر يرجونه عند بارئهم العليم الرحيم ، كافأهم الله سبحانه وتعالى بأن رفع إسهاماتهم وأظهرهم على العالمين ، ونصرهم لأنهم نصروه .

وإن في سير علماء الأمة حكمة ، ففي زهدهم يجد أولادنا عبرة وعظة ، فما كانوا يملكون تلك الإمكانات الحديثة ، ولكنهم كانوا يعملون في ظروف شاقة ، وكانوا سعداء مؤمنين بالله عز وجل (١١٢) ، فحق على الله أن يأخذ بأيديهم ويعينهم ويثبتهم .

وفي أمانة علمائنا عبرة أخرى لأولادنا ، فقد أخذوا عن غيرهم من العلماء بتواضع وأمانة ، وكانوا يعتبرون أنفسهم تلاميذ لهم ، وكانوا تلاميذ أمناء أخذوا دون أي اضطراب أو عقد(١١٣) .

خاتمة :

حق علينا نحن الكبار أن نقتدي بسير علمائنا وأن نقرأ إنجازاتهم وننقلها لأولادنا بأمانة وحب وصدق ، فهم ورثة هذه الإنجازات ، وعليهم واجب حملهم والدفاع عنها والإسهام في تطويرها ونموها ، فنسأل الله العلي القدير أن يعيننا ويعينهم ، وأن يجعل هذه الدراسة من باب العلم الذي ينتفع به ويغفر لصاحبها ، وآخر دعوانا الحمد لله .

الهوامش

١ – سورة آل عمران الآية ١١٠ .

٢ – انظر على سبيل المثال السلاسل التالية :

أ – العلوم والإنسان .– بيروت: دار الفتى العربي .

ب – العرب والعلوم .– بيروت : دار الفتى العربي .

جـ – أعلام الفكر العربي .– دمشق : دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م .

د – علماء العرب للفتيان والفتيات .– ط٢ .– بيروت: المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٨م .

هـ – علماء العرب .– القاهرة : مركز الأهرام للترجمة ، ١٩٩٠م .

و – علماء العرب .– حلب : دار الربيع .

ز – نوابغ المسلمين .– القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٩٣م.

٣ – عبدالتواب يوسف / علماء العرب وعلماء الغرب في اللقاء الفريد .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، وقد أعيدت طباعته أكثر من مرة، منها طبعة صادرة عن الدار المصرية اللبنانية ، (نحو ١٩٩٣م) على شكل كتيبات ضم كل كتيب لقاء .

٤ – عبدالتواب يوسف / الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية.– القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤م ، ص٣٣ .
٥ – فؤاد سزكين / محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية.– فرانكفورت : معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ١٩٨٤م ، ص٣٦ .
٦ – علماء العرب ص١٢ – ١٧ ، ١٩ – ٢٠ ، ٢٤ – ٣٠ ، ٤٤ – ٤٧ ، ٥١ – ٥٢ ، ٦٥ ، ٧٧ – ٧٨ ، ٨٤ – ٨٥ ، ٨٦ – ٨٧ .
٧ – المرجع نفسه ص ١٥ .
٨ – المرجع نفسه ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ .
٩ – المرجع نفسه ص ٦٩ .
١٠– المرجع نفسه ص ١٥ ، ٧٧ .
١١– المرجع نفسه ص١٤–١٧، ٢٠ .
١٢– المرجع نفسه ص ٢٧ – ٢٩ .
١٣– المرجع نفسه ص ٣٦ – ٤٠ .
١٤– المرجع نفسه ص ٦٩ – ٧٠ .
١٥–المرجع نفسه ص ٧٧ – ٧٩ .
١٦– المرجع نفسه ص ٨٧ .
١٧– محاضرات في تاريخ العلوم العربية ص٢٦، ٢٨، ١١٨، ١٢٠.
١٨– المرجع نفسه ص ٢٩ .
١٩– المرجع نفسه ص ٣٣ .
٢٠–المرجع نفسه ص ٣٣ .
٢١– المرجع نفسه ص ١٠٢ .
٢٢– المرجع نفسه ص ٨٧ ، ١٠٢ .
٢٣– المرجع نفسه ص ٤٧ ، انظر سلمان قطاية / الطبيب العربية ابن النفيس .– بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٤م ، ص٧٠ – ٧٦ .
٢٤– علماء العرب ص ١٢ .
٢٥– مييلي ، ألدو / العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ؛ ترجمة عبدالحليم النجار ، ومحمد يوسف موسى .– القاهرة: دار القلم ، ١٩٦٢م ، ص٥٧٦ ، انظر
Dictionary of Scientific Biography .- New York : Scribner, 1970, vol . 7, p.134 .
٢٦– العلم عند العرب ص ٥٧٦ ، انظر :
Sorabji, R. Matter, Space and Motion : Theories in Antiquity and their Sequel .- London : Duckworth, 1988. p. 277.
٢٧– العلم عند العرب ، ص٥٧٧ ، انظر : محمد عيسى صالحية / الفيزياء والحيل عند العرب ، عالم الفكر مج ١٤ ، ع٢ (تموز – أيلول ١٩٨٣م) ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، وجلال شوقي / تراث العرب في الميكانيكا .– القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٣م، ص٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥، ٧٦ .
٢٨– Matter, Space and Motion p. 237 .
٢٩– Dictionary of Scientific Biography vol. 2. p. 379 , vol. 5. p. 247, vol. 7 . p. 308 .
٣٠– محاضرات في تاريخ العلوم العربية ص ١٠١ .
٣١– علماء العرب ص ١٢ .
٣٢– المرجع نفسه ص ١٥ .
٣٣– The Macmillan Family Encyclopedia .- London : Macmillan , 1984 . vol. 14. p. 173 .
٣٤– أحمد سعيد الدمرداش / علم الفيزيقا عند العرب من كتاب موسوعة الحضارة العربية الإسلامية .– بيروت : المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٧م ، مج١ ، جـ٢ ، ص١٤٩ – ١٥١ .
٣٥– علماء العرب ، ص٢٤ .
٣٦– أنور عبدالعليم / ابن ماجد الملاح .– القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م .
٣٧– Ferrand, Gabriel . Instructions Nautiques et Routiers Arabes et Portugals .- Paris : Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1928

tome 111, p. 183 - 196.

٣٨- النهروالي ، قطب الدين محمد ابن أحمد / البرق اليماني في الفتح العثماني ؛ أشرف على طبعه حمد الجاسر .- الرياض: دار اليمامة ، ١٩٦٧م ، ص١٨ .

٣٩- أنور عبدالعليم / الملاحة وعلوم البحار عند العرب .- الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٩م .

٤٠- Instructions Nautiques tome 111, p. 190 .

٤١- الملاحة وعلوم البحار ، ص١٣٢ - ١٣٤ .

٤٢- Instructions Nautiques tome 111, p. 92 .

انظر : Nadvi, Syed S. The Arab Navigation ' translated by Abdul-Rahman, Syed, S. .- Lahore : Ashraf, 1966. p. 102 .

٤٣- Instructions Nautiques tome 111, p. 183 - 192 .

انظر كراتشكوفسكي ، أغناطيوس / تاريخ الأدب الجغرافي العربي ؛ نقله إلى العربية صلاح الدين هاشم .- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (مقدمة ١٩٦١م) جـ٢ ، ص٥٦٨- ٥٧٠ ، والملاحة وعلوم البحار، ص ١٣٤ .

٤٤- البرق اليماني ، ص ١٨ .

٤٥- الملاحة وعلوم البحار، ص١٣٣ .

٤٦- المرجع نفسه ، ص١٣٣ .

٤٧- ابن ماجد ، شهاب الدين أحمد السعدي / كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ؛ تحقيق إبراهيم خوري ، وعزة حسن .- دمشق : المجمع العلمي العربي ، ١٩٧١م ، ص٢٩ - ٣٠ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ ، انظر Instructions Nautiques tome 1 p. 165.

٤٨- الملاحة وعلوم البحار ، ص١٣٤.

٤٩- علماء العرب ، ص٢٤ - ٢٦ .

٥٠- ابن ماجد الملاح ، ص٤٧ .

٥١- الملاحة وعلوم البحار، ص١٢٥ .

٥٢- البرق اليماني ، ص ١٩ .

٥٣- الملاحة وعلوم البحار ، ص١٣٠.

٥٤- المرجع نفسه ، ص١٣٤ .

٥٥- نقلاً عن كتاب الملاحة وعلوم البحار ، ص ١٣٥ .

٥٦- كتاب الفوائد في أصول علم البحر ص٢٤٥ .

٥٧- علماء العرب ، ص٢٧ ، ٢٩ .

٥٨- المرجع نفسه ص٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧، ٣٨ ، ٤٠ .

٥٩- خير الدين الزركلي/ الأعلام.- ط١٠ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م ، جـ٣ ، ص٢٦٤ ، انظر : نجيب زبيب / الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس .- بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم ، ١٩٩٥م، جـ٣ ، ص٢٩٢، ومنذر الشعار/ أول إنسان يطير .- بغداد : دائرة ثقافة الأطفال ، ص٢٣ .

٦٠- ابن سعد / الطبقات الكبرى.- بيروت : دار صادر ، ١٩٦٠م ، جـ٣ ، ص٤٢٧ - ٤٢٨ ، انظر البخاري / (صحيح) الأدب المفرد ؛ حققه محمد ناصر الدين الألباني .- القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ١٩٩٤م ، باب كيف أصبحت ، ص٤٣٤ - ٤٣٥ ، وابن حجر العسقلاني / الإصابة في تمييز الصحابة .- بيروت : دار الكتب العلمية ، جـ ٨ ، ص٨١ ، والعسقلاني / تهذيب التهذيب.- بيروت : دار صادر ، ١٩٠٧م ، جـ٢ ، ص٤١٨ - ٤١٩ ، ومحمد ناصر الدين الألباني / سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها .- ط٣ .- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٥م ، حديث رقم ١١٥٨ ، جـ٣ ، ص١٤٨ .

٦١- ابن هشام / سيرة النبي ﷺ ؛ راجع أصولها محمد محيي الدين عبدالحميد - [د . م] : [د . ن .] ، مقدمة ١٩٣٧م ، جـ٣ ، ص٢٥٨ ، انظر الطبري /

تاريخ الأمم والملوك .- بيروت : دار القلم ، م٢ ، جـ٣ ، ص٥٥ وعنده أنها امرأة من المسلمين .
٦٢- الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، ص٢٩١.
٦٣- علماء العرب ، ص٤٩ .
٦٤- المرجع نفسه ، ص٤٨ .
٦٥- البخاري / صحيح البخاري .- القاهرة : دار الشعب ، ١٣٧٨هـ، جـ١ ، ص ٤ .
٦٦- علماء العرب، ص٤٩، ٥١، ٥٢ .
٦٧- صحيح البخاري ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ جـ٥ ، ص٢- ٣ .
٦٨- محمود شيت خطاب / عمرو بن العاص رضي الله عنه : القائد المسلم والسفير الأمين .- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٩٦م ، جـ١ ، ص٩ مقدمة عمر عبيد حسنة .
٦٩- مسلم / صحيح مسلم بشرح النووي .- القاهرة : المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٩٣٠م ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، جـ١٣ ، ص٥٠ - ٥١ .
٧٠- عمرو بن العاص رضي الله عنه ، جـ١ ، ص١٣ .
٧١- علماء العرب، ص٥٠، ٥١، ٥٢ .
٧٢- سورة المائدة الآية ٥٤ ، وسورة الفتح الآية ٢٩ ، انظر ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم .- بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦١م، جـ٢ ، ص٥٩٥ .
٧٣- علماء العرب ، ص٤٩ .
٧٤- المرجع نفسه ، ص٤٨ .
٧٥- المرجع نفسه ، ص٦٨ ، ٦٩ .
٧٦- المرجع نفسه ، ص٧٠ .
٧٧- أحمد عبدالعزيز الحليبي / أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية .- الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٩٧م ، ص٢٤، مقدمة عمر عبيد حسنة.
٧٨- علماء العرب ، ص٧٠ - ٧١ .
٧٩- المرجع نفسه ، ص١٥ .
٨٠- المعجم الوسيط .- ط٣ .- القاهرة : مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٥م ، جـ١ ، ص٦٩ .
٨١- The Macmillan Family Encyclopodia vol. 19. p. 80.
٨٢- The New Encyclopedia Britannica .- 15 the ed. .- Chicago : Encyclopedia Britannica Inc., 1992. Micropaedia vol. 7. p. 387 .
٨٣- The Macmillan Family Encyclopedia vol. 13 . p. 387 .
٨٤- علماء العرب ، ص١٥ .
٨٥- المرجع نفسه ، ص ٧٧ .
٨٦- King, David A. Islamic Mathematical Astronomy .- London: Variorum Reprints, 1986 XV11, p. 217 - 218 .
King, David A. Ibn Yünus and the pendulum : A history of errors .- Archives Internationales D'Histoire Des Sciences vol. 29. no. 104 . Juin-Décembre 1979. p. 35, 37, 42.
أشكر / خالد ماغوط مدير معهد التراث العلمي العربي / جامعة حلب ودافيد كنج على تزويدي بمعلومات عن الموضوع.
٨٧- سيد رضوان علي / أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك : نقد الكتب ، العصور ، مج١، ج١ ، ١٩٨٦م ، ص١٣٧ ، انظر قدري حافظ طوقان / تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك .- بيروت : دار الشروق، مقدمة ١٩٦٣م ، ص٣٩٨ .
٨٨- Ibn Yünus and the pendulum : A history of errors.
٨٩- علماء العرب ، ص٧٨ .
٩٠- Sayili, Aydin . The Ob-

servatory in Islam .- Ankara : The Turkish Historical Society, 1960 .- series V11, no. 38, p. 131 - 132 .

انظر : Dictionary of Scientific Biography vol. 14 p. 575 . Islamic Mathematical Astronomy XV11 p. 217 - 218 .

٩١- المقريزي / المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .- بيروت : دار صادر، جـ١، ص١٢٥-١٢٧.

٩٢- The Observatory in Islam .- series V11, no. 38 p. 131 - 132 .

٩٣- علماء العرب ، ص٨٥ .

٩٤- المرجع نفسه ، ص٨٧ .

٩٥- محاضرات في تاريخ العلوم العربية ، ص٤٧ ، انظر بول غليونجي / ابن النفيس .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص١٤٢ – ١٥٤ ، والطبيب العربي ابن النفيس ، ص٧١ – ٧٦ .

٩٦- الطبيب العربي ابن النفيس ، ص٧٥ – ٧٩ ، انظر محاضرات في تاريخ العلوم العربية، ص٤٧.

٩٧- علماء العرب ، ص٨٧ .

٩٨- انظر على سبيل المثال :

A- Oxford Junior Encyclopaedia .- London: Oxford University Press, 1952. vol. V. p. 211.

b - The Book of Knowledge : The Children's Encyclopedia .- New York : Grolier, 1966 vol. 2, p. 592 .

c - The Macmillan Family Encyclopedia .- London : Macmillan, 1981 p. 555.

d - The Joy of Knowledge Fact Index .- London : Mitchell Beazley Encyclopedias, 1978 A-K p. 351 .

E - New Knowledge Library .- London : Bay Books, 1981, vol. 13, p. 1195 - 1196 .

F - Encyclopedia Britannica Micropaedia vol . 5 , p734

Macropaedia vol. 20 . p. 476 - 478 .

٩٩- علماء العرب ، الغلاف ، صفحة العنوان ، ص٥، ٦ ، ٨، ٢٤، ٢٧، ٢٩ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٧٩، ٨٦، ٨٧ .

١٠٠- المرجع نفسه ، ص ٢٧، ٤٩، ٥٢، ٥٨، ٧٨ .

١٠١- المرجع نفسه ، ص ٥ – ٦ .

١٠٢- محمد قطب/ واقعنا المعاصر.- جدة : مؤسسة المدينة ، ١٩٨٦م، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

١٠٣- علماء العرب ، ص١٥، ٣٦، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨، ٥٩، ٦٢ ، ٦٦، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٧ .

١٠٤- المرجع نفسه ، ص ٥٩ .

١٠٥- المرجع نفسه ، ص٢٤ – ٣٠ .

١٠٦- المرجع نفسه، ص١٥، ١٧، ٧٧.

١٠٧- أشكر الناشئة الذين قدموا إجاباتهم ، كما أشكر أمينة مكتبة الأطفال / مكتبة أمانة عمان الكبرى لتعاونها ، فجزاهم الله خير الجزاء .

١٠٨- محاضرات في تاريخ العلوم العربية ، ١٢٩ .

١٠٩- المرجع نفسه ، ص١٠٢ .

١١٠- المرجع نفسه ، ص١٦٩ .

١١١- محمد بسام ملص / النهضة الأوربية في أدب الأطفال : دراسة نقدية .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٩٢م ، ص١٥٣ .

١١٢- محاضرات في تاريخ العلوم العربية ، ص٧٦ .

١١٣- المرجع نفسه ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

هلال ناجي ومنهجه في الاستدراك

على صناع الدواوين

ظمياء محمد عباس السامرائي

بغداد - العراق

استخدم مصطلح الاستدراك لدى العلماء العرب منذ عهد بعيد، وهو استكمال للجهود العلمية للعلماء العرب التي تتطلب إضافة معلومات أو تصويبها أو التعليق عليها .

وعرفت هذه الظاهرة في التأليف في كثير من العلوم وعلى وجه الخصوص التأريخ واللغة والأدب والفقه واستخدم العلماء مناهج وتسميات مختلفة لاستكمال الجهد التأليفي لمن سبقوهم أو عاصروهم منها : ذيل ، تعليق، حاشية، شرح ، صلة ... إلخ . ونجد مثل هذا الاستخدام لدى المؤرخ الدمشقي ابن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ) وأشار إليه السخاوي (ت ٩٠٢هـ) أثناء استعراضه لما ألفه العلماء العرب في موضوع التاريخ قائلاً : «كتابه التذييل والصلة على تاريخ بغداد ألفه وتلقفه الفقير ... تقي الدين محمد بن رافع السلامي، ووصل به التاريخ الكبير الذي جمعه حافظ العراق محب الدين ابن النجار الذي عمل كتابه ذيلاً واستدراكاً على تاريخ الحافظ أبي بكر الخطيب غفر الله لهم ولنا ...» [1] .

واتسمت استدراكات ابن رافع السلامي بقيمة المعلومات التي احتوتها وغنى مادتها العلمية نتيجة اطلاعه وحصوله على مصادر جديدة لم تتوفر لسابقيه الشيخين الحافظ البرزالي (ت ٧٤٢هـ) والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابه «الوفيات» وهو ذيل على «تاريخ البرزالي» «التذييل والصلة على تاريخ بغداد لابن النجار» وكتابه الآخر : «ذيل مشتبه النسبة على كتاب الذهبي» أو «المشتبه في الرجال» فيقول في مقدمته : «أما بعد فإني ظفرت بأسماء مشتبهة لم أرها في كتاب شيخنا المسمى «المشتبه في المؤتلف والمختلف» مع أنه كثير فيه فأردت جمعها في كراسة لتحصل الفائدة بها ..» [2] . يكشف النص السابق قيمة الاستدراك الذي صنعه ابن رافع السلامي على شيخه الذهبي مستكملاً به عمله وجعله مستقلاً في كراس صغير .

ونجد أن سبب انتشار هذا النوع من التأليف هو الشعور بمسؤولية استكمال الجهد التأليفي للسابقين في الجهد العلمي فكانت تلك الذيول والاستدراكات تتمة في المعلومات التي غفل عنها مؤلف الأصل وترافق هذه الاستدراكات غالباً تصويبات لبعض المعلومات الخاطئة التي وقع فيها المؤلفون .

وتمثل هذه الاستدراكات من جانب آخر نوعاً من التواصل الفكري مع ماضي الأمة لا انقطاع فيه [3] ، وخير دليل على ذلك تلك الاستدراكات والذيول التي صنعت على أصول منذ تأليفها حتى عصرنا، منها على سبيل المثال «بغية الطلب في تاريخ حلب» . لابن العديم (ت ٦٦٠هـ) الذي ألحقت به ذيول واستدراكات لم يحظ بها أي تاريخ آخر [4] .

وفي مجال الأدب والشعر حظي شعر (دعبل الخزاعي)(ت ٢٤٦هـ)، بما لم يحظ به شاعر آخر من الاهتمام في جمع شعره وتحقيقه وسنتناوله لاحقاً في بحثنا هذا .

وتستمر هذه الظاهرة حتى عصرنا فتظهر كثير من الاستدراكات على كتب كبار العلماء والمحققين من الباحثين العرب والأجانب ومعظمها استدراكات علمية مدروسة لإكمال المعلومات وتصويب الأخطاء وتلافي النقص نتيجة لظهور مصادر ومخطوطات جديدة لم تكن معروفة حين نشرها، وهذا ما يجعل الاستدراكات ضرورة ملحة ومسؤولية تأريخية يتحمل عبئها وتبعتها المستدركون من قبل المستدرك عليهم .

وهي جهود ليس الهدف منها إظهار عثرات الآخرين وبيان مواقع الخلل في أعمالهم بقدر ما هي مسؤولية وواجب تقتضيه الأمانة العلمية ، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم [٥] .

وفي عصرنا اشتهر بين من اشتهر باستدراكاته العلمية هلال ناجي * ، الذي نهض بمثل هذه المسؤولية الكبيرة مستدركاً ومصوباً أعمال كبار الباحثين وأعمدة التحقيق في الوطن العربي والعالم منهم : مصطفى جواد، وخليل مردم بك (رئيس المجمع العلمي بدمشق) ، ومحمد حسن آل ياسين ، وإحسان عباس ، وأحمد مطلوب ، ويونس السامرائي وغيرهم .

وقد أشار هلال ناجي إلى دوافعه في الاستدراك قائلاً: «إنَّ هذا الكتاب الذي صنعناه على امتداد عقدين من السنين لم يكن حصيلة عمل متعجل يهدف إلى الشهرة. بل عمل متأن أدرك أنه يذيل على أعمال أعلام في التحقيق لهم مكانتهم العلمية المعروفة في دنيا صناعة الدواوين فكلهم أساتذة وشيوخ علم ونشراتهم نشرات علمية توفرت منها ولها أساليب العمل العلمي الرصين، ومن هنا كان صعباً وشاقاً صناعة هذه المستدركات أو التصويبات على أعمال لها أقدارها العلمية الرفيعة ... ومن جهة أخرى فإننا لم نرد أبداً أن نتعالم على أحد من هؤلاء الجلة الفضلاء لكننا كنا نعلم كما يعلمون أن أي ديوان يقوم على الجمع يظل عُرْضة للاستدراك» [٦] .

ويظهر أنَّ أحد الدوافع التي شجعته على الاستدراكات هي الحس القومي والشعور بالمسؤولية التاريخية في إظهار جهود السلف وجمع تراثهم المتناثر بين آلاف المخطوطات لا سيما من عرف منهم بعروبته ومواقفه التاريخية المشرفة وهذا ما دفعه إلى جمع ما تفرق من شعر أبي الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ) الذي طبع جزء منه ببيروت عام ١٨٨٥م ثم صدر ثانية عام ١٩٨٠م بتحقيق محمد مرسي الخولي كجزء من متطلبات درجة الماجستير ، وصنع له هلال ناجي ملحقاً ضم (١٨٧ مقطعة) بحدود (٤٢٩) بيتاً ، وقد أشار في مقدمته قائلاً : «ورأينا أن نطبع له ذيلاً مما فات المحقق الوقوف عليه نستكمل به شعر هذا الشاعر المجيد الذي كان رافعاً للواء العربية في أقصى المشرق الإسلامي [٧] .

وانطلاقاً من الدوافع نفسها استدرك على شعر الحماني العلوي الكوفي الذي عرف بموقفه العربية الأصيلة والقيم الرفيعة التي اشتهر بها من شجاعة وصدق لذا عُد ضياع ديوانه خسارة كبيرة [٨]، كذلك استدرك على شعر القاسم بن يحيى المريمي خدمة لتراث مصر العربية في فترة شديدة الغموض متناثرة النصوص من تاريخها [٩] .

وتكشف لنا استدراكاته على تواصل الزمن عبر تواصل جهود علمائه فالشاعر الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ) من مشاهير شعراء العرب انبرى لجمع شعره أعلام العربية منهم أبو كناسة (ت ٢١٧هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) والسكري (ت ٢٧٥هـ)، وأبو عبدالله السكوني (من رجال القرن ٤هـ) ، وأكثر من ذكر شعره العيني (ت ٨٥٥هـ) في كتابه «المقاصد النحوية»، ثم ضاع الديوان بعد ذلك حتى عصرنا الحالي إذ نهد لجمع شعره في ديوان داود سلوم، غير أن هذا العمل العلمي شأن غيره من الأعمال التي تقوم على جمع الشعر تظل عرضة للاستدراك ومن هذه المنطلق استدرك عليه هلال ناجي مضيفاً على الجهد العلمي القيم لسابقيه بحدود (٤٥ بيتاً) في (١٤ مقطعة) [١٠] .

ومثل ذلك يقال عما جمع واستدرك على شعر دعبل بن علي الخزاعي، فأول من اهتم بجمع شعره ابن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ) ثم تبعه بعد ذلك أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) الذي ظَلَّ مصدراً ينهل منه كل من جاء بعده، وفي أواخر القرن السابع الهجري ورد ذكر ديوانه في «المنتخب مما في خزائن الكتب بحلب»، لمجهول، ونشره بول سباث في القاهرة عام ١٩٤٥م، ثم جمع شعره في كتاب (دعبل الخزاعي) محسن الأمين

العاملي في دمشق عام ١٣٦٨هـ ، كما جمع المستشرق ليون زولندك مجموعة من شعره ونال بها درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو، وفي العراق نشره عبدالصاحب الدجيلي عام ١٩٦٢م ، وأعاد جمعه ونشره في بيروت عام ١٩٦٢م محمد يوسف نجم . وفي عام ١٩٦٤م صدرت الطبعة الأولى من الديوان بعناية عبدالكريم الأشتر الذي استمر في متابعة ما يجده من شعره وتنقيته حتى اجتمع لديه نحو (١٥٠٠ بيت) ثبت أن منها (١٠٠٠) بيت لدعبل وقد صدرت الطبعة المزيدة هذه عام ١٩٨٣م ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق [١١] .

واستكمالاً لجهود علمية طويلة بتضافر عمل جلة من الأدباء والمحققين العرب والأجانب امتدت منذ أواخر القرن الثالث الهجري حتى السنوات الأخيرة من القرن الحالي يستدرك هلال ناجي مضيفاً إلى ما فات صانعي ديوانه أبياتاً صحت نسبتها إليه يبلغ عددها (٣٨ بيتاً) مقسمة على (١٤ مقطعة) .

واقتضت الضرورة العلمية استدراكه على بعض المحققين مصوباً ومصححاً ما وقعوا فيه من أخطاء وكان هدفه من ذلك «خدمة حركة التجديد في الشعر العربي» [١٢] وأشار إلى مثل ذلك في استدراكه على «ديوان الدوبيت» الذي صنعه كامل الشيبي، قائلاً عن استدراكه الثاني على الديوان : «رائدي في ذلك خدمة ديوان الشعر العربي الذي كنت ولم أزل من جنوده على امتداد جبهة عريضة» [١٣]، وكان في استدراكه الأول والثاني يكشف عن بعض الثغرات ويفندها من الناحية العلمية : «ونحن نصنع استدراكات على دواوين قمنا نحن بصنعتها ونشرها ... إقراراً منا بهذا النقص ومحاولة تلافيه ...» [١٤] .

ويقتفي هلال ناجي في استدراكاته خطى السلف في تسمية بعض استدراكاته تكملة وتتمة وصلة وذيلاً . ففي مقدمة المستدرك على شعر الثعالبي الذي صنعه عبدالفتاح الحلو جامعاً فيه (٢١٢) مقطوعة أو قصيدة ونشره في مجلة المورد وكانت له الريادة في جمعه لذا لم يخل من نقص انبرى لسد ثغراته محمود الجادر فأضاف إلى ما جمعه الأول (١٢) مقطوعة نشرت في مجلة المورد أيضا[١٥]، لكن الإضافة الكبيرة كانت من هلال ناجي إذ استدرك عليها بـ (٥٩) مقطوعة تشمل (٢٨٩ بيتاً) وهو عمل فاق به الجامع والمستدرك الأول .

وإلى مثل ذلك أطلق على تسمية مستدركه على «ديوان الحسن بن الضحاك» قائلاً : «اجتمعت لدينا طائفة من هذه المستدركات رأينا أن نضيفها لتكون تتمة للديوان وذيلاً وصلة» [١٦] وفي استدراك آخر قال : « ... لتكون ذيلاً لديوان الدوبيت وصلة ...» [١٧] .

منهج هلال ناجي في الاستدراك :

تعتمد دراستنا لمنهج هلال ناجي في الاستدراك على ما نشره في عقدين من الزمن في مجلات عراقية وعربية ونشره في كتابه الموسوم بـ «المستدرك على صناع الدواوين» بالمشاركة مع نوري حمودي القيسي، متبعاً قواعد البحث العلمي الرصين وأصوله ووفق رؤيته الخاصة ودوافعه لأهمية الاستدراك في إثراء المعرفة التراثية واستكمال جهود العلماء خدمة لديوان الشعر والتراث العربي الإسلامي في مختلف جوانبه .

وتبين لنا من خلال هذه الدراسة التي حرصنا على أن تكون موضوعية وغير متحيزة إلى اتباعه اتجاهين في الاستدراك .

الاتجاه الأول : وهو جمع ما تيسر له من أبيات شعرية وقصائد تخص الموضوع المستدرك عليه وترتيبه وفقاً لقواعد المنهج العلمي في الجمع بتقسيمه الأبيات إلى مقطعات وترتيبها وفقاً لموضوعاتها أو قوافيها [١٨].

الاتجاه الثاني : وهو جمع مع إضافة وتصحيح لمواقع الأبيات من كل قصيدة أو مقطعة استدرك عليها وأحياناً يذكر المناسبة التي قيلت لأجلها، وهذا العمل يكشف إمكانيته الأدبية ودقته في المتابعة والحرص على تصحيح المقطعات والقصائد وتقريبها إلى الأصل الذي كانت عليه . وخير ما يمثل هذا الاتجاه استدراكه على «شعر الحماني العلوي» الذي عُني بجمعه محمد حسين الأعرجي واستدرك عليه هلال ناجي (١٠٠ بيت) مقسمة على (١٩ مقطعة) حيث

أضاف إلى المقطعة (٦) البيت الثالث والمقطعة (١٠) أضاف إليها الأبيات من (١٦ – ٢٢) كذلك المقطعة (١٦) منه [١٩] .

وبلغت متابعته ودقته غايتها عند استدراكه على شعر «ديك الجن» بتحقيق وجمع من قبل أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري مضيفاً إلى جهدهما في الجمع (٢٣٦ بيتاً) تقع في (٦٨ مقطعة) محدداً مواضع الأبيات في أماكنها من كل قصيدة أو مقطعة، فالمقطعة (٤٢ من المستدرك) استدرك بها على المقطعتين (٤٨، ٤٩، ص١٧٥ – ١٧٦ من الديوان) الأبيات التي ترتيبها : الثالث، والرابع، والخامس، والسادس، وفي المقطعة (٢٤) من المستدرك استدرك بها على المقطعة (٣٣، ص١٣٦ – ١٣٧من الديوان) الأبيات التي مواضعها الأول والثاني والسابع والثامن من القطعة المذكورة [٢٠] .

ونلاحظ جهده الكبير والمتميز في استدراكه على «ديوان الصنوبري» الذي عُني بنشره وجمع شعره وتحقيقه جلة من كبار المحققين منهم إحسان عباس ولطفي العقال ودرية الخطيب وضياء الدين الحيدري [٢١] ، مضيفاً (٣ أبيات) إلى المقطعة (٥) الواردة في تكملة الديوان ص٤٤٩، ومضيفاً (بيتاً واحداً) إلى المقطعة (٦٤) من تكملة الديوان ص٤٧٢، ومضيفاً (بيتين إلى المقطعة (١٢) من الديوان ص٤٥٣ والقصيدة (١٣) منه ص٤٥٤ [٢٢] .

وسنحاول بيان أهم الأسس التي اتبعها هلال ناجي في استدراكاته :

أولاً : نقد المصادر :

اتبع هلال ناجي منهجاً متميزاً في استدراكاته على المحققين وصُنّاع الدواوين باعتماده المصادر الأصيلة وتتبع مواردها ، وكان لثقافته وسعة اطلاعه وذاكرته الحاضرة الوقادة أثرها الواضح في استقصاء المادة وجمعها من مظانها الأصلية بهذا الكم الهائل من الاستدراكات التي جمعت بين الدقة والكثرة في آن واحد سواء كانت تلك المصادر مطبوعة متداولة أو مخطوطة نادرة .

لذا كانت المصادر من أهم المواضيع التي تناولها في استدراكاته ومن مآخذه على الباحثين في هذا الموضوع، ما يأتي:

١ – اعتماد بعض من الباحثين على مصادر حديثة في الجمع والتحقيق وهذا يخالف قاعدة البحث العلمي التي تقتضي العودة إلى المصادر الأصلية [٢٣]، لا سيما إذا كانت مطبوعة ومتوفرة في المكتبات العامة والخاصة، فكان من جملة مآخذه على محمد حسين الأعرجي في جمع شعر «الحماني العلوي» اعتماده مصادر حديثة [٢٤]. وهذا الخلل وقع فيه محمد حسن آل ياسين عند تحقيقه لشعر «الصاحب بن عباد» باعتماده مصادر حديثة في تخريج الشعر، من ذلك القصيدة (٨٤ ص٢٢١ – ٢٢٣) التي نقلها معتمداً على أعيان الشيعة، والقصيدة (٧٦ ص٢١٨) نقلها عن المصدر نفسه مع أنها ذكرت في مصادر قديمة [٢٥] .

وفي استدراكه على ديوان «ديك الجن» بنشرته الثانية البيروتية عام ١٩٦٦م، قال : «إن المأخذ الرئيسي على نشرة الصديقين الكريمين أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري هو اعتبارهما مخطوطة السماوي أصلاً وهو أمر مرفوض علمياً لأن السماوي (رحمه الله) معاصر لنا ومن رجال القرن العشرين وكان من عادته ألا يذكر المصادر التي ينقل منها ...» [٢٦] .

وأشار إلى أن استخدام المصادر الحديثة لنقل نصوص قديمة وعدم الرجوع إلى تلك المظان يضعف القيمة العلمية للبحث وهذا ما اتبعه كامل الشيبي عندما جمع «ديوان الدوبيت» ناقلاً من كتاب الموشحات الأندلسية لسليم الحلو عدداً من الرباعيات غير الموثقة [٢٧] .

٢ – إن بعض المحققين وصناع الدواوين لم يحسنوا استخدام المصادر التي بين أيديهم مما جعل الاستدراك عليهم ضرورياً ، مثل ما جمعه مزهر السوداني من شعر «البسامي» الذي بلغ (٤٠٣ بيتاً) قسمها على (١٥٤ مقطعة)، استدرك عليه هلال ناجي (١٢١ بيتاً) مقسمة على (٣٤) مقطعة أي بحدود ربع العمل تقريباً اعتمد فيها على مصادر مطبوعة منها «ديوان الصنوبري» و «المحب والمحبوب» وغيرها ويظهر مدى دقته فيما أضافه إلى المقطعة (٢٠) و (٢٩) من الاستدراك [٢٨] ، وتعرض بالنقد

لمصادر عبدالستار أحمد فراج في جمعه «ديوان الحسين ابن الضحاك» حيث فاته الكثير من الأبيات مما اقتضى الاستدراك عليه (١٠٩ بيتاً) موزعة على (٤٤ مقطعة) معتمداً فيها على مصادر مطبوعة [٢٩] .

ويشكل استدراكه على ديوان علي بن الجهم أهمية خاصة لأنه استدرك به على أساتذة التحقيق وشيوخه في الوطن العربي وهم خليل مردم بك (رئيس المجمع العلمي بدمشق) الذي استدرك عليه مصطفى جواد (٥ أبيات أخرى، وكل منهم علم من علماء اللغة والأدب والتأريخ واستدرك عليهم هلال (٥٧ بيتاً) في (٢٤ مقطعة) أضيفت إلى طبعته الثانية التي صدرت في بيروت عن لجنة التراث العربي وألحقها بيتاً آخر في مسودة الطبعة الثانية، فيبلغ مجموع ما استدركه عليهم (٥٨) بيتاً معتمداً على مصادر مطبوعة منها «الأنوار ومحاسن الاشعار»، «والمنصف في نقد الشعر»، وغيرهما [٣٠] .

ومن أسباب النقد عند هلال ناجي عدم الدقة في نقل المعلومات أو إهمالها حتى في المصادر التي اعتمدوا عليها في الجمع والتحقيق مثل تلك المصادر التي اعتمدها الشيبي في جمع «ديوان الدوبيت» فلم ينتبه إلى كثير من شعر الدوبيت في المصادر التي اعتمدها ومنها «الخريدة» قسم الشام، و «النجوم الزاهرة» و «وفيات الأعيان» و «عيون الأنباء» ، وغيرها [٣١] .

ثانياً : نقد المنهج :

اتبع هلال ناجي المنهج العلمي على وفق قواعده المعروفة في جمع الشعر وتحقيقه واستدراكاته على صناع الدواوين بترتيب الأبيات بحسب قوافيها هجائياً ليسهل مراجعتها وضبطها ووضعها في مكانها الصحيح من القصيدة إذا ضبطت قافيتها وعرف موضوعها والغرض الذي وضعت لأجله، ثم ترتيب الأبيات إلى مقطعات أو قصائد، لهذا تعرض بالنقد في استدراكاته على كثير من الباحثين الذين لم يعتمدوا إحدى هاتين الطريقتين المعروفتين في جمع الشعر وترتيبه وفقاً للأغراض أو وفقاً للقوافي [٣٢] .

وخلاف ذلك أشاد بجهود بعض المحققين وصناع الدواوين ممن التزموا بالقواعد العلمية في جمع الشعر ومنهم قحطان رشيد التميمي محقق الطبعة الثانية من ديوان «مروان بن أبي حفصة» قائلاً عنه : «لم يكن يبيح لنفسه جمع الأبيات المتناثرة في المصادر وإعادة بنائها» [٣٣] .

ولم يتساهل في النقد والاستدراك على بعض المحققين الذين وقعوا في خطأ تركيب قصائد متشابهة البحر والقافية محاولين تكوين قصائد تامة وهي في الواقع ليست قصائد ذات وحدة موضوعية لاختلاف الأغراض، وخير مثال على ذلك ما وقع فيه حسين عطوان من خطأ عند تحقيقه لديوان «مروان بن أبي حفصة»، فقد أفلتت منه القصيدتان (٨، ١٠) المثبتتان في الصفحة (١٢ - ١٣ من المستدرك)، والقصيدة (٢) في الصفحة ١٦ - ١٧ من الديوان) والقطعة (١٤ ص٣٠ من الديوان) [٣٤] .

ووقع بعكس هذا الخطأ بعض المحققين إذ جزؤوا القصيدة الواحدة مقطعة في أماكن مختلفة ، ومنهم محمد نايف الدليمي عند تحقيقه شعر «ابن ميادة»، إذ نشر القصيدة (٣٢) من الديوان مجزأة تحت الأرقام ١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧ [٣٥] .

ثالثاً : التصويب والترجيح :

انطلاقاً من منهجه العلمي في الاستدراك فإنه تابع العمل المحقق بكل جوانبه، فكانت استدراكاته ذات قيمة كبيرة لما تميزت به من العلمية في النقد والدقة في المتابعة، متناولاً في العمل الجوانب الآتية :

أ - نسبة النصوص إلى غير قائليها :

كان حريصاً على إصلاح النسبة الخاطئة في الأبيات والقصائد والنصوص إلى غير قائليها في الاستدراكات التي صنعها على الكتب المحققة موثقاً نسبتها بالحجة والبرهان، وهو خطأ غالباً ما ينزلق به المحققون بسبب تشابه الأسماء والكنى والألقاب [٣٦]، مثل تلك الأبيات التي نسبت إلى العلوي الكوفي وهي لغيره ممن اشتهر أيضاً بالعلوي ومن المعروف أن المصنفين القدامى لقبوا ثلاثة أعلام بالعلوي وهم : ابن طباطبا العلوي ، والعلوي الكوفي الحماني والعلوي البصري صاحب الزنج الذي نسب إليه

شعر كثير [٣٧] . ووقع في مثل هذا الخطأ زكي ذاكر العاني إذ نسب أبياتاً عديدة إلى الحارثي وهي لغيره تزيد على الـ (٧٠ بيتاً) [٣٨] كذلك صوب الخطأ الذي وقع فيه محمد نايف الدليمي في نسبة بعض الأبيات إلى ابن ميادة وهي لغيره [٣٩] . وإلى مثل ذلك أشار في استدراكه على دراسة قحطان رشيد التميمي عند تحقيقه ودراسته لديوان «مروان بن أبي حفصه، حياته، وشعره» إذ عد الرزين بن سليمان وعلي بن الرزين من شعراء الأسرة الحفصية ولا صلة لهذين الشاعرين بآل أبي حفصة [٤٠].

ونلاحظ الجهد الكبير الذي بذله مصوباً أخطاء في النسب وقع فيها كامل الشيبي عندما جمع «ديوان الدوبيت»، إذ خلط في نسبة بعض الأبيات إلى أبي الفرج ابن الطيب البغدادي وهي في الأصل لأبي الفرج ابن الجوزي البغدادي وكلاهما كنيته أبو الفرج، وقد أشار هلال إلى سبب الإيهام الذي وقع فيه الشيبي كما أشار إلى الأسباب التي دعته إلى نسبتها لابن الجوزي ثم عاد فنسبها لابن الجوزي في موقع آخر من الديوان [٤١] .

ب - تصحيح التحريف :

وتبعاً لمنهجه في الاستدراك أولى عنايته لتصحيح التحريف الذي وقع به بعض المحققين أثناء النقل أو بسبب تعدد الروايات والتي لم ينج منها حتى كبار المحققين ومنهم محمد حسن آل ياسين عند تحقيقه لشعر «الصاحب بن عباد» إذا أشار هلال إلى مواضع التحريف وتصويبها في المقطعات (٩٧، ١٢٤، ١٣١، ٢١٧) من الطبعة الثانية من الديوان المحقق [٤٢] ، ووقع في الخطأ نفسه عبدالعزيز الميمني أثناء تحقيقه «ديوان إبراهيم بن العباس الصولي»، وقد أشار لها هلال في المقطعات (١٢١، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩) من الديوان [٤٣] . وصوب كذلك التحريفات التي وقع فيها جابر الخاقاني عند تحقيقه لشعر «ابن طباطبا العلوي» [٤٤]، وأشار كذلك إلى التحريف الذي وقع في بعض أبيات «العكوك» بتحقيق أحمد نصيف الجنابي مما أدى إلى اختلال في الوزن والمعنى [٤٥] .

ولم يكتف بالنقد والتصويب على التحقيقات المعاصرة بل تعداها ليشمل النص الأصلي إذ أحس المستدرك بضرورة التصحيح إذا جازت بعض التحريفات والتصحيفات على محقق العمل [٤٦]، لا سيما إذا توفرت نسخة تزيل الشك واللبس في «المحرف» كما أطلق عليه هلال ناجي . فهو يقول بعد إثبات رأيه بالأدلة والنصوص : «لا اجتهاد في موضع النص» ، لأنه لا مجال للأخذ باجتهاد المحقق في مواجهة النص القديم السليم [٤٧] .

ج - السقطات العروضية :

وكان من بين الموضوعات التي عني بضبطها وتصويبها السقطات العروضية بما امتلكه من ملكة أدبية وحاسة شعرية مرهفة ومعرفة دقيقة بالعروض متتبعاً هذه السقطات التي لا تخفى على أديب مثله والتي لم ينتبه لها محققو تلك الدواوين وهم أولى بضبطها وتصحيحها . مثل تلك السقطات العروضية التي جازت على محمد حسين الأعرجي من شعر الحماني العلوي، أشار لها هلال في الفقرة الثالثة من استدراكه على هذا الجهد العلمي منها ما ورد في البيت الثاني عشر من (القطعة ٥٣) ، والبيت الأول من (القطعة ٣٦) وخلل في رواية (البيت ٥ من القطعة ٥٩)[٤٨]، وتداخل الأبيات في (القطعة ٧٧ البيت الأول) [٤٩] .

وأخلت مثل هذه السقطات بالعمل الذي أنجزه محمد حسن آل ياسين عند تحقيقه شعر الصاحب بن عباد، فهناك اختلال من أخذ الأبيات وتحريفات في بعض المقطعات [٥٠] .

وتابع هلال السقطات العروضية التي وقع فيها كامل الشيبي في «ديوان الدوبيت» [٥١]، وأصلح الخلل في البيت الأول من المقطعة (٣٥) ، المنسوبة إلى «ديك الجن» والذي خرج محققاً بجهود أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري [٥٢]، وأشار إلى مثل هذه التحريفات التي أدت إلى اختلال في الوزن في أحد أبيات «العكوك» الذي نشره أحمد نصيف الجنابي [٥٣] .

د - اختلاف الروايات وترجيح الأصوب :

وشمل منهجه في الاستدراك على ضرورة ذكر اختلاف الروايات لأهميتها في ضبط القصائد والأبيات أولاً، ولأن ذكر الروايات المختلفة قاعدة مهمة من قواعد التحقيق العلمي ثانياً . وأكد على ضرورة ترجيح الرواية

الأقرب إلى الصواب موثقة بالمصادر ، وهذا ما نجده عندما استدرك على محمد نايف الدليمي جامع «شعر ابن ميادة» ومحققه منتقداً سهوه عن اختيار الرواية الصحيحة ونسبتها لابن ميادة معتمداً على مصدر متأخر لمؤلف نكرة فضلاً عن كثرة التحريف والتصحيف فيه . بينما أهمل روايات أخرى ذكرت تلك الأبيات وهي مصادر متقدمة ومؤلفها معروف وروايتها سليمة من الناحية الموضوعية والعلمية (٥٤) ومثل هذا الخطأ وقع فيه الشيبي إذ أهمل اختلاف الروايات بين المصادر التي اعتمدها حول النص الواحد(٥٥)، وكان من الضروري ذكر تلك الروايات وترجيح الرواية الأقدم والأصوب مع تعليل سبب الترجيح لتكتمل جوانب العمل العلمي في الجمع والتحقيق .

هـ – نقد النص :

وانطلاقاً من منهجه في النقد والاستدراك ولإخراج العمل بالشكل القريب إلى الكمال اهتم بتوثيق المعلومات الواردة في الروايات وانتقد كثيراً من النصوص التي يعتمدها المحقق مثل اعتقاد الشيبي أن أول ناظم للدوبيت هو أبو العباس الباخرزي (ق ٥هـ) بينما أثبت هلال أن فخر الملك صاحب بغداد (٣٥٤ – ٤٠٧هـ) أقدم منه (٥٦) . وأشار إلى الوهم الذي وقع فيه المحقق المذكور إذ اعتقد أن الدوبيت لم يعبر الحدود المصرية إلى المغرب، وقد رد عليه هلال بعشر فقرات مدعمة بالأدلة والنصوص حول وجود مثل هذا الفن في الأندلس والمغرب (٥٧) .

وهلال ناجي حريص على عدم استخدام عبارات الجزم في بعض الروايات التي اختلفت فيها الآراء لذلك انتقد ما ذهب إليه قحطان رشيد التميمي عندما نفى وصول بيت واحد من شعر مروان الأكبر يستشف منه ذم للطالبيين أو طعنٌ عليهم بينما يجد هلال ناجي خلاف ذلك وله مصادره الموثقة فيما ذهب إليه من رأي مخالف ، كذلك رفض الجزم في رواية وفاة مروان سنة ١٨١هـ أو سنة ١٨٢هـ وهو الرأي الذي ذهب إليه المصنف جازماً، فيما يجد هلال لمروان شعراً قاله سنة ١٨٩هـ (٥٨) .

ومن الجدير بالملاحظة في استدراكات هلال ناجي أنها ذات طابع شمولي تتناول جوانب العمل العلمي ولا تقتصر على جمع الشعر وضبطه وتصويبه وتوثيقه فشملت دائرة اهتمامه حياة الشعراء وأهميتهم في عصرهم وصلاتهم وموقعهم الاجتماعي . فهو في استدراكه على ما جمع من ديوان «ابن أبي حفصة» المشهور بـ مروان الأكبر قدم إضافات كبيرة ومهمة غفل عنها جامع شعره ودارس حياته قحطان رشيد التميمي إذ قدم معلومات جديدة عن زوجة الشاعر (اسمها ، نسبها، شعرها) افتقدتها دراسة قحطان التميمي، وقدم هلال معلومات جديدة عن أسرة الشاعر لم يتمكن منها دارس ديوانه وحياته مدعياً أنها لم تصل إلينا ، ويكشف لنا استدراك هلال (٩٥) بيتاً من الشعر لشعراء هذه الأسرة وهو إنجاز كبير عجز عنه محقق الديوان وجامعه (٥٩) .

رابعاً – استدراكه على مستدركاته :

وبسبب نزعته العلمية وإيماناً منه بضرورة الاستدراك وأهميته في إكمال جهود الآخرين لإخراج العمل العلمي بشكله الأمثل لم يتوان حتى عن الاستدراك على أعماله ذاتها ونتيجة لمتابعته المستمرة للعمل وتبعاً لما يستجد لديه من مصادر جديدة في آخر المطبوعات لأمهات كتب التراث وما تكشفه فهارس خزائن المخطوطات من المصادر المخطوطة مشيراً إلى ذلك بقوله : «أعتمد في عملي منهجاً علمياً صارماً يعتمد تقصي فهارس المخطوطات العربية في أنحاء الدنيا واستنطاقها ثم محاولة الوقوف الشخصي على ما أختاره منها فليس في أعمالي العلمية شيء اسمه المصادفة ، وإنني إذ أفضل المخطوطات في استدراكاتي فإني أسلك بذلك طريقاً بكراً غير مطروقة وأكشف عن مادة جديدة لا عهد للقراء بها ومن هنا تأتي أصالة الاستدراك»(٦٠). ففي استدراكه على «ديوان ابن رشيق القيرواني» الذي جمع شعره عبدالعزيز الميمني ونشره بعنوان : «النتف من شعر ابن رشيق...» وهو بهذا العنوان فتح الباب أمام أقلام المستدركين، فأعاد جمع شعره عبدالرحمن ياغي الذي اجتمع لديه (٧٤٣ بيتاً) نشرها في ديوان . ثم استدرك عليه هلال ناجي الذي تجمع لديه (٢٤ بيتاً) نشرها في مستل معتمداً على مصدر واحد لم يراجعه المحقق (٦١) .

وبعد سنوات ، وللأسباب التي ذكرتها آنفاً، استدرك

على مستدركه الأول فكان حصيلة ما جمعه (٦٩ بيتاً) موزعة على (٢٣) مقطعة نتيجة وقوفه على مصادر جديدة كان من بينها مخطوطات وقف عليها المستدرك منها «لمح الملح» لابن الصيرفي ومخطوطة «السعر والشعر» للسان الدين ابن الخطيب، ومخطوطة «الكشف والتنبه» للصفدي ومخطوطات أخرى [٦٢].

وفي عام ١٩٦٠م نشر عبدالستار أحمد فراج ما جمعه من شعر «الخليع الحسين بن الضحاك» وكان حصيلة ما جمعه أقل من نصف ما ذكره ابن النديم (ق ٤هـ) في الفهرست مشيراً إلى أنه بحدود مائة وخمسين ورقة فاستدرك عليه هلال عام ١٩٧٤م في مجلة الكتاب العراقية ثم ذيل عليه مرة ثانية فكان مجموع ما استدركه عليه في المرتين (٢٠٩) أبيات في (٤٤) مقطعة [٦٣]، وهو عمل فاق به عمل الجامع والمحقق معاً.

وانطلاقاً من إيمانه بأن أيّ ديوان قائم على الجمع يظل عرضة للاستدراك لما يستجد من معلومات ومصادر جديدة نراه يستدرك على ما جمعه من «شعر الأكبر» الذي أنهى صناعته عام ١٩٨٠م ونشره في خمسة أعداد متتالية من مجلة المورد ١٩٨٢م، جامعاً له (١٠٨٣) بيتاً موزعة على (١٣٥) مقطعة وقصيدة معتمداً على (١٠٤) مصادر [٦٤]، وفي عام ١٩٨٨م كان شعر هذا الشاعر موضوعاً لرسالة ماجستير تقدم بها كريم علكم عزيز لكلية الآداب - جامعة بغداد، ولكنه لم يضف بيتاً واحداً على ما جمعه هلال من شعر هذا الشاعر وقد أشار الطالب ولجنة المناقشة لهذه الملاحظة [٦٥]. مع ذلك تمكن جامع شعره الأول هلال ناجي من الحصول على أبيات جديدة استدرك بها على عمله الأول ورسالة الطالب المذكور وكان مجموع ما ظفر به (١١) بيتاً، موزعة على (٤) مقطعات [٦٦]، واستدرك كذلك على ما جمعه من شعر الأخيطل الأهوازي، وشعر أبي هفان، والقاسم بن يحيى المريمي، وشعر الببغاء، وشعر أبزون العماني [٦٧] وديك الجن.

ويستمر في استدراكاته على ما جمعه حتى اللحظات الأخيرة من العمل، فقد أشار إلى ذلك أثناء تحقيقه ديوان القاضي التنوخي الكبير الذي نشره في مجلة المورد عام ١٩٨٤م قائلاً: «وألحقت به في آخره بضع مقطعات مما ظفرت به في المدة بين تسليمه للطبع ونشره ...» [٦٨].

وهذا ما لاحظته وأنا أعد هذا البحث فقد وضع هلال بين يدي مسودة التصحيح النهائي من مؤلفه «المستدرك على صناع الدواوين ...» ووجدت الإضافات الأخيرة بخطه على النسخة النهائية المرسلة إلى الطبع في أكثر من موضع من الكتاب [٦٩].

ومـا هو جـدير بالإشـارة والثناء أنه في جـمـيـع استدراكاته ونقده العلمي البناء كان يشيد بجهود سابقيه مثمناً عملهم في جمع ما تفرق من شعر في بطون الكتب والمخطوطات مدافعاً عن ثغراتهم، وهو في استدراكاته وتقييمه لجهود الباحثين يعطي كل ذي حق حقه [٧٠].

مثل ذلك قوله لمحمد حسن آل ياسين: «ونأمل أن ينتفع بملاحظاتنا هذه في طبعة مقبلة إن شاء الله فله من العراقة والقدم الراسخة في خدمة التراث العربي الإسلامي ما يؤهله لذلك» [٧١] وأثنى على الجهد العلمي القيم والفهارس المنتظمة التي أعدها داود سلوم حين جمع شعر الكميت بن زيد الأسدي [٧٢].

زد على ذلك أنه فتح أبواب مكتبته العامرة أمام الباحثين والطلبة والمحققين ليتزود من مصدرها النادرة من مطبوعات ورقائق فلمية لمخطوطات حرص على الحصول عليها من شتى دور المخطوطات في العالم لتكون زاده وزواده في رحلة العلم والتي تعجز عن امتلاكها بعض المؤسسات الرسمية المعنية بالثقافة، وهذا ما جعل استدراكه على بعضهم مليء بالألم لأنه فتح أمامه أبواب مكتبته ليراجع مخطوطها ومطبوعها ومع ذلك فاته الكثير الكثير مما دعا هلال ناجي إلى الاستدراك عليه مستخدماً المصادر نفسها مضيفاً إليه ما فاته [٧٣].

مما تقدم يمكن أن نستنتج ما يأتي من استدراكات هلال ناجي:

١ - التزامه قواعد البحث العلمي في جميع استدراكاته.
٢ - أصالة استدراكاته وعمقها لاعتماده على مصادر ومخطوطات فريدة وقديمة.
٣ - مكثر في استدراكاته بشكل يثير الدهشة.

جدول (١) : قائمة بمستدركات هلال ناجي وعددها ، والمستدرك عليهم

تسلسل	أسماء الدواوين المستدرك عليها	عدد الأبيات المستدركة	عدد المقطعات	الصفحات	أسماء المحققين وصناع الدواوين المستدرك عليهم
١	ديوان علي بن الجهم	٥٨	٢٤	١/٩ - ١٤	مصطفى جواد وخليل مردم بك، ومصطفى عوض
٢	شعر علي بن محمد البسامي	١٢١	٣٤	١/١٥ - ٣٠	مزهر السوداني
٣	ديوان ابن رشيق القيرواني	٧٤	٢٣	١/٣١ - ٣٩	عبدالعزيز الميمني
٤	ديوان أبي الشيص	٦٥	٣٤	١/٤٠ - ٥٠	عبدالرحمن ياغي، عبدالله الجبوري
٥	ديوان الثعالبي	٢٨٩	٥٩	١/٥١ - ٧١	عبدالفتاح الحلو
٦	ديوان أبي علي البصير	١٠٢	٢٤	١/٧٢ - ٨٠ب	يونس أحمد السامرائي
٧	ديوان الحسين بن الضحاك	١٠٩	٤٤	١/٨١ - ٩٩	عبدالستار أحمد فراج
٨	ديوان أبو الفتح البستي	٤٢٩	١٨٧	١/١٠٠ - ١٥٠	محمد مرسي الحولي
٩	شعر ابن طباطبا العلوي	٦٦	١٩	١/١٥٠ - ١٥٩	جابر الخاقاني
١٠	شعر ابن ميادة	٩٤	٣٧	١/١٦٠ - ١٧٣	محمد نايف الدليمي
١١	شعر الكميت بن زيد الأسدي	٤٥	١٤	١/١٧٤ - ١٧٧	داود سلوم
١٢	ديوان الحماني الكوفي	١٠٠	١٩	١/١٧٨ - ١٩٠	محمد حسين الأعرجي
١٣	ديوان مروان بن أبي حفصة،ج١	١١٠	٢١	١/١٩١ - ٢٠٢	حسين عطوان
١٤	شعر مروان بن أبي حفصة وشعراء أسرته	٩٥	متفرقة	١/٢٠٣-٢١٥	قحطان رشيد التميمي
١٥	شعر مروان بن أبي حفصة وحياته	٨٨	٢٥	١/٢١٦-٢٢٥	حسين عطوان ثم قحطان رشيد التميمي
١٦	شعر الحارثي. حياته وشعره	١٣٢	٣٠	١/٢٢٦- ٢٣٧	زكي ذاكر العاني
١٧	ديوان العكوك	٦٦	٢٢	١/٢٣٩ - ٢٥٠	أحمد نصيف الجنابي
١٨	ديوان الصنوبري	١٣٢	٣٥	١/٢٥١-٢٦٤	إحسان عباس، ثم لطفي العقال وذرية الخطيب
١٩	شعر الخوارج	٤٨	٧	١/٢٦٥- ٢٦٩	إحسان عباس
٢٠	ديوان الصاحب بن عباد	٨١	٣٢	١/٣٢٧- ٣٤٤	محمد حسن آل ياسين

٢١	شعر الأخيطل الأحوازي	٣٦	١١	٣٤٥/١-٣٤٩	هلال ناجي ١٩٨٠ – ١٩٨٦م
٢٢	شعر أبي هفان	٤٣	١٨	٣٥٠/١ – ٣٥٥	هلال ناجي ١٩٨٠ – ١٩٨٦م
٢٣	شعر الناشئ الأكبر	١١	٤	٣٥٦/١-٣٥٨	هلال ناجي ١٩٨٢ – ١٩٩٨م
٢٤	شعر القاسم المريمي	٢٣	٧	٣٥٩/١ – ٣٦٢	هلال ناجي ١٩٨٦م
٢٥	شعر عبدالواحد الببغاء	٨٩	٢٥	٣٦٢/١-٣٧١	هلال ناجي ١٩٨٣م
٢٦	ديوان ديك الجن	٢٣٦	٦٨	٣٧٢/١-٣٩٥	أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري
٢٧	ديوان دعبل الخزاعي	٣٠٨	١٤	٣٩٦/١ – ٤٠٠	محسن الأمين ثم ليون زولندك ثم عبدالصاحب الدجيلي ثم يوسف نجم ثم عبدالكريم الأشتر
٢٨	شعر أيزون العماني	٧٤	٤	٤٠١/١-٤٠٥	هلال ناجي
٢٩	شعر أبي بكر الصولي	٧٠٤	٣٠	٤٠٦/١-٤٤٧	أحمد جمال العمري
٣٠	ديوان الدوبيت (ج١)	١٨٣	٨٩ رباعية	٤/٢-٢٦	كامل الشيبي
٣١	ديوان الدوبيت (ج٢)	٢٠١	١٩٨	٢٨/٢ – ١٠٥	كامل الشيبي
٣٢	ديوان الدوبيت (ج٣)	٤٢٠	١٤٢	١١٣/٢-١٥٠	كامل الشيبي
٣٣	ديوان الدوبيت (ج٤)	٦٠٠	٤١٩	١٥١/٢-٢١٩	كامل الشيبي
٣٤	شعر عبدالله طاهر	٢٣٥	٦١	٢٢٠/٢-٢٤٢	قحطان عبدالستار الحديثي
٣٥	ديوان إبراهيم بن العباس الصولي	٦٦	٢٩	٢٤٧/٢-٢٥٦	عبدالعزيز الميمني
٣٦	شعر العطوي	٦٣	٢٠	٢٥٧/٢-٢٦٣	محمد جبار المعيبر
٣٧	شعر سعيد بن حيمد	١١٤	٤١	٢٦٥/٢-٢٧٦	يونس أحمد السامرائي
٣٨	العتابي، حياته وشعره	٥٢	٢٢	٢٧٧/٢-٢٩٣	ناصر الحلاوي
٣٩	شعر عبدالله بن طاهر	٤٨	١٨	٢٩٤/٢ -٢٩٩	قحطان عبدالستار الحديثي
٤٠	ديوان الحزيمي	٩٦	٩	٣٠٠/٢-٣٠٦	علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبر
٤١	ديوان القاضي التنوخي الكبير	٦٩	١٢	٣٠٧/٢-٣١٢	هلال ناجي

الهوامش

١ - السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال المنشور ضمن (علم التاريخ عند المسلمين)، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م، ص١٢٥.

٢ - انظر : ديباجة الكتاب الذي طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م)، ص١١.

٣ - للمزيد حول هذا الموضوع انظر: ظمياء محمد عباس: اتجاهات الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن ٨هـ/ ١٤م . رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨م، ص١٢٤ - ١٢٥ .

٤ - شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون (بيروت، ط٢، ١٩٨٠م)، ٢٦٥/٢ - ٢٦٦ . وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (مكتبة المثنى / أوفست / ١٩، ٢٩١/٢ - ٢٩٢ .

٥ - ابن رجب الحنبلي : الفرق بين النصيحة والتعبير . تحقيق : نجم عبدالرحمن خلف (القاهرة، المكتبة القيمية، د . ت) ص٢٩-٣٠ .

* شاعر، وأديب، ومحقق . ولد في بغداد في الربع الأول من هذا القرن وهو مؤسس لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين له العديد من المؤلفات وتحقيق لكثير من كتب التراث .

٦ - هلال ناجي ونوري حمودي القيسي : المستدرك على صناع الدواوين (تحت الطبع) وقد اعتمدت في هذه الدراسة على التصحيح الأخير من النسخة المطبوعة . التي ستصدر قريباً .

٧ - هلال ناجي : ن م ١/ ١٠١ .

٨ - ن . م ، ١٧٨/١ - ١٧٩ .

٩ - ن . م ، ٣٥٩/١ .

١٠- ن . م ، ١٧٤/١ .

١١- ن . م ، ٣٩٦/١ - ٣٩٧ .

١٢- ن . م ، ١٠/٢ .

١٣- ن . م ، ٢٨/٢ .

١٤- ن . م ، ١، ٦ .

١٥- انظر : مجلة المورد م٦، ع١س، والمجلة نفسها م٨، ع٣س .

١٦- هلال ناجي : المستدرك ، ٨٢/١. وانظر مثل هذه التسمية ٥١/١ من المصدر نفسه .

١٧- ن . م ، ١٠/٢ .

١٨- انظر : المستدرك في الصفحات والأجزاء التالية : ٩/١ - ١٤، ١٥ - ٢٧، ٣١ - ٣٩، ٥١ -٧١، ٧٢- ٨٠، ١٦٠ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ١٧٧، ١٨٤، ٢٥٧-٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٦ ، ٢٧٧ - ٢٩٣ وغيرها.

١٩- ن . م ، ٤٤/١، ٤٦، ٤٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ٣٣٥، ٣٧٩، وغيرها.

٢٠- ن . م ، ٣٨١/١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣، ٣٩٤ .

٢١- انظر المستدرك : ٢٥١/١ .

٢٢- ن . م ، ٢٥٣/١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢ .

٢٣- ن . م ، ١٧٩/١، ٣٣٠ .

٢٤- انظر مصادره ن . م ، ١٧٩/١.

٢٥- انظر مصادره : ن . م ، ٣٣٠/١.

٢٦- ن . م ، ٣٧٠/١ .

٢٧- ن . م ، ٢٥/٢ .

٢٨- ن . م ، ٢٢/١، ٢٤، ٢٥، ٢٧ .

٢٩- ن . م ، ١، ٩١ .

٣٠- ن . م ، ٩/١ - ١٤ .

٣١- ن . م ، ٥٠/٢ - ٥٣، ١٤٥ .

٣٢- انظر : المستدرك ، ٣٧٢/١، وانظر ما ذكره عن منهجه : ن . م ، ٣٠/٢ .

٣٣ - ن . م ، ٢١٦/١ .

٣٤- ن . م ، ١٩٩/١ - ٢٠٠، ٢٣٩.

٣٥- ن . م ، ١٦٩/١ - ١٧٠ .

٣٦- انظر : المستدرك ، ٩/٢، ١، ٥٧، ١، ٧١ - ١٧٣ .

٣٧- انظر : استدراكه على محمد حسين الأعرجي ، ١٨٦/١ .
٣٨- ن . م ، ٢٢٦/١ .
٣٩- ن . م ، ١٧١/١ - ١٧٣ .
٤٠- ن . م ، ٢١٤/١ .
٤١- انظر : ن . م ، ٢/٥ - ٨، ٣٢، ٣٣ - ٣٥ .
٤٢- ن . م ، ١٧١/١ - ١٧٣ .
٤٣- ن . م ، ٢٥٤/٢ - ٢٥٦ .
٤٤- ن . م ، ١٥٨/١ - ١٥٩ .
٤٥- ن . م ، ٢٤٧/١ .
٤٦- ن . م ، ١٥٨/١ .
٤٧- ن . م ، ٢٩/١ - ٣٠ .
٤٨- ن . م ، ١٨١/١ - ١٨٢ .
٤٩- ن . م ، ١٨٢/١ - ١٨٣ .
٥٠- ن . م ، ٣٢٧/١ .
٥١- ن . م ، ٣٧/٢، ٥٩ - ٦٠ .
٥٢- ن . م ، ٣٨٥/١ .
٥٣- ن . م ، ٢٤٧/١ .
٥٤- انظر بتفصيل : ن . م ، ١٧١/١ - ١٧٣ .
٥٥- ن . م ، ٢ / ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ . وانظر : كذلك حول هذا الموضوع ما استدركه .
٥٦- ن . م ، ٣٨/٢ .
٥٧- ن . م ، ٤٦/٢ - ٥٠، انظر رأي الشيبي (ص٥٧٤ - ٥٧٥) من ديوان الدوبيت .
٥٨- ن . م ، ٢١٢/١ - ٢١٣، وانظر كذلك ، ٢١٤/١ - ٢١٥ .
٥٩- ن . م ، ٢٠٤/١ - ٢٠٩ .
٦٠- ن . م ، ٣٠/٢، وانظر ما كتبه حول استدراكاته حاشية (١٥) من هذا البحث .
٦١- ن . م ، ٣١/١ .
٦٢- ن . م ، ٣١/١ - ٤٠ ، وانظر حول مصادره الصفحات ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨ .
٦٣- ن . م ، ٨٢/١ - ٩٩ .
٦٤- ن . م ، ٣٥٦/١ .
٦٥- وردت هذه الإشارة في المصدر نفسه ٣٥٦/١ - ٣٥٧ نقلاً عن الرسالة المذكورة ص٩٠ - ٩١.
٦٦- ن . م ، ٣٥٧/١ - ٣٥٨ .
٦٧- ن . م ، ١ / ٣٤٥ - ٣٥٥ ، ٣٥٩ - ٣٧١ ، ٤٠١ - ٤٠٥ ، وانظر القائمة المرفقة بالبحث ومنها تنبيه على عدد الأبيات المضافة والمقطعات في استدراكاته.
٦٨- ن . م ، ٣٠٧/٢ .
٦٩- انظر : ن . م (١٠/١، ٢٦، ٣٤، ١٩٠، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١) (٢٤٢/٢، ٣٠٦) .
٧٠- انظر حول هذا الموضوع : ٤٠/١ ، ١٠٠ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤، ٢٥٧/٢ وغيرها .
٧١- ن . م ، ٣٤٤/١ .
٧٢- ن . م ، ١٧٤/١ .
٧٣- ن . م ، ١، ١٥٠ - ١٥٩ .

المقصورة وشروحها

أبو العيد الطاهر الفقهي
الهضبة الخضراء - طرابلس - ليبيا

تمهيد :

اشتهرت أعمال علمية كثيرة في التراث العربي الخالد بين أعمال لغوية ونحوية وأدبية وبلاغية ومختارات شعرية وقصائد ومقطعات ... إلخ . وفي مجال الأعمال الشعرية امتازت ثلاث قصائد وحظيت بالشهرة والذيوع والاهتمام بها من العلماء فكان لها الكثير من المعارضات والشروح والتخميسات وتلك القصائد هي :

١ - قصيدة الصحابي كعب بن زهير بن أبي سلمى «بانت سعاد» التي قالها في مدح سيد البشرية عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

٢ - قصيدة "لامية العرب" للشنفرى الشاعر الجاهلي، التي خلد فيها أخلاق العرب وصفاتهم وما اشتملت عليه من رسوم البطولة عند أبناء العروبة والروح العالية التي تكتنفهم في تموجات الأحداث .

٣ - قصيدة ابن دريد «المقصورة» (موضوع هذا البحث) التي قالها في مدح ابني ميكال وأودع فيها كل نفيس من الأقوال البديعة والمعاني الرفيعة .

وهذه القصائد الثلاث جديرة بالوقوف عندها وبالتعريف بها وبشروحها وبدراسة تليق بها وبمكانتها بين الأعمال القلمية الرائعة التي يزخر بها التراث العربي الخالد .

وسبب اختياري لمقصورة ابن دريد للبدء بدراستها يعود إلى ما حظيت به هذه المقصورة من اهتمام بها من العلماء ربما فاق ما نالته القصيدتان الأخريان .

وقد عدت المقصورة عملاً علمياً مستقلاً أضيف إلى تراث ابن دريد العلمي ونسخت مفردة في كتاب مستقل توجد منه عدة نسخ في مكتبات العالم، فهي عمل علمي قائم بذاته وقد أخرجت من ديوانه في طبعته الرئيسية على هذا الأساس .

والمعروف أنه عندما تذكر المقصورة مجردة من الإضافة إلى اسم صاحبها فالمقصود مقصورة ابن دريد فإذا أريد مقصورة غيرها فإنها تضاف إلى اسم صاحبها فيقال : مقصورة الأنطاكي أو مقصورة ابن ورقاء أو مقصورة حازم ... إلخ .

وبمناسبة الحديث عن شهرة المقصورة بدون الإضافة إلى اسم صاحبها فإني أذكر القارئ الكريم بأن هذا الكلام ينطبق أيضاً على كتب الحماسة فإذا ذكر كتاب الحماسة مجرداً من الإضافة إلى اسم صاحبه فالمقصود : حماسة أبي تمام وإذا أريد كتاب حماسة آخر فإنه يضاف إلى اسم صاحبه فيقال : حماسة البحتري أو حماسة ابن الشجري أو حماسة الخالديين ... إلخ ، وكذلك كتب الأمالي فإذا ذكر كتاب الأمالي مجرداً من الإضافة إلى اسم صاحبه فالمقصود أمالي أبي علي القالي ، وإذا أريد كتاب أمالي آخر فإنه يضاف إلى اسم صاحبه فيقال أمالي المرتضى أو أمالي ابن الشجري أو أمالي اليزيدي ... إلخ .

وما يقال عن كتب الحماسة وكتب الأمالي يقال عن كتب النوادر وكتب الاشتقاق فأشهر كتاب في النوادر، نوادر أبي زيد الأنصاري وأشهر كتاب في الاشتقاق اشتقاق ابن دريد .

أولاً : صاحب المقصورة :

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة (١) وقد أوصل بعضهم نسبه إلى يعرب بن قحطان (٢) وهو من الأزد

الذين كان مسكنهم في مأرب من أرض اليمن ثم ارتحلوا فكان بعضهم في عمان، وجده حمامي قال فيه : أول من أسلم من آبائي حمامي وهو في السبعين راكباً مع الذين خرجوا مع عمرو بن العاص إلى المدينة لما بلغهم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أدّوه [٣] .

وقال ابن النديم : هو منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حماما [٤] .

كان مولده في البصرة في سكة صالح عام ٢٢٣هـ في خلافة المعتصم، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار[٥]، نشأ وتأدب وتعلم اللغة وأشعار العرب وقرأ على علماء البصرة ثم انتقل إلى عُمان مع عمه الحسين بن دريد عام ٢٥٧هـ عندما ظهر الزنج في البصرة وقتلوا العلماء ومن بينهم الرياشي أحد شيوخ ابن دريد [٦] وسكن عمان وأقام فيها اثني عشر عاماً [٧] ثم رجع إلى البصرة وسكنها زماناً ثم خرج إلى نواحي فارس بدعوة من عبدالله ابن ميكال عامل كور الأهواز للخليفة المقتدر بالله العباسي ليؤدب ولده أبا العباس إسماعيل بن عبدالله ميكال، وفي ابني ميكال صنع ابن دريد مقصورته هذه وأهدى إليهما كتاب الجمهرة فأعطياه عشرة آلاف درهم وقلداه ديوان فارس فكانت كتب فارس تصدر عن رأيه ولا تنفذ إلا بعد توقيعه [٨] وبذلك يعد ابن دريد في سلك رجال السياسة ممن يصرفون أمور الدولة كما علق عبدالسلام هارون [٩] وبعد قضاء فترة من المشاركة في إقليم فارس انتقل إلى بغداد عام ٣٠٨هـ بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى خراسان، ولما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد الخواري وأفضل عليه وعرف المقتدر خبره ومكانته من العلم فأمر بأن تجرى عليه خمسون درهماً كل شهر فلم تزل جارية عليه إلى حين وفاته [١٠] .

وقد تمتع ابن دريد بحافظة قوية وفكر ثاقب وكان واسع الرواية لم يرَ أحفظ منه ولا أضبط، وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى حفظها، وله مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب وكان أحفظ الناس وأرسلهم علماً، وكان إلى جانب علمه باللغة والأدب شاعراً معدوداً في الشعراء وله ديوان شعر، وقد قيل : ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر الأحمر وابن دريد [١١] .

وقد تتلمذ ابن دريد على عدد كبير من العلماء كثير منهم مشهورون في علومهم منهم الرياشي والإشنانداني والسجستاني وابن أخي الأصمعي، أما تلاميذه فقد كانوا أيضاً كثيرين جداً من أشهرهم : أبو سعيد السيرافي وابن خالويه والزجاجي والرماني والمرزباني والأصفهاني وأبو علي القالي والمسعودي وأبو أحمد العسكري وابنا ميكال والمعافى بن زكريا[١٢]، أما آثاره العلمية فقد زادت على الأربعين مصنفاً أهمها : الجمهرة والاشتقاق والملاحن وشرح بانت سعاد والخيل واللغات وشرح لامية العرب [١٣] .

توفي رحمه الله عام ٣٢١هـ [١٤] عن عمر بلغ ثمانية وتسعين عاماً .

ثانياً : أقوال العلماء فيه وفي المقصورة :

ابن دريد من العلماء الذين لفتوا إليهم الأنظار لكثرة أعماله العلمية وشهرته في مجال البحث اللغوي والتأليف فيه، وقد اختلفت آراء العلماء في ابن دريد بين مادح وقادح .

وهذا عرض لبعض آراء العلماء وأقوالهم فيه :

أ - أقوال المدح :

١ - قال أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين : هو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد وتصدر للعلم ستين سنة [١٥] .

٢ - قال محمد بن رزق الأسدي : وكان يقال : إن أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء [١٦] .

٣ - قال المسعودي في مروج الذهب : وكان ابن دريد ممن برع في زماننا هذا في الشعر وانتهى إليه علم اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب بالشعر كل مذهب فطوراً يجزل وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن نحصيه أو نأتي

على أكثره أو يأتي عليه كتابنا هذا [١٧] .

٤ – قال القفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة: وشعره كثير قال من رآه هو خمسة مجلدات وقيل أكثر من ذلك [١٨] .

٥ – قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ما رأيت أحفظ منه وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها وأكثرها فيسابق إلى إتمامها من حفظه وما رأيته قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له [١٩] .

ب – أقوال القدح :

١ – قال أبو منصور الأزهري : وممن ألف في زماننا هذا الكتب فرمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد صاحب كتاب الجمهرة وكتاب الاشتقاق وكتاب الملاحن، وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبدالرحمن ابن أخي الأصمعي، وسألت إبراهيم بن عرفة عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته وألفيته على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر على كلام من سكره، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أزد على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فأثبتها في مواقعها منه لأبحث أنا وغيري عنها [٢٠] .

٢ – قال حمزة : سمعت أبا بكر الأبهري المالكي يقول: جلست إلى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه جزء فيه ما قال الأصمعي فكان يقول في واحد : حدثنا الرياشي وفي آخر حدثنا ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي كما يجيء على قلبه [٢١] .

٣ – قال ابن جني في الخصائص : وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف مما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر، ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته، ثم إنه لما طال عليّ أومأت إلى بعضه وأضربت البتة عن بعضه [٢٢] .

٤ – سئل عنه الدارقطني فقال : قد تكلموا فيه[٢٣] .

٥ – قال أبو ذر عبدالله بن أحمد الهروي : سمعت ابن شاهين يقول : كنا ندخل على ابن دريد فنستحيي مما نراه من العيدان المعلقة والشراب المصفى [٢٤] .

٦ – وقد عده الإمام الدلجي في جماعة المفلوكين وقال: كان يشرب الخمر إلى أن جاوز تسعين عاماً [٢٥] .

وكانت بينه وبين أعلام عصره مناقضات ومناظرات ومهاجيات فقد كانت بينه وبين إبراهيم بن عرفة نفطويه مهاجاة وينكر عليه وضع كتاب الجمهرة ويرى أنه كتاب العين إلا أنه قد غيره [٢٦] وكذلك كانت بينه وبين الكرماني مناظرة انتصر له فيها أحد تلاميذه [٢٧] .

ومهما يكن من أمر فإن ابن دريد كغيره من كبار العلماء لا يسلم من الطعن عليه بالخطأ والسهو، وهو بشر معرض للخطأ والنسيان، وقد دافع عنه السيوطي في المزهر فقال : معاذ الله هو بريء مما رمي به ومن طالع الجمهرة رأى تحرجه في روايته ولا يقبل فيه طعن نفطويه لأن كانت بينهما مناظرة عظيمة وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح [٢٨] .

والحق أن ما قيل فيه من أقوال القدح أقوال معاصرين، والمعاصرة حجاب ؛ فالمعروف أن نفطويه من المعاصرين له وقد حصل بينهما ما يحصل بين المتعاصرين من خصومة، وكانت بينهما منافسة مشهورة فلا بد أن يتحامل عليه ويقول عنه ما قال، أما الأزهري فقد تحامل عليه كثيراً وهو من التحامل الذي يقع بين المتعاصرين ؛ فقد قال عنه : إنه رمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها وهو مع ذلك لم يأت بأي دليل على ما قال ولم يذكر أيّ مثال لذلك وإنما ترك كلامه عاماً مبهماً، ولا أدري كيف يقول ذلك عن ابن دريد الذي اشتهر بأنه كان يتحرج في تفسير ألفاظ القرآن الكريم مخافة التفسير بالرأي ، وقد كان الأصمعي وابن دريد مشهورين بذلك [٢٩]، ومن يطالع الجمهرة يجد ابن

دريد يتحرج في تفسير الألفاظ القرآنية بقوله : ولا أقدم على تفسيره [٣٠] أو بقوله : لا أحب أن أتكلم فيه [٣١] أو بقوله : والله أعلم بكتابه [٣٢] أو بقوله : والله أعلم ما هي[٣٣] وهو يزداد تحرجاً إذا كان هناك اختلاف بين العلماء في دلالة اللفظة القرآنية فنجده يقول : ولا أقدم على تفسيره للاختلاف فيه [٣٤] أو يقول : واختلف فيه المفسرون ولا أحب أن أتكلم فيه [٣٥] .

جـ – ما قيل في المقصورة :

لاقت المقصورة اهتماماً من العلماء لما أودع فيها ابن دريد من الحكم البليغة والمعاني الرفيعة فكانت مثار تعليقاتهم مبجلين إياها ومقرضين وهاهي ذي بعض أقوال العلماء فيها :

١ – قال المسعودي في مروج الذهب : فمن جيد شعره المقصورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال ويقال : إنه أحاط فيها بأكثر المقصور [٣٦] .

٢ – قال البهاء السبكي في طبقات الشافعية : أما قصيدته الدريدية فقد سارت بها الركبان [٣٧] .

٣ – قال البغدادي في خزانة الأدب ومدح بهذه المقصورة الشاه وأخاه أبا العباس إسماعيل بن ميكال ويقال : إنها اشتملت على ثلث المقصور وفيها كل مثل سائر وخبر نادر في سلاسة ألفاظ ورشاقة أسلوب وانسجام معانٍ يأخذ بمجامع القلوب [٣٨] .

٤ – قال علي بن عيسى الرماني ما للجمهرة عيب إلا أنها في ابن ميكال (مهداة إليه) يعني أن الجمهرة لا نظير لها في الجلالة وابن دريد إمام عصره فوجب أن ينسبها إلى خليفة أو وزير، وما يقال عن الجمهرة يقال عن المقصورة [٣٩] .

ثالثاً : المقصورة في الشعر العربي :

القصيدة المقصورة في الشعر العربي هي كل قصيدة رويها ألف لينة على أي بحر من بحور الشعر، وقد وجدت المقصورة في الشعر العربي وفي بعض دواوين الشعر : ففي العصر الجاهلي يورد أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني بيتين من قصيدة مقصورة اختيرا للغناء بهما في المائة صوت المختارة للغناء وهما :

فارفع ضعيفك لا يحريك ضعفه
يوماً فتدركه العواقب قد نما [٤٠]
يجزيك أو يثني عليك وإن من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

وهما من قصيدة عدتها عشرة أبيات مطلعها :

رحلت قتيلة غيّرها قبل الضحى
وإخال إن شحطت تجاريك النوى

وقد نسب الأصفهاني هذه القصيدة إلى الغريض اليهودي ثم ذكر الخلاف في نسبتها بين سعية بن الغريض وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وزهير بن جناب الكلبي [٤١] .

وعدوا من المقصورات أيضاً قصيدة حنظلة بن أبي عفراء التي منها :

ومهما يكن من ريب الزمان فإنني
أرى قمر الليل المغرّب كالفتى [٤٢]

وقصيدة مرثد بن أبي حمران الجعفي الملقب بالأسعر الجعفي التي تعد ثلاثين بيتاً ومطلعها :

أبلغ أبا حمران أن عشيرتي
ناجوا وللقوم المناجين النوى

وهي قصيدة رائعة يهجو فيها ابن عمه وقد أوردها الأصمعي في اختياراته [٤٣].

وعدوا من المقصورات قصيدة يزيد بن الخذاق العبدي ومنها :

امنع الأعداء عرضك لا تكن
لأكله عوداً يشتوى [٤٤]

وهناك قصيدة تنسب إلى ليلى العفيفة وهي ليلى بنت لكيز بن مرة بن ربيعة وأشهر بيت فيها هو قولها :

ليت للبراق عيناً فترى
ما أقاسي من بلاء وعنا [٤٥]

وقصيدة لبشر بن عمر بن مرثد الشيباني منها :

أماوي ليت الشباب في الرأس لا يرى
وليت الشباب يرد طورين للفتى [٤٦]

وهناك أبيات لكعب بن زهير بن أبي سلمى عرّض فيها بزيد الخيل مطلعها :

ألا بكرت عرسي بليل تلومني

وأقرب بأقلام النساء إلى الردى[٤٧]

وقد قال زهير لابنه : هجوت رجلاً غير مفحم وإنه لخليق أن يظهر عليك، وقد ردّ عليه زيد الخيل كما توقع والده فقال في قصيدة مقصورة :

أفي كل عام مأتم تبعثونه

على محمر عود أثيب وما رضا[٤٨]

وعدوا من المقصورات القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس وهي التي مطلعها :

إن يك شيبي قد علاني وفاتني

شبابي وأضحى باطل القول قد صحا[٤٩]

وهي قصيدة طويلة عدتها اثنان وأربعون بيتاً، غير أن المتأمل في هذه القصيدة سرعان ما يدرك أنها منحولة وموضوعة على لسان امرئ القيس وأبياتها الأخيرة تدل على نزعة إسلامية صرفة مثل قوله :

ولا تك مختالاً في مشيك واقتصد

فإن الذي يختال يمشي على قلى

وإذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن

على أهله كلاً فقد كمل الفتى

وهي لهذا السبب لم ترد في أصل ديوانه برواية الأصمعي [٥٠] .

هذا بعض ما روي من القصائد المقصورة في الشعر الجاهلي وهو قليل من كثير مما حفظه العلماء والرواة وتداولوه.

وفي العصور الإسلامية وجد الشعراء في القرآن الكريم – وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية – الكثير من رؤوس الآي على الألف المقصورة [٥١] .

وقد شغف الشعراء بالقرآن الكريم وألفوا القافية المقصورة التي عهدوا شيئاً منها في الشعر الجاهلي وبسبب السهولة في النظم على الألف اللينة جرى الكثير من الشعراء على هذا النمط وانتشر المقصور خصوصاً بعد أن بلغ الترف العلمي مبلغه في العصر العباسي .

وأول من طرق هذا النوع من الشعر في العصر العباسي فيما يروي المسعودي في مروج الذهب ، أبو المقاتل نصر بن نصير الحلواني وقد نظم قصيدة مقصورة في مدح محمد بن يزيد بطبرستان وهي طويلة أولها :

قفا خليليّ على تلك الربى

وسائلاها أين هاتيك الدمى[٥٢]

ثم جاء بعده ابن دريد بمقصورته التي فاق فيها كل من سبقه ولم يبلغ شأوه من أتى بعده بدليل أن كل المقصورات التي قيلت بعده اعتبرت معارضة لها ولم تعتبر مقصورة ابن دريد معارضة لما قبلها، وقد اشتهرت مقصورة ابن دريد وطبقت الآفاق وولع الناس بها وأقبلوا عليها بين معارض وشارح ومخمس، وأغلب المعارضات كانت على البحر نفسه وهو الرجز، وقد زادت شروح المقصورة على خمسين شرحاً سأذكرها مفصلة عدا المعارضات والتخميسات .

ويلاحظ أن القاسم المشترك بين جميع المقصورات، إضافة إلى اتحادها في الجانب الشكلي، هو أنها من مطولات الشعر العربي التي تتناول في غرضها الرئيس وهو المدح موضوعات أخرى لها ارتباط بالغرض الأصلي فنجدها تعالج تجارب شخصية عاشها الشاعر كما تعرض للأحداث التاريخية وتنطق بالحكم والأمثال .

رابعاً : عدد أبيات المقصورة:

بلغ عدد أبيات المقصورة في ديوان ابن دريد (الطبعة التونسية) مائتين وستة وخمسين (٢٥٦) بيتاً [٥٣] بما في ذلك البيت الأول الذي لم تصح نسبته إلى ابن دريد بينما سقطت المقصورة من ديوانه المطبوع في مصر، وقد اختلف عدد أبيات المقصورة بين مصادرها بسبب الزيادات التي طرأت عليها وبعضها من زيادات النساخ، وأول من زاد على أبيات المقصورة أبو بكر ابن الأنباري أحد تلاميذ ابن دريد حيث زاد عشرة أبيات جعلها في أولها ، وآخرها البيت المشهور وهو :

يا ظبية أشبه شيء بالمها

ترعى الخزامى بين أشجار النقا[٥٤]

وقد أشار أحمد عبدالغفور عطار إلى بعض الشروح وعدد ما ثبت فيها من أبيات بين شروح مطبوعة ومخطوطة وفي اعتقاده أن عدد أبيات المقصورة مائتان وأربعة وخمسون (٢٥٤) بيتاً [٥٥] إذا رجح وجود البيت الأول في مطلع المقصورة وهو قد اعتمد على ما جاء في شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة الذي قام بتحقيقه، أما عبدالقادر البغدادي في الخزانة فقد ذكر أن عدد أبيات المقصورة مائتان وتسعة وثلاثون (٢٣٩) بيتاً [٥٦]، وعدد أبيات المقصورة في شرح المهلبي المطبوع مائتان وأربعة وثلاثون (٢٣٤) بيتاً [٥٧] مع وجود البيت المشكوك في صحته ، أما عدد أبيات المقصورة في شرح ابن خالويه فهو مائتان واثنان وثلاثون (٢٣٢) بيتاً وقد أسقط البيت المذكور من الأصل الذي قمت بتحقيقه .

وأستطيع أن أقول : إن أصح عدد لأبيات المقصورة هو العدد الذي عند ابن خالويه في شرحه فقد كان ابن خالويه أقرب تلاميذ ابن دريد إليه وقد أخذها عنه مشافهة ورواها عنه وقرأها عليه وقرأت على ابن دريد وهو يسمع كما ذكر في مقدمة شرحه لها [٥٨] ولا شك أنه له علم بالأبيات التي أضافها أبو بكر ابن الأنباري زيادة عليها فاستبعدها ، ويلاحظ على هذه الأبيات الزائدات علامات الوضع والنحل .

خامساً : القول في مطلع المقصورة :

الثابت أن ابن دريد بدأ مقصورته بقوله :

إمـا تري رأســي حاكى لونه
طرة صبــح تحــت أذيال الدجــى

والأبيات العشرة الزائدات أضافها أبو بكر ابن الأنباري تلميذ ابن دريد التي آخرها :

يا ظبيــة أشبه شــيء بالمها
ترعى الخـزامى بين أشجــار النقا

قال السيوطي في بغية الوعاة : ابتدأ ابن دريد مقصورته بقوله :

إما تري رأســي حاكـى لونه
طرة صبــح تحت أذيال الدجى [٥٩]

فاستغنى بذكر الشرط في قوله : إما وتاء الخطاب في قوله تري عن تقدم ذكر المخاطب لدلالة المذكور على المحذوف وقد تكلف ابن الأنباري نظم أبيات جعلها مطلعاً لها فقال :

شرّد عن عيني البكا طيف سرى
من أم عمرو في غياهيب الدجى

إلى آخر الأبيات العشر وهو قوله :

يا ظبيـــة أشبه شـــيء بالمها

....

وهذا البيت قال عنه ابن هشام اللخمي في شرحه على المقصورة : هذا البيت لم يثبت في رواية أبي علي الفارسي ولا في أكثر الروايات وإنما وقع في رواية شاذة هي رواية إسحاق بن مخلد [٦٠] .

وهذا البيت صدرت به المقصورة في أغلب الشروح وهو ليس منها ولكنه استحسن فأبقي عليه في بعض الروايات مطلعاً للمقصورة .

سادساً : موضوع المقصورة (أغراضها الشعرية) :

المفترض في هذه المقصورة أنها قيلت في المدح حيث مدح فيها ابن دريد ابني ميكال اللذين أفضلا عليه واستدعياه إليهما في فارس ليكون في ديوانهما في مرتبة الوزير لهما، ولكن الأبيات التي قالها في مدحهما قليلة جداً مقارنة بنص المقصورة كاملاً، وهو في هذه المقصورة على عادة الشعراء في المطولات بدأ بالغزل ولكنه غزل تقليدي لم يصل إلى أن يكون نسيباً أو تشبيباً، وهو يخاطب امرأة ادعاءً بأن الشيب قد وخطه وأن رأسه أصبح مثل طرة الصبح في البياض واستمر يتحسر على أيام الشباب والصبا وأنه لم تتح له فرصة التمتع بالشباب ووصل النساء في أيام صباه وقد أتت إليه الآن وقد وخطه الشيب تطلب الوصال ، وهو مع ما ظهر في رأسه من الشيب يظهر تجلده وصبره وقدرته على مواجهة الدهر وحدثانه فوجه كلامه إلى الدهر مخاطباً إياه بقوله [٦١] :

مارست من لو هوت الأفلاك
من جوانب الجو عليه ما شكا

قال تلميذه أبو علي القالي : كان إذا دخل عليه الداخل في مرضه ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه فكنت أقول في نفسي : إن الله عز وجل عاقبه بقوله في قصيدته المقصورة :

مارست من لو هـوت الأفلاك

....

وقد استغرق ذلك الأبيات ١ - ٣٠ وهو في مخاطبته الدهر يتأسّى الوقائع والأحداث التاريخية التي صادفت من سبقه ممن هم في منزلته فذكر قصة امرئ القيس وأبي الجبر القيل وابن الأشج والوضاح ويزيد بن المهلب وعمرو ابن ربيعة بن نصير والزباء وسيف بن ذي يزن وعمرو بن هند، وقد استغرق ذلك الأبيات ٣١ - ٤٣، ثم وصف الناقة التي أوصلته إلى الممدوح وهي من الإبل التي توصل المسلمين إلى الأراضي المقدسة ويتحدث عن أعمال الحج في الموسم والأماكن المقدسة التي يزورها الحاج لتأدية المناسك، ثم يمدح العرب أصحاب هذه الإبل بصفاتهم المعروفة التي يتصفون بها من الشجاعة والكرم والنجدة وإباء الضيم ، وينتقل إلى الحديث عن الخيل وأوصافها وسماتها المستحبة وهو أمر اهتم به العرب كثيراً ، ثم يتخلص إلى غرضه الرئيسي وهو المدح فيمدح الأميرين ابني ميكال اللذين أفضلا عليه وأكرماه باستدعائه إليهما في فارس وجعلاه في مقدمة بلاطهما ووصل إلى مرتبة الوزير لهما حيث جعلا الرسائل والكتب تصدر عنه ولا تنفذ إلا بعد توقيعه، وهو لا يجد ما يمدحهما به إلا أنهما أكرماه وأغدقا عليه الأموال وأنقذاه من الفقر والفاقة وما يتبع ذلك من ذل ومهانة، ثم انتقل إلى الحديث عن نفسه مرة أخرى وبيان صفاته وصبره على الشدائد ثم يأتي بالحكمة والمثل وقد استغرق ذلك أبياتاً كثيرة ثم انتقل إلى وصف السفر مع الرفاق ورحلاته إلى الصيد وكرمه مع هؤلاء الرفاق، ثم يصل إلى نهاية المطاف من عمره فيسلم بالقضاء والقدر وأن نهاية كل إنسان الموت حيث يختم المقصورة بقوله :

فإن أمـت فقد تناهت لذتي

وكل شـيء بلـغ الحـد انتهى

وإن أعـش صاحبت دهري عالماً

بما انطوى مـن صرفه وما انتشى

سابعاً : المقصورة والتمثيل النحوي :

المعروف أن ابن دريد من الشعراء الذين لا يستشهد بشعرهم على صحة القضايا اللغوية والنحوية حيث اعتبر العلماء الشاعر إبراهيم بن هرمة (ت ١٣٥هـ) آخر من يستشهد بشعره [٦٢]، فإذا ما أورد علماء اللغة والنحو أبياتاً لشعراء لا يستشهد بشعرهم فإنهم يقصدون بذلك التمثيل والاستئناس على صحة القاعدة اللغوية أو النحوية، وقد كثر التمثيل بشعر أبي تمام والمتنبي وبشار والمعري، أما ابن دريد فقد تمثل بعض العلماء ببعض أبيات مقصورته هذه وأكثر العلماء الذين تمثلوا بشعره الرضي في شرح الكافية وابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب وبعض كتبه الأخرى .

ففي مغني اللبيب أورد ابن هشام الأنصاري بيتين له في المقصورة في الباب الخامس من الكتاب وهو في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها والبيتان هما :

إن امرأ القيس جرى إلى مدى

فاعتاقه حمامه دون المـدى [٦٣]

ينـوي التي فضلها رب العلى

لما دحـا تربتهـا علـى البنـى

ففي الجهة الأولى وهو أن يراعى المعرب ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وفي إيراده لأمثلة متى بني فيها على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيها وهم بهذا السبب ، ففي المثال الثاني عشر قول ابن دريد :

إن امرأ القيس جرى إلى مدى

فاعتاقـه حمامـه دون المدى

فإن المتبادر إلى الذهن تعلق إلى بجرى ولو كان كذلك لكان الجري قد انتهى إلى ذلك المدى وذلك مناقض لقوله :

....

فاعتاقه حمـامـه دون المـدى

وإنما (إلى مدى) متعلق يكون منصوباً على الحال أي طالباً إلى مدى ونظيره قوله يصف الحاج :

ينـــوي التي فضلها رب العلى

لما دحــــا تربتهــــا علــــى البنى

فإن قوله على البنى متعلق بأبعد الفعلين وهو فضّل لا بأقربهما وهو دحا بمعنى بسط لفساد المعنى .

وأورد له بيتاً آخر وهو قوله :

واشتعـــــل المبيض في مسوده

مثل اشتعال النار في جزل الغضا (٦٤)

وقد تمثل به في موضعين، ففي الموضع الأول أتى به تمثيلاً لتعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل أو ما يشبهه قال : وقول ابن دريد :

واشتعل المبيض ....

....

وقد تقدر (في) الأولى متعلقة بالمبيض فيكون تعلق الجارين بالاسم ولكن تعلق الثاني بالاشتـعـال يرجح تعلق الأولى بفعله لأنه أتم لمعنى التشبيه وقد يجوز تعلق (في) الثانية بمحذوف يكون حالاً من النار ويبعده أن الأصل عدم الحذف .

وأورده مـرة أخـرى في البـاب الســادس وهو في التحذير في أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها وأتى بأمثلة في ذلك، وفي المثال الرابع قال : وقولهم في نحو ﴿وكلا منها رغداً﴾ إن رغداً نعت لمصدر محذوف ومثله ﴿واذكر ربك كثيراً﴾ وقول ابن دريد :

واشتعل المبيضّ ....

....

أي أكلاً رغداً وذكراً كثيراً واشتعالاً مثل اشتعال النار .

وأورد له أيضاً قوله :

ثمــت راح فــي الملبـين إلى

حيث تحـج المأزمــان ومنى (٦٥)

فقد رد على المهدوي شارح الدريدية في وهم وقع فيه فقد قال في حيث لما فرجت عن الظرفية بدخول إلى عليها خرجت من الإضافة إلى الجمل وصارت الجملة بعدها صفة لها وتكلف تقدير رابط وهو فيه وليس بشيء لما قدمنا في أسماء الزمان .

وأورد له أيضاً قوله :

فإن عثــرت بعــدها إن وألت

نفسي فقــولا لها لا لعا (٦٦)

حيث تمثل به في تنبيه أورده في اعتراض الشرط على الشرط، فهو قد أورد قبله بيتاً مجهول القائل على سبيل الاستشهاد ثم عطف عليه قول ابن دريد بالواو والبيت المستشهد به هو قول الشاعر :

إن تستغيثوا بنا إن تذعرو تجدوا

منا معاقــل عز زانها كـــرم

وفي رسالته "اعتراض الشرط على الشرط" أورد ما ذكره في المغني (٦٧) .

وهذا البيت أورده الرضي أيضاً في شرح الكافية متمثلاً به فيما عنونه (دخول الشرط على الشرط) (٦٨) .

وأورد ابن هشام في كتابه «شرح بانت سعاد» قول ابن دريد :

ما خلت أن الدهــر يثنيني على

ضراء لا يرضي بها ضب الكدى (٦٩)

وقد تمثل به في جواز سد أن وصلتها مسدّ الاسم والخبر في الأفعال الناسخة القلبية .

وفي شرح «بانت سعاد» أورد له أيضاً قوله :

أرمّـــق العيش على برض فإن

رمت ارتشافاً رمت صعب المنتسى (٧٠)

وتمثل به لمعنى لغوي وهو جواز رواية المنتسى بالسين والشين وهو شبيه بقول كعب بن زهير :

لكنها خلة قد سيط من دمها

فجع وولع وإخلاف وتبديل (٧١)

حيث تروى سيط بالسين والشين .

وأورد له الرضي في شرح الشافية قوله :

والشيــخ إن قومتـه مـــن زيغه

لم يقـم التثقيـف منه ما التوى (٧٢)

وتمثل به لإمكانية عدم حصول مشاركة الفاعل في الزمان للمفعول له .

وأورد الرضي له أيضاً قوله :

واستنزل الزباء قسراً وهـي من
عقاب الجـو أعلى منتمى (٧٣)

وتمثل به في جواز أن تتقدم من التفضيلية على أفعل التفضيل والأصل أنها بعده .

وابن هشام والرضي من خلال إيرادهما لهذه الأبيات من مقصورة ابن دريد نكاد نجزم بأنهما أوردا هذه الأبيات استشهاداً وليس تمثيلاً، ومعروف عن الرضي أنه يجيز الاستشهاد بشعر الطبقة الرابعة من الشعراء وهو المولدون ويقال لهم المحدثون حيث ذكر البغدادي في الخزانة : «وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم واختاره الزمخشري وتبعه الشارح المحقق (يقصد الرضي) فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من شرحه» (٧٤).

ثامناً : نسخ المقصورة المخطوطة والمطبوعة :

اعتبرت المقصورة عملاً علمياً مستقلاً عن ديوان ابن دريد الذي تضمن سائر شعره ، ونسخت المقصورة في نسخ مخطوطة كثيرة وقد يكون ما وصل إلينا قليل من كثير، وهذه النسخ تداولها المالكون حتى استقرت أخيراً في المكتبات وخزانات الكتب، وها هي ذي النسخ المخطوطة للمقصورة حسب إحصاء بروكلمان (٧٥) :

١ – نسختان في المكتبة الأهلية في باريس برقمي ٣٠٨٨-٣٠٨٩ من عمل المستشرق دي سلان .

٢ – نسخة المتحف البريطاني برقم ١٢١١ – ٦ في ملحق فهرسة المخطوطات العربية في المتحف البريطاني – لندن ١٨٩٤م .

٣ – نسخة في بطرسبرج برقم ٧٧ ضمن مجموعة علمية بمعهد اللغات الشرقية ١٨٧٧ – ١٨٩١م .

٤ – نسخة في المتحف الأسيوي في بخارى رقم ٨٥٥.

٥ – نسخة في مكتبة عاطف أفندي برقم ٨٥٣ – ٥ بإستانبول ١٣١٠هـ .

٦ – نسختان في مكتبة بايزيد برقم ٢٥١٢ والأخرى برقم ٧١٧ بإستانبول عام ١٣٠٤هـ .

٧ – نسخة في مكتبة أيا صوفيا برقم ٤١٢٠ .

٨ – نسخة في مكتبة علي باشا برقم ٢١٣٤ بإستانبول عام ١٣١٠هـ .

أما طبعات المقصورة فقد بلغت خمس طبعات وهي من أوائل الكتب التي طبعت مع أمّات الكتب العربية الأخرى وطبعاتها هي :

١ – طبعة بإشراف المستشرق هوتسما الألماني وهي أول طبعة للمقصورة عام ١٧٧٣م وهذه الطبعة مصحوبة بترجمة إلى الألمانية .

٢ – طبعة بإشراف المستشرق شيديوس هاردفيكي عام ١٧٨٦م وهو أحد من عني بطبع المقصورة مع شروح لها بقلمه .

٣ – طبعة يوسى عام ١٨٢٨م .

٤ – طبعة كوبنهاجن .

٥ – طبعة مطبعة الجوائب في مصر عام ١٣٢٠هـ .

تاسعاً : شروح المقصورة :

لم تحظ قصيدة في الشعر العربي بما حظيت به مقصورة ابن دريد من الاهتمام بها وقد تمثل ذلك الاهتمام في الشروح والمعارضات والتخميسات ، وقد بلغ مجموع شروح المقصورة واحداً وخمسين شرحاً حصر المستشرق كارل بروكلمان وأحمد عبدالغفور عطار ما مجموعه ثمانية وأربعون شرحاً (٧٦) واستطعت بحمد الله أن أزيد عليها ثلاثة شروح من المصادر .

وسأقسّم مجموع شروح المقصورة خمسة أقسام على النحو الآتي :

١ – الشروح المحققة المطبوعة .

٢ – الشروح المطبوعة غير المحققة .

٣ – الشروح المخطوطة المعروفة والمجهولة .

٤ – الشروح المفقودة المذكورة في المصادر .

٥ – الشروح الموهومة .

وسأورد هذه الشروح بحسب التسلسل الزمني

لوفيات أصحابها كل في قسمه :

أ - الشروح المحققة المطبوعة :

حظيت ثلاثة شروح من مجموع شروح المقصورة بالتحقيق العلمي هي :

١ - شرح ابن خالويه ت ٣٧٠هـ : وابن خالويه هو أبو عبدالله الحسن بن أحمد بن خالويه الهمذاني ، وشرحه توجد منه نسخ خطية كثيرة بلغت تسع عشرة نسخة موزعة على مكتبات العالم على هذا النحو :

- نسختان في مكتبة برلين برقمي ٧٥٧٤ - ٧٥٧٥ .
- نسختان في مكتبة جامعة ليدن بهولندا برقمي ٦١٨ وينج ٨٦ .
- نسخة في مكتبة باريس الأهلية برقم ٤٢٣١ رقم ٤، وهي مختصرة جداً .
- نسخة في مكتبة بطرسبرج برقم ٢٦٨ .
- نسخة في مكتبة كوبريلي في تركيا برقم ١٣٢٤ رقم ٢ .
- ثلاث نسخ في مكتبة لاللي في تركيا بأرقام ١٨٥٤، ١٨٥٩، ١٨٦٠ .
- نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٣ : ٣١٤ .
- نسختان في المكتبة الظاهرية في دمشق برقمي ٢٧، ٣٢ .
- نسخة في المتحف العراقي .
- نسخة في مكتبة الشريفي في النجف .
- نسخة في مكتبة باش أعيان في البصرة .

وقد ذكر بروكلمان أنه توجد نسخة في مكتبة الإسكندرية برقم ١٤٦ فنون متنوعة، وبعد البحث تبين أن لا وجود لهذه النسخة .

وهذا الشرح من أهم شروح المقصورة فهو أول الشروح أو ثانيها من الناحية الزمنية، وابن خالويه تلميذ لابن دريد وقد قرأ عليه المقصورة وقرأت على ابن دريد وهو حاضر، قال في أول شرح المقصورة : أنشدنا أبو بكر ابن دريد الأزدي غير مرة وقريت عليه وأنا أسمع (٧٧)، ومع أن بعض المصادر تذكر أن شرح ابن هشام اللخمي هو أفضل شروح المقصورة (٧٨)، ومع أن شرح ابن هشام اللخمي وشرح التبريزي قد حظيا بالعناية والنشر مبكراً فإن شرح ابن خالويه يفوق هذين الشرحين في غزارة المادة العلمية والمنهج السديد .

وقد قام محمود جاسم محمد من العراق بتحقيق هذا الشرح في عمل علمي لنيل درجة الماجستير في الوقت نفسه الذي كنت أقوم فيه بتحقيق في عمل علمي لنيل درجة الماجستير أيضاً، وقد اختار محمود جاسم محمد لبحثه عنوان (ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق شرح مقصورة ابن دريد) وقد طبع البحث في مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٩٨٦م الطبعة الأولى .

وبعد أن اطلعت على هذا التحقيق اكتشفت أن بعض الأعمال التراثية يساء إليها من حيث يظن أنه يحسن إليها من خلال تحقيقها، ولقد تتبعت هذا التحقيق فوجدت فيه من الأخطاء ما يفوق الحصر ورأيت أنه يجب أن يثبت ذلك في بحث مستقل وهذا ما أنا عازم عليه بإذن الله .

فهذا التحقيق فيه من الأخطاء العلمية والأخطاء المطبعية الشيء الكثير ، وإذا كثرت الأخطاء كثرة مفرطة كما في هذا التحقيق فإنه لا يمكن تجاهلها ولا يمكن الركون إلى الأخطاء المطبعية لتبرير التقصير، ولقد عثرت على أخطاء فادحة ما كان يجب أن تجوز على محقق ينبغي أن يكون قد أفرغ كل جهده ووقته لهذا التحقيق، وما كان ينبغي أن تجوز مثل هذه الأخطاء على لجنة مناقشة رسالة علمية ، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر أن ابن خالويه في ص٢٩٢ قال : (ومنهم من يقول ميكائل بألف بعدها همزة مثل ميكائل فكذلك قرأها نافع ﴿سأل سائل﴾ فقال إيل على ثلاثة أحرف ووسطه ساكن فوجب أن يصرف فلم لم تقل هذا جبرايل فالجواب ......) ووضع جملة سأل سائل بين قوسين مزهرين على أنها آية قرآنية ووضع فوقها رقماً وكتب في الهامش المعارج ١ معتقداً أن جملة سأل سائل الآية الأولى من سورة المعارج بينما هي جملة يكررها ابن خالويه كثيراً في الشرح ومفادها أنه إن سأل سائل فقال كذا وكذا فالجواب كذا وكذا أو قلنا كذا

وكذا، وهناك سقط لم ينتبه إليه المحقق حيث سقطت كلمة إن قيل جملة سأل سائل والذي جعل المحقق يقع في هذا الخطأ سقوط هذه الكلمة من النسخة التي جعلها أصلاً والكلمة موجودة في نسخ أخرى اطلع عليها، والمعنى على الوضع الذي وضعه المحقق لا يستقيم فقول ابن خالويه فقرأها دليل على أن الضمير يعود إلى قراءة سابقة، وفي قوله قرأها نافع فيه خطأ حيث القارئ ليس نافعاً بل هو يحيى بن يعمر كما في بقية النسخ، وكان ينبغي على المحقق أن يتأكد من القراءة والقارئ بمقارنة النسخ الأخرى حيث كلمة إن التي سبقت قوله سأل سائل موجودة في النسخة التي أشار إليها برمز (ب) وهي إحدى نسختي مكتبة برلين ، وكان ينبغي أن يتأكد من القراءة والقارئ بالرجوع إلى كتب القراءات وكان يمكن أن ينظر إلى سياق الكلام حيث يمكن إصلاح الخطأ . هذا مثال واحد فقط من أمثلة كثيرة .

وقد علق عبدالرحمن العثيمين في مقدمة تحقيقه كتاب (إعراب القراءات) لابن خالويه على عمل محمود جاسم محمد فقال : كان الأجدر به عند إرادة الطبع أن ينشر الكتاب باسمه الحقيقي «شرح مقصورة ابن دريد» وما ذكره في مقدمة التحقيق من دراسة لا ينبغي أن يستولى على عنوان الكتاب ويستحوذ عليه . بحيث يكون عمل ابن خالويه تابعاً لهذه الدراسة، وأضاف: وكأني بالباحث الكريم كان مستعجلاً في نشر الكتاب على أي صورة كانت ولذا وقع في أخطاء وتجاوزات كبيرة لو كان متأنياً لسلم منها ولأعطى مزيد فائدة للباحثين وذكر بعضاً من هذه الأخطاء والتجاوزات [٧٩] .

وأضيف : إن الباحث المحقق لاستعجاله على طبع الكتاب لم يعمل له فهارس علمية وقد أصبحت الأعمال العلمية وخاصة المحققة منها تعتمد على الفهارس في فهمها واستيعابها، وأي عمل يخلو من الفهارس يعد عملاً ناقصاً .

وقد اتخذ المحقق نسخة المتحف العراقي لتكون أصلاً للتحقيق وعلل لسبب اختياره لهذه النسخة ولكني أرى أن غيرها أجدر منها وكان الأفضل أن يجعل نسخة برلين التي رمز لها برمز (ب) أصلاً لأنها أفضل من نسخة المتحف العراقي، كما أنه من الإجحاف بالتحقيق العلمي أن يكتفي باعتماد خمس نسخ من مجموع تسع عشرة نسخة موجودة للشرح .

وأنبه مرة أخرى إلى أني كنت قد سجلت هذا الشرح موضوعاً لرسالة ماجستير في جامعة الفاتح بطرابلس وقد استطعت بحمد الله استجلاب أكبر عدد من النسخ وكانت وسيلتي الوحيدة في ذلك المراسلة حيث قمت بمراسلة كل الدور والمكتبات التي تحتفظ بنسخ هذا الشرح .

وهنا أريد أن أسجل بكل أسف أن الأوربيين أكثر حرصاً منا على تراثنا ومخطوطاتنا وأكثر تعاوناً في سبيل خدمة هذا التراث وتحقيقه ونشره، فقد كانت مكتبات هولندا وألمانيا وفرنسا وأيرلندا أكثر تعاوناً من المكتبات العربية وأفضل أسلوباً في التعامل .

وبعد أن نوقش بحثي، والحمد الله، عثرت على تحقيق محمود جاسم محمد وبعد الاطلاع عليه وجدت فيه من الأخطاء والعيوب ما جعلني لا آسف على أن قمت بهذا العمل وهو تحقيق شرح ابن خالويه مرة أخرى .

٢ - شرح المهلبي ت ٥٧٢هـ : هو مهلب بن الحسين ابن بركات بن علي المهلبي البهنسي المصري، وهذا الشرح توجد منه نسختان خطيتان في :

- مكتبة برلين الملكية برقم ٧٥٤٧ .

- مكتبة المتحف العراقي برقم ١/٣٠١٨٩ في مجموع يضم كتابين .

وهذا الشرح ذكره أبو حيان النحوي في كتابه «تذكرة النحاة» وقال : سمى شرحه «الجواهر المنثورة في شرح المقصورة» [٨٠] وهو مذكور أيضاً في "بغية الوعاة" للسيوطي و "ذيل كشف الظنون" لإسماعيل البغدادي، وقد حقق محمود جاسم الدرويش من العراق هذا الشرح - وقد سبق له تحقيق شرح ابن خالويه للمقصورة - وقد طبع تحقيقه هذا في مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض/ السعودية . الطبعة الأولى ١٩٨٩م، وقد عنون

الكتاب «شرح مقصورة ابن دريد وإعرابها» للمهلبي المتوفى عام ٥٧٢هـ .

والكتاب ليس فيه من الشرح شيء بل هو إعراب مختصر جداً لبعض مفردات المقصورة مع شرح لمعاني بعض المفردات ألفه المهلبي بناء على طلب طالب حيث قال في المقدمة : سألني سائل وفقه الله وسدده أن أعرب له مقصورة ابن دريد إعراباً يسهل على المبتدئ .... إلخ[٨١]، فهذا الشرح ليس فيه إلا ستة شواهد من القرآن الكريم وليس فيه من شواهد الحديث شيء واقتصر على شاهد شعري واحد ومثلين من الأمثال السائرة وليس فيه من الأعلام والعلماء إلا من ذكرهم ابن دريد في نص المقصورة أو أسماء العلماء الذين رووا المقصورة وليس للمهلبي شيء في هذا الشرح مع أن المحقق يقول : إن المهلب ركب مركباً صعباً فليس له إلا أنه أشار إلى بعض الوجوه الإعرابية المختلفة في سبعة أبيات أو إبداعه لبعض الآراء في الخلافات كما في البيت ٦٩، فما دام هذا العمل الذي قام به المهلبي حول المقصورة يغلب عليه الطابع الإعرابي كان ينبغي أن يسميه «إعراب المقصورة» ولا يقحم فيه كلمة شرح .

والتحقيق يبدو أنه ليس عملاً علمياً لنيل درجة علمية فهو لم تتوفر فيه شروط التحقيق العلمي لأن المحقق لم يهتم به كثيراً فهو من التحقيقات التي ليس الهدف منها إلا إثبات نص صحيح للشرح مع مقارنة بين نسخة المحقق مع الشروح التي توفرت لديه مخطوطة ومطبوعة ، فهو قد اعتمد على نسخة خطية واحدة ولم يستجلب النسخة الأخرى الموجودة في برلين وكان بإمكانه ذلك - وقد سبق له ذلك - فالمشرفون على مكتبة برلين متعاونون إلى أقصى حد في تزويد الراغبين في المخطوطات العربية لديهم .

والمحقق عمل فهرساً للغة وأثبت نص المقصورة بعد الشرح وكان الأولى والأفضل أن يثبته قبل الشرح لأن نص المقصورة ينبغي أن يطالع القارئ قبل الشرح .

أما أبيات المقصورة في هذا الشرح فهي ٢٣٤ بيتاً مصدرة بالبيت الذي لم يصح وجوده في المقصورة .

٣ - شرح ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧هـ : واللخمي هو محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، وشرحه وصف بأنه أفضل شروح المقصورة وهذا الشرح توجد منه نسخ خطية كثيرة تحتفظ بها مكتبات العالم، وهذا مسرد بأماكن وجودها حسب إحصاء بروكلمان :

- نسخة في مكتبة جامعة ليدن رقم ٦٢٠ .
- نسخة في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٦٢٢ رقم ٢.
- نسخة في مكتبة بودليانا ١٢٥٧ رقم ٣ .
- نسخة في ميونخ ٥٦٤ .
- نسخة في مكتبة الأسكوريال ٤٧٦ .
- نسخة في مكتبة الجزائر بدون ترقيم .
- نسخة في مكتبة الإسكندرية ١٤٠ أدب .
- نسخة في مكتبة فيينا ١٤٦ .
- نسخة في مكتبة كمبردج ١٨٩ .
- نسخة في مكتبة المتحف البريطاني ١٥٣٦ .
- نسخة في مكتبة عاشر أفندي ٨٥٢ ب .
- نسخة في مكتبة أيا صوفيا ٤١٢ .
- نسخة في المكتبة لالي ١٩٥٩ - ١٩٦٠م .
- نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق أدب ٢٦ ز ٨٦ .
- نسخة في دار الكتب المصرية ٣ : ٢٥٧ .
- نسخة في الخزانة العامة بالرباط ٧ : ٣ .
- نسخة في حوزة أحمد عبدالغفور عطار [٨٢] .
- ثلاث نسخ في مكتبة المدينة المنورة .
- مختصر للشرح مجهول المؤلف في مكتبة برلين ٧٤١٨ .

وقد قام أحمد عبدالغفور عطار من السعودية بتحقيق هذا الشرح عام ١٩٥٦م ولكنه لم يطبع إلا في عام ١٩٨٠م وقد اعتمد المحقق على أربع نسخ موجودة في حوزته وفي مكتبة المدينة المنورة واكتفى بهذا العدد القليل من مجموع نسخ الشرح المتوفرة، وهو يقول في مقدمة تحقيقه : وسلكنا فيه المنهج العلمي في تحقيق النصوص بعد توثيقها وبذلنا الجهد في ذلك حتى يطمئن القارئ المنصف الفاهم أن ما بين يديه نص صحيح لا غبار عليه [٨٣] .

وكان ينبغي على الأستاذ المحقق أن يطلع على كل النسخ أو أكثرها، فكيف يجوز الاعتماد على أربع نسخ من مجموع إحدى وعشرين نسخة ؟ فمن الإجحاف بالتحقيق العلمي أن يقتصر على اعتماد أربع نسخ وترك سبع عشرة نسخة .

وقد ألحق المحقق الشرح بفهارس علمية دقيقة غير أن ما يؤخذ على المحقق أنه في فهرس المصادر والمراجع أثبتها في أول الكتاب حيث أثبت الكتب الواردة في المقدمة وميز منها المصادر والمراجع بعلامة مميزة وهذه طريقة جديدة غير معهودة عند المحققين، فالمتعارف عليه هو وضع الكتب الواردة في المقدمة أو في المتن في فهرس خاص بها ثم يوضع سرد بالمصادر والمراجع في آخر الكتاب، وهو لم يذكر طبعات هذه الكتب ولا ذكر أسماء المؤلفين والمحققين وهذا يوقع القارئ في خلط ولا يساعد على القراءة السليمة .

والمحقق فاته ضبط بعض الكلمات التي تستحق الضبط وقد ضبط بعض الكلمات خطأ فعلى سبيل المثال في قول ابن دريد :

مارست من لو هوت الأفلاك

من جوانب الجو عليه ما شكا

وضع ضمة على الضمير المتصل بالفعل (مارستُ) والصواب ضبط هذا التاء بالفتح لأن الشاعر في هذا البيت يخاطب الدهر ولا يتكلم عن نفسه بدليل قوله قبل هذا البيت:

لا تحسبن يا دهر أني ضارع

لنكبة تعرقني عرق المدى

كما يؤخذ على المحقق أنه في مقدمة التحقيق وفي حديثه عن المقصورة كتب بعض سور القرآن على هيئة كتابة الشعر وهذا لا يجوز في حق القرآن الكريم .

ب - الشروح المطبوعة غير المحققة :

قدر لبعض شروح المقصورة أن تمتد إليها أيادي أصحاب المطابع وأخرجوها في طبعات تجارية غير محققة مما قلل من فائدتها وأنقص من قيمتها العلمية ولعل أن يعاد النظر فيها وتطالها أيادي المحققين ويخدمونها الخدمة اللائقة بها وإخراجها في طبعات جيدة مفيدة .

وها هي ذي طبعات هذه الشروح :

١ - شرح التبريزي ت ٥٠٢هـ : هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي أبو زكرياء، وهذا الشرح توجد منه نسختان خطيتان :

- نسخة في أيا صوفيا ٤٨٩٥ .
- نسخة في المكتبة الظاهرية المرقمة بدمشق عمومية ٥٥٩ رقم ٥ .

وقد نشر هذا الشرح في طبعة تجارية عن دار نشر الكتب الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٦١م بدمشق وقد اطلعت على هذه الطبعة وهي ليست محققة مع وجود بعض التعليقات من الناشر .

وعلمت أن فخر الدين قباوة قام بتحقيق هذا الشرح وطبع في حلب سنة ١٩٧٨م ولم أستطع الاطلاع على هذا التحقيق ، وفخر الدين قباوة له باعه وخبرته في تحقيق التراث العربي ويشهد له بذلك تحقيقه لكتابي «تهذيب إصلاح المنطق» للتبريزي و «الممتع في التصريف» لابن عصفور الإشبيلي وغيرهما [٨٤] .

٢ - شرح الزمخشري ت ٥٣٨هـ : هو محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، وهذا الشرح ذكر بروكلمان أنه طبع ملحقاً بشرحه على "لامية العرب" للشنفرى في القاهرة عام ١٣٢٤هـ [٨٥] .

٣ - شرح الصاوي : هو عبدالله بن إسماعيل الصاوي وهو مصري معاصر وشرحه مطبوع بمطبعة الصاوي عام ١٣٧٠هـ بمصر [٨٦] .

٤ - شرح حمزة فتح الله ت ١٣٣٦هـ : هو حمزة بن فتح الله بن السيد حسين التونسي، وقد ذكر أحمد عبدالغفور عطار أن هذا الشرح مطبوع في القاهرة ولم يزد على ذلك .

٥ - شرح لعلامة لغوي جليل : هذا الشرح مطبوع ولم يذكر الناشر اسم الشارح ووصفه بأنه علامة لغوي جليل وقد أكمله عيد الوصيف محمد

من علماء الأزهر [87] .

٦ - شرح عبد الوصيف محمد : هو عالم من علماء الأزهر أتم الشرح السابق وزاد عليه زيادات وطبع هذا الشرح في شركة مصطفى البابي الحلبي ومطبعته بمصر عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م الطبعة الأولى .

٧ - شرح مطبوع بمطبعة الجوائب : وهو شرح جيد كما يصفه أحمد عبدالغفور عطار مطبوع عام ١٣٠٠هـ بمطبعة الجوائب وهو مجهول المؤلف [88] .

جـ - الشروح المخطوطة المعروفة والمجهولة :

هناك الكثير من شروح المقصورة الموجودة في أرفف مكتبات العالم تنتظر اليد التي تنفض عنها الغبار وتحيي مواتها، وهذه النسخ موزعة على مكتبات العالم، وهذا مسرد بأماكن وجودها حسب إحصاء بروكلمان وأحمد عطار [89] :

١ - شرح ربيعة بن محمد المعمري ت ٤٠٠هـ : هذا الشرح توجد منه نسخة خطية واحدة موجودة في مكتبة برلين الملكية برقم ٧٥٤٦، وقد ذكر عبدالرحمن العثيمين أنه تحصل على نسخة مصورة منها، وهو اختصار لشرح أستاذه ابن خالويه وكتب في مقدمتها : قال ربيعة بن محمد المعمري : قرأت نسخة هذه المقصورة على الشيخ أبي عبدالله الحسين بن خالويه [90] .

وقد اختلط الأمر على بروكلمان فأثبت أن أحد شراح المقصورة ربيعة بن محمد المعمري ومنها نسخة في برلين برقم ٧٥٤٦ ثم أضاف : ولكن السيوطي يسميه عفيف الدين الربيع بن محمد الكوفي توفي عام ٦٨٢هـ وأحال على بغية الوعاة ٢٤٧، والصحيح أن عفيف الدين الكوفي الذي ذكره السيوطي في البغية ليس هو ربيعة بن محمد المعمري، وكلاهما عالم وكلاهما شرح المقصورة .

٢ - شرح الجواليقي ت ٥٤٠هـ : هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسين بن منصور الجواليقي وتوجد من شرحه نسخة خطية واحدة في مكتبة كوبريلي ١٣٢٤ رقم ١ .

٣ - شرح الحضرمي الإشبيلي ت ٥٥٠هـ : هو أبو مروان عبيد الله بن عمرو بن هشام الحضرمي الإشبيلي، وتوجد من شرحه نسخة خطية واحدة في مكتبة برلين الملكية ٧٥٤٨ .

٤ - شرح أحمد بن يوسف بن أحمد ت ٦٣٠هـ : هذا الشرح توجد منه نسخة خطية واحدة في دار الكتب المصرية برقم ٤٦٢٥ طلعت، وكتب على ظهر الورقة الأولى أنه المؤلف وتمت كتابتها عام ٩٩٨هـ نقلاً عن نسخة مكتوبة عام ٦٣٠هـ [91] .

٥ - شرح القراضة الركنية : هذا الشرح لشارح غير مسمى ألفه لركن الدولة عبدالعزيز المتوفى عام ٦٦١هـ وقد سمي هذا الشرح نسبة إلى من ألف له وهو ركن الدولة، واشتهر بهذا الاسم، وهو عند أحمد عبدالغفور عطار العراضة (بالعين) ، ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة في أيا صوفيا ٤٠٧٢ رقم ٣ عن رتز .

٦ - شرح عفيف الدين الكوفي ت ٦٨٢هـ : هو عفيف الدين الربيع بن محمد الكوفي قال عنه السيوطي في بغية الوعاة : له شرح على مقصورة ابن دريد رأيته بخطه، وقد اختلط الأمر على بروكلمان فاعتقد أنه هو ربيعة بن محمد المعمري، وهذا الشرح توجد منه نسخة واحدة في مكتبة برنستون - جاريت ٢٠ .

٧ - شرح نعيم بن مسعود ت ٧٠٠هـ : هذا الشرح توجد منه نسخة في مكتبة برلين الملكية ٧٥٤٩ .

٨ - شرح ابن جماعة : هو عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم عز الدين بن جماعة، وهذا الشرح توجد منه نسخة خطية واحدة في مكتبة باريس الأهلية ٣٠٩٠، وقد ترجم له السيوطي في بغية الوعاة ترجمة مطولة وسرد كتبه دون أن يذكر من بينها شرح المقصورة .

٩ - شرح الطبري ت ١٠٣٣هـ : هو عبدالقادر بن محمد ابن يحيى بن مكرم المكي الطبري وهذا الشرح يوجد منه ثلاث نسخ في :

- مكتبة مانشستر ٤٤٦ .
- بريل ثاني ١٦ .
- القاهرة ثاني ٣ : ٢، ٢١٥ (دار الكتب المصرية) .

واسم هذا الشرح الرايات المقصورة على الأبيات المقصورة كما في الأعلام .

١٠- شرح الأحسائي ت ١٠٤٤هـ : هو محمد بن خليل القاضي الأحسائي ، ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة في مكتبة عاشر أفندي ٨٥٢ أ .

واسم هذا الشرح الوسيلة الأحمدية في شرح المقصورة الدريدية .

١١- شرح قدري أفندي ت ١٠٦٥هـ : هو قدري بن محمد أفندي ، ويوجد من شرحه نسخة في عاشر أفندي.

١٢- شرح الأقسراني : هو عيسى بن إسماعيل بن خراساني الحنفي الأقسراني، ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة في دار الكتب المصرية برقم ٤٩٧ تيمور مكتوبة عام ١٢٧١هـ .

١٣- شرح الانتشائي ت ١٢٨٣هـ : هو سيدي بن المختار ابن الهيب الانتشائي، ويوجد من شرحه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٩٢ شعر وهي عند بروكلمان مرقمة : القاهرة ثاني ٣ : ٢٢٥ وقد اقتصر فيه الشارح على حل المفردات .

١٤- شرح أبي مروان النحوي : ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة في دار الكتب المصرية برقم ١١٩٣ ش تيمور

١٥- شرح الحسني : هو أبو القاسم الحسني ، ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية وهو شرح موجز .

١٦- شرح الززي : هو محمد بن سليمان الكماري الززي، ويوجد من هذا الشرح نسخة خطية واحدة في المكتبة الظاهرية حسب رمز بروكلمان عمومية ٥٤٠٠ .

١٧- شرح المكي : هو عبدالقادر المكي ولا يعرف عنه شيء أكثر من ذلك، ويوجد من هذا الشرح نسخة في أصفية ٢ : ١٢٤٠ رقم ٥٤ وقد سمي شرحه «الرايات المنشورة على شرح المقصورة» .

١٨- شرح ابن إمام الفاضلية : هذا الشرح لم تذكره كتب التراجم والطبقات ولم أستطع معرفة شيء عن هذا الشارح، ويوجد من هذا الشرح نسختان ذكر عبدالرحمن العثيمين أنه اطلع عليهما واسم هذا الشرح «اللآلي المنثورة في شرح المقصورة» وهو أكبر شروح المقصورة التي اطلعت عليها وهو في مجلدين كبيرين وقال هذا الشارح في مقدمة شرحه بعد أن ذكر جملة من العلماء الذين أفاد منهم ونقل عنهم : وابن خالويه وناهيك به في هذا الشأن [٩٢] .

وهناك مجموعة من الشروح المخطوطة التي تحتفظ بها بعض المكتبات العالمية وهي مجهولة المؤلفين وهي:

١٩- شرح مجهول المؤلف ذكره بروكلمان وذكر أنه توجد منه نسخ موجودة في :
- نسخة في المتحف البريطاني برقم ١٠٣٥ .
- نسخة في القاهرة ثاني ٣ : ٢٧٥ (دار الكتب المصرية).
- نسخة في مكتبة عاشر أفندي ٨٥٣ .
- نسختان في مكتبة برلين الملكية برقمي ٧٥٥٠، ٧٥٥٣ .
- نسخة في مكتبة جامعة ليدن ٦٢١ .
- نسخة في ميونخ أول ٥٦٥ .

٢٠- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في مكتبة الأوقاف ٣ : ٣٢٧ ببغداد .

٢١- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في المتحف العراقي ١٩٧٨ ببغداد .

٢٢- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في المتحف العراقي ٣٢٢ ببغداد .

٢٣- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في المتحف العراقي ١٢٧٣ ببغداد .

٢٤- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في المتحف

العراقي ٥٥٧ ببغداد .

٢٥- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ٥٠٨ .

٢٦- شرح مجهول المؤلف توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ٢٤ ش .

٢٧- شرح مجهول المؤلف اسمه الأمنية على الدريدية توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ١٣٤ أدب ش.

٢٨- شرح مجهول المؤلف ذكره أحمد عبدالغفور عطار دون أن يذكر مكان وجوده [٩٣] .

د - الشروح المفقودة المذكورة في المصادر :

قدر لبعض شروح المقصورة أن تختفي وتضيع نتيجة للنكبات التي مر بها العالم الإسلامي ونتيجة للإهمال وعدم معرفة قيمة هذا التراث الخالد وقد تناقلتها كتب التراث واحتفظت لنا بأسماء مؤلفيها وهذه الشروح :

١ - شرح السيرافي ت ٣٦٨هـ : هو الحسن بن عبدالله السيرافي النحوي وهو أحد تلاميذ ابن دريد وقد يكون شرحه هذا أول الشروح، وهذا الشرح مذكور في :

- تاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ .
- نزهة الألباء ٣٧٩ .
- إنباه الرواة ١ : ٣١٣ .
- وفيات الأعيان ٢ : ٧٨ .
- لسان الميزان ٢ : ٢١٨ .
- بغية الوعاة ١ : ٥٠٨ .

وأشار بروكلمان إلى أنه توجد نسخة من شرح ابن خالويه ممزوجاً مع شرح أبي سعيد السيرافي في مكتبة ليدن أول ٦١٩ .

٢ - شرح ابن جني ت ٣٩٢هـ : هو عثمان بن جني العالم المعروف تلميذ أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وهذا الشرح لم تذكره كتب التراجم والطبقات التي اطلعت عليها لابن جني ولكني وجدت أحمد عبدالغفور عطار حصر عدد شروح المقصورة في خمسة وثلاثين شرحاً ثم قال : هذه الشروح الخمسة والثلاثون ذكرناها في هذا البحث سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٥٦م ثم انتهى إلى علمي شروح أخرى بعد ذلك التاريخ وجدت ذكرها في المقدمة التي كتبها هلال ناجي وسامي مكي العاني لمختصر شرح القلادة السمطية وها نحن أولاء ننقلها [٩٤] ثم ذكر عشرة شروح أولها شرح ابن جني .

٣ - شرح القزاز القيرواني ت ٤١٢هـ : هو محمد بن جعفر القيرواني التميمي المعروف بالقزاز، وقد وقع الاختلاف في عمل القزاز حول المقصورة في أنه شرح أو إعراب فقد ذكرت بعض المصادر أنه شرح وبعضها الآخر ذكرت أنه إعراب، فقد ذكرته المصادر الآتية على أنه شرح:

- إنباه الرواة ٣ : ٨٦ .
- وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٤ .
- كشف الظنون ١٨٠٨ .

والمصادر التي ذكرت أنه إعراب هي :

- معجم الأدباء ١٨ : ١٠٩ وقال إنه في مجلد .
- الوافي بالوفيات ٢ : ٣٠٥ .
- بغية الوعاة ١ : ٧١ .

ويرجح أحمد عبدالغفور عطار أن القزاز أعرب المقصورة ويرى أن صاحب كشف الظنون وهم في أنه شرح [٩٥] وليس للعطار ما يؤيد ترجيحه، والذي يبدو أنه شرح غلب عليه الطابع الإعرابي فوقع الخلاف .

٤ - شرح المهدوي ت ٤٤٠هـ : هو أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي الأندلسي، وقد انفرد ابن هشام الأنصاري بذكر هذا الشرح في كتابه المغني، قال : وزعم المهدوي شارح الدريدية وليس المهدوي المفسر .... إلخ [٩٦] وقال الشيخ الأمير في حاشيته على المغني : نسبة إلى المهدية على قياس بلدة بالمغرب [٩٧] . علق محققا

المغني في الطبعة البيروتية الثالثة في الهامش : لعله أبو عبدالله محمد جعفر القيرواني القزاز توفي عام ٤١٢هـ له شرح على المقصورة وقول ابن هشام المهدوي نسبة إلى المهدية وهي من أعمال القيروان [٩٨] ولكن المصادر التي ترجمت له لم تلقبه بالمهدوي ولم تذكر أن أصله منها أو عاش فيها، وأعتقد أن المقصود بالمهدوي عند ابن هشام هو المهدوي النحوي أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي التميمي الأندلسي توفي عام ٤٤٠هـ وقد وصفته المصادر بأنه مقرئ ومفسر ونحوي ولكن لم تذكر أن له شرحاً على المقصورة وله كتاب الهداية المشهور في القراءات وشرحه، وأعتقد أن المقصود بالمهدوي المفسر الذي ذكره ابن هشام هو محمد ابن إبراهيم المهدوي أبو عبدالله وينسب إليه أيضاً كتاب اسمه الهداية ترجم له صاحب الأعلام ٥ : ٢٩٦ عن جنوة الاقتباس ، وقد اعتبر محققا المغني المهدوي المفسر هو أحمد بن عمار أبو العباس المتوفى عام ٤٤٠هـ[٩٩] .

٥ – شرح التدميري ت ٥٥٥هـ : هو أحمد بن عبدالجليل ابن عبدالله أبو العباس له شرح على المقصورة مذكور في :

– إنباه الرواة ١ : ١٨٩ .

٦ – شرح ابن الأنباري ت ٥٧٧هـ : هو عبدالرحمن بن محمد كمال الدين أبو البركات الأنباري وهو صاحب التصانيف الرائعة في العربية له شرح على المقصورة مذكور في :

– فوات الوفيات ٢ : ٢٩٤ .

– بغية الوعاة ٢ : ٨٧ .

– حاشية على شرح بانت سعاد ١ : ٥٥١ .

– روضات الجنات ١ : ٤١٠ .

٧ – شرح الصنهاجي ت ٦٢٨هـ : هو محمد بن علي بن حماد بن عبدالله من أهل قلعة حماد له شرح المقصورة مذكور في :

– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ١٨٥ .

٨ – شرح الخرفي ت ٦٦٤هـ : هو أبو العباس تقي الدين مبارك النصيبي الخرفي له شرح على المقصورة مذكور في :

– غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٩٩ .

– بغية الوعاة ١ : ٣٥٥، ٣٩٠ .

– كشف الظنون ٢ : ١٨٠٨ .

٩ – شرح ابن الصائغ ت ٧٤٥هـ : هو محمد بن الحسن ابن سباع بن أبي بكر المصري له شرح على المقصورة مذكور في :

– فوات الوفيات ٣ : ٣٢٦، قال شرح الدريدية في مجلدين كبيرين .

– الوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠، قال : وشرحها شمس الدين الضايع (بالضاد والياء والعين المهملة) في ثلاثة أسفار وهي عندي :

– الدرر الكامنة ٣ : ٤١٩ .

– النجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٨ .

– بغية الوعاة ١ : ٨٤ .

– كشف الظنون ٢ : ١٨٠٨ .

١٠– شرح الفيومي ت ١٠٢٢هـ : هو عبدالقادر بن محمد ابن أحمد زين الدين الفيومي له شرح على المقصورة مذكور في :

– ذيل كشف الظنون ٤ : ٥٤٧ .

١١– شرح البغدادي ت ١٠٩٣هـ : هو عبدالقادر بن عمر البغدادي صاحب خزانة الأدب، له شرح على المقصورة وهذا الشرح لم تذكره المصادر وقد ذكره هو نفسه في الخزانة فقال : وكنت قديماً شرحتها (يعني المقصورة) شرحاً موجزاً في إيضاح واف وتبيين شاف في أيام الشبيبة نفع الله به [١٠٠] ، وفي حاشيته على شرح بانت سعاد قال : وكنت قديماً شرحتها شرحاً موجزاً[١٠١] .

١٢- شـرح ابن مسك السخاوي ت ١١٢٣هـ : هو عبدالرحمن بن أحمد بن مسك الشافعي السخاوي له شرح على المقصورة مذكور في :

- كشف الظنون ٢ : ١٨٠٨ .
- هدية العارفين ١ : ٥٥٢ .

وذكر صاحب الأعلام أن شرحه سماه «اللمعة المسكية في شرح الدريدية» [١٠٢] .

١٣- شرح العمري : هذا العالم لم أستطع التعرف عليه وقد ذكر هذا الشرح ابن النديم في الفهرست فقال: العمري قاضي تكريت له من الكتب تفسير السبع الجاهليات بغريبها وكتاب تفسير مقصورة ابن دريد [١٠٣]، وهذا العالم لعله إبراهيم بن محمد العمري النحوي كما في إنباه الرواة [١٠٤] قال : أظنه شامياً روى عنه خيثمة بن سليمان بن حيدرة الإطرابلسي ولعله ربيعة بن محمد العمري الذي سبق ذكره ولكن حصل تصحيف في اسمه من نساخ الفهرست .

وأريد أن أنبه إلى أني استطعت أن أزيد ثلاثة شروح على ما أثبته بروكلمان وأحمد عبدالغفور عطار، وهذه الشروح هي :

١ - شرح التدميري .
٢ - شرح المهدوي .
٣ - شرح العمري .

هـ - الشروح الموهومة :

١ - شرح البستي : وقع العطار في وهم ونسب شرحاً للمقصورة إلى غير صاحبه فقد سرد شروح المقصورة وأثبت شرحاً تحت رقم ٢٣ لمحمد بن أحمد البستي [١٠٥] وقال : يوجد من شرحه نسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة رقم ٦٣١ ونسخت سنة ١١٦٠هـ .

والذي يبدو أن هذا الشرح نسخة أخرى من نسخ شرح ابن هشام اللخمي السبتي والذي جعله يقع في هذا الوهم أن الناسخ كتب اسم الشارح محمد بن أحمد السبتي وهو لقب آخر لابن هشام اللخمي نسبة إلى بلده سبتة وقد تكون الكلمة كتبها الناسخ خطأ البستي (بالباء قبل السين) أو لعل العطار أخطأ في قراءتها فاسم الشارح المكتوب على النسخة هو محمد بن أحمد السبتي وهو اسم ابن هشام نفسه ، وهي موضوعة في رقم مسلسل مع بقية نسخ شرح ابن هشام الأخرى فنسخ شرح ابن هشام الموجودة في مكتبة شيخ الإسلام بأرقام ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠ فالنسخة رقم ٦٣١ ليست إلا نسخة رابعة من شرح ابن هشام اللخمي وليس لشارح آخر اسمه البستي كما توهم العطار ولم تذكر المصادر شرحاً لشارح اسمه محمد بن أحمد البستي .

٢ - شرح ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ : وقع وهم في نسبة أحد شروح المقصورة إلى غير صاحبه وقد تسبب في هذا الوهم اشتراك العالمين في أن كل منهما اسمه ابن هشام فقد نسب شرح ابن هشام اللخمي إلى ابن هشام الأنصاري، وقد وقع في هذا الوهم ابن المبرد في كتابه «الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد» [١٠٦] عند ترجمته لابن هشام الأنصاري عند حديثه عن مؤلفاته وسمى شرحه : «الفوائد المحصورة في شرح المقصورة» وهو الاسم نفسه الذي يعرف به شرح ابن هشام اللخمي ، وقد وقع في الوهم نفسه رمضان ششن وقال : توجد منه نسخة في مكتبات تركيا ووهمه في ذلك حاتم الضامن [١٠٧] وأحمد هريدي [١٠٨] .

أعمال أخرى حول المقصورة :

لقد اخترت لهذا البحث أن يكون عنوانه «المقصورة وشروحها» لأن الشروح هي أهم الأعمال التي أنشأت حول المقصورة وأرى أنه استكمالاً للبحث أن أتحدث عن الأعمال الأخرى حولها من معارضات وتخميسات وترجمات .

عاشراً : المعارضات :

كما حظيت المقصورة بمن شرحها فإنها أيضاً حظيت بمن عارضها وسار على منوالها، وقد اعتبرت

كل المقصورات التي قيلت بعدها معارضة لها، وهذا مسرد بالمقصورات التي عارض بها أصحابها مقصورة ابن دريد مع الاكتفاء باسم المعارض والبيت الأول من كل مقصورة:

١ - مقصورة أبي القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم الأنطاكي وأولها [١٠٩] :

لولا انتهائي لم أطع نهي النهى

أي مدى يطلب من جاز المدى

٢ - مقصورة ابن ورقاء جعفر بن محمد الشيباني وأولها [١١٠] :

ما شئت قل هي المها هي القنا

جواهر بكّين أعطاف الدمى

٣ - مقصورة تميم بن المعز بن المنصور المهدي عبيدالله الفاطمي وأولها [١١١]:

أعذلاً وما عذلتني النها

ولا طرد الحلم عني الصبا

٤ - مقصورة محمد بن عبدالواحد الملقب بصريع الدلاء وقتيل الغواشي ومنها [١١٢] :

من فاته العلم وأخطاه الغنى

فذاك والكلب على حال سوا

٥ - مقصورة أبي الحكم عبيدالله بن المظفر بن محمد الباهلي الحكيم المغربي وأولها [١١٣] :

أبا الحسين استمع مقال فتى

عوجل فيما يقول فارتجلا

٦ - مقصورة أحمد بن حمرطاش بن أبي بكر الحميري ثم الشراحي وأولها [١١٤] :

تؤوب القلب تباريح الجوى

وعاده عائد مشوق قد ثوى

٧ - مقصورة أبي صفوان الجهم بن خليفة الأسدي وأولها [١١٥] :

نأت دار ليلى فشط المزار

فعيناك ما تطعمان الكرى

٨ - مقصورة موفق الدين عمر بن عبدالله بن نصر الحكيم الأنصاري وأولها [١١٦] :

من لي بأسمر في سواد جفونه

بيض وحمر للمنايا تنتضى

٩ - مقصورة أبي حازم القرطاجني محمد بن حازم الأنصاري وأولها [١١٧] :

لله ما قد هجت يا يوم النوى

على فؤادي من تباريح الجوى

١٠- مقصورة سعدالله بن حيدرة بن الحسن الحسيني وأولها [١١٨] :

أقسمت من وجه حبيبي بالضحى

إن فؤادي على هواه ما صحا

١١- مقصورة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري وأولها [١١٩] :

أيا شقيق الروض حيا الحيا

فاحمر ورد خده من الحيا

١٢- مقصورة محمد رشيد رضا المعاصر منها [١٢٠] :

وأدرك من هذا الزمان كنهه

والدهر لم يدركه هناك الفتى

وأضاف أحمد عبدالغفور عطار معارضين آخرين لمقصورة ابن دريد دون أن يورد شيئاً من هذه المعارضات وهم [١٢١] :

١٣- أبو الحكم رضي الدين عبدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي الطبيب .

١٤- الغوث أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني .

١٥- أبو زكريا يحيى بن مكي بن عبدالرزاق بن يحيى المقدسي .

١٦- محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بابن جابر الأندلسي .

١٧- أبو زيد عبدالرحمن بن علي بن صالح المالكي المكودي النحوي .

١٨- شمس الدين محمد الفارضي من علماء القرن العشرين الميلادي .

١٩- محمد بن ياسين المتوفى المصري .

٢٠- محمد بن آل الشيخ يعقوب التبريزي النجفي .

٢١- سالم الرواحي العماني .

٢٢- حسين شفيق المصري .

حادي عشر : التخميسات :

من أثر المقصورة على الأدباء والشعراء الذين أتوا بعد ابن دريد أن قام بعضهم بتخميسها ، والتخميس أن يأتي الشاعر ببيت من المقصورة - لأن مقصورة ابن دريد على الرجز المقصّد وليست على الرجز المشطور - ويجعل شطري البيت من المقصورة أخر خمسة أشطار بعد أن يأتي المخمس بثلاثة أشطار من عنده .

وقد قام بتخميس المقصورة مجموعة من الأدباء حصرهم كل من بروكلمان في تاريخ الأدب العربي وأحمد عبدالغفور عطار في مقدمة تحقيقه لكتاب «شرح مقصورة ابن دريد» لابن هشام اللخمي، وهذه أولاً المجموعة الأولى عند بروكلمان [١٢٢] :

١ - تخميس سعد الدين الإربلي وتوجد منه نسخة في ليدن برقم ٦٢٣ .

٢ - تخميس عبدالله بن عمر الأنصاري المعروف بالوزن توجد منه :

نسختان في مكتبة برلين برقمي ٧٥٥٤ - ٧٥٥٥ .

٣ - تخميس شرف الدين الحسن بن الحسين بن علي توجد منه نسختان في مكتبة برلين برقم ٧٥٥٦ ومكتبة الفاتيكان ١١٢٠ أ .

٤ - تخميس المطهر فخر الدين توجد منه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٥٥٧ .

٥ - تخميس الحسيني توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية ٣ : ٥٤ .

٦ - تخميس محمد بن سعد الجوادي توجد منه نسخة في مكتبة الموصل ٤٢، ١٩ .

٧ - تخميس مجهول توجد منه نسخة في المتحف البريطاني ١٠٨٧ رقم ١ .

٨ - تخميس الملا جرجيس توجد منه نسخة في مكتبة الإسكندرية ٢٣ أدب .

وقد أضاف أحمد عبدالغفور عطار تخميسات أخرى هي [١٢٣] :

٩ - تخميس مجهول توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق بدون ترقيم .

١٠- تخميس ابن شريف بن محمد بن يوسف العاملي .

١١- تخميس محمد رضا النحوي .

١٢- تخميس علي بن محمد بن سليمان بن أحمد الخلفي.

١٣- تخميس سعدالله بن حيدرة الحسيني .

١٤- توشيح الإمام الصغاني أبي الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد العدوي .

١٥- تسميط للمقصورة من نظم مجد الدين أسعد بن أحمد بن إبراهيم الإربلي عنوانه «الفوائد المحصورة» توجد منه نسختان :

- نسخة في المتحف البريطاني ١٩١٩ رقم ٢ .

- نسخة في الفاتيكان ثالث ١١٤٣ رقم ٧ .

ثاني عشر : الترجمات :

المقصورة من الآثار العلمية العربية التي اعتنى بها المستشرقون مبكراً وقد قاموا بترجمتها وطباعتها قبل مائتي سنة وممن قام بترجمتها إلى لغات أخرى [١٢٤] :

١ - هوتسما A . Heitsma وقد قام بترجمتها إلى الألمانية وطبعها عام ١٧٧٣م وهي أول طبعة للمقصورة.

٢ - شيديوس هاردفيكي S . Hardwicae وقد ترجمها إلى اللاتينية وطبعها عام ١٧٨٦م وهو أحد من عني بطبع المقصورة مع شروح بعضها بقلمه .

هذا ما استطعت جمعه عن مقصورة ابن دريد الخالدة أتمنى أن يفيد القارئ ويحفزه إلى مزيد من البحث .

الهوامش

١ - ينظر ترجمة ابن دريد في : مروج الذهب ٤ : ٣٢٠ والفهرست ٩١ وتاريخ بغداد ٢ : ١٩٥ وإنباه الرواة على أنباه النحاة ٣ : ٩٢ ووفيات الأعيان ٤ : ٣٢٣ وطبقات الشافعية الكبرى ٣ : ١٨٣ والوافي بالوفيات ٢ : ٣٨٩ ولسان الميزان ٥ : ١٣٢ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ : ٧٦ وغيرها من المصادر.

٢ - تاريخ بغداد ٢ : ١٩٥، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٢٣ .

٣ - تاريخ بغداد ٢ : ١٩٦ .

٤ - الفهرست ٩١ .

٥ - وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٥ ، والوافي بالوفيات ٢ : ٢٣٩.

٦ - وفيات الأعيان ٣ : ٢٧ .

٧ - وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٥ .

٨ - السابق نفسه .

٩ - الاشتقاق ٤ من المقدمة .

١٠- وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٦ .

١١- معجم الأدباء ١٨ : ١٢٨ عن أبي الطيب اللغوي .

١٢- انظر مسرداً لشيوخ ابن دريد وتلاميذه في مقدمة الاشتقاق ٥ - ٨ .

١٣- وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٤ .

١٤- اتفقت مصادر ترجمته على هذا التاريخ .

١٥- مراتب النحويين ٨٤ .

١٦- نزهة الألباء ٣٢٣ والوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠ .

١٧- مروج الذهب ٤ : ٣٢٠ .

١٨- إنباه الرواة ٣ : ١٠٠ .

١٩- تاريخ بغداد ٢ : ١٩٦ .

٢٠- تهذيب اللغة ١ : ٣١ .

٢١- تاريخ بغداد ٢ : ١٩٦ .

٢٢- الخصائص ٣ : ٢٨٨ .

٢٣- تاريخ بغداد ٢ : ١٩٦ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٣٠ .

٢٤- معجم الأدباء ١٨ : ١٣٠ والوافي بالوفيات ٢ : ٢٤٠.

٢٥- الفلاكة والمفلوكون ٧٣ .

٢٦- أورد السيوطي في المزهر : ٩٣ - ٩٤ المهاجاة التي حصلت بين ابن دريد ونفطويه : فقد قال نفطويه في هجاء ابن دريد :

ابن دريد بقرة ... وفيه عيٌّ وشره

يدّعي من حمقه ... وضع كتاب الجمهرة

وهو كتاب العين إلا ... أنه قد غيّره

فرد عليه ابن دريد بقوله :

لو أنزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحي صراخاً عليه

وشاعر يدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع على أخدعيه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيّر الباقي صراخاً عليه

٢٧- قال ابن خالويه في شرح المقصورة ٢٤٠ : وكان ببغداد الكرماني صاحب لغة وكان يطعن على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة فجاء غلام لابن دريد فجلس بحذائه في الجامع ونقض على الكرماني جميع ما نقضه على ابن دريد فقال : اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن دريد أعزه الله : يقال : أعننت الفرس إذا حبسته فإن حبسته بمقوده فليس بمعن قال الكرماني الجاهل: أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت فيجب أن يكون معنوناً وإن كان من أعننت فيجب أن يكون معناً وأخطأ الكذا والكذا فوقف شاعر على الحلقة فقال :

أذلت كرمان وعرضتها ... لجحفل مثل عديد الحصى

وابن دريد غـرة فـيهم
في بحـره مثلك قد غوصا
جثا على الركبة حتى إذا
أحس نزراً قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها
لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرماني بعد ذلك .

٢٨- المزهر ١ : ٩٣ - ٩٤ .

٢٩- قال الأزهري في تهذيب اللغة ١ : ١٤ قال الرياشي : وكان الأصمعي شديد التوقي لتفسير القرآن ، وقال السيرافي في أخبار النحويين البصريين ٤٧ : كان الأصمعي صدوقاً يتقي تفسير شيء من القرآن، أما عن تحرج ابن دريد فقد قال السيوطي عنه في المزهر ١ : ٩٣ : معاذ الله هو بريء مما رمي به ومن طالع الجمهرة رأى تحرجه في روايته، وأضيف إن كتابه الجمهرة مليء بتحرجه وخشيته من تفسير كلمات القرآن . وانظر الهوامش الآتية .

٣٠- الجمهرة ٢ : ١٧٤ .

٣١- الجمهرة ٢ : ١٥٦ .

٣٢- الجمهرة ٢ : ١٨٢ .

٣٣- الجمهرة ٢ : ١٩٤ .

٣٤- الجمهرة ١ : ١٩٨ .

٣٥- الجمهرة ٢ : ١٧٤ وانظر أمثلة أخرى من تحرجات ابن دريد في الجمهرة ١ : ٦٧، ٧٤، ١١٧، ١٢٢، ١٥٢، ١٧٧ - ٢ : ٧٠، ١١٥، ١١٧، ١٦٧ - ٣ : ٩، ٥٤ ، ٦٠ .

٣٦- مروج الذهب : ٤ : ٣٢٠ .

٣٧- طبقات الشافعية ٢ : ١٤٥ .

٣٨- الخزانة ٣ : ١١٩ .

٣٩- شرح المقصورة لابن خالويه ٢٩١ .

٤٠- الأغاني ٣ : ٧٢ والبيتان فقط في ديوان السموأل .

٤١- الأغاني ٣ : ١١١ وفي حماسة البحتري ٢٩٨ نسبهما إلى ورقة بن نوفل .

٤٢- في معجم الأدباء ٤ : ١٣٤، والحيوان ٣ : ٤٧٨، ٦ : ٥٠١ لحنظلة بن أبي عفراء ، وفي نوادر أبي زيد ٣٥٧ لحسان السعدي وفي أمالي المرتضى ١ : ٤٤٦ لبعض شعراء طيء .

٤٣- الأصمعيات ١٤٠، القصيدة ٤٤ .

٤٤- حماسة البحتري ٢٦٧ .

٤٥- شعراء النصرانية ١ : ١٤٩ .

٤٦- حماسة البحتري ٢٨٩ .

٤٧- ديوان كعب بن زهير ١٢٧، ونوادر أبي زيد ٨٠، والأمالي ٣ : ٢٤ .

٤٨- نوادر أبي زيد ٨٠، والأمالي ٢ : ٢٤ .

٤٩- ديوان امرئ القيس ٣٣٠ قصيدة ٧٩ .

٥٠- القصيدة من زيادات نسخة الطوسي .

٥١- اقرأ على سبيل المثال سورة طه وسورة النجم وسورة الليل وسورة الضحى .

٥٢- مروج الذهب ٤ : ٣٢١ .

٥٣- ديوان ابن دريد ١١٥ الطبعة التونسية .

٥٤- ذكر ذلك السيوطي في بغية الوعاة ١ : ٨٠ وأرى أن من الفائدة للقارئ الكريم إثبات هذه الأبيات ليطلع عليها وهذه الأبيات هي :

شرد عن عيني الكرى طيف سرى
من أم عمرو في غياهيب الدجى
زار وسادي والظلام عاكف
وأنجم الليل مديدات الطلى
أهلا بشخص ما رأينا مثله
في يقظة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع
بأعين الغيد وأجياد الطلا
نواعس مثل المهى نواهد
خمص البطون عاليات المنتمى
والغانيات لا يردن من بدا
في عارضيه الشيب لو رام الصبا

لما رأت شيبـــي عـم مفرقي
قالـت غبار يا خليلـي ما أرى
ولـم تزل تمسـح بمرطها
والقلـب ما بين إياس ورجـا
قلـت لها موعظـة لعلهـا
تعي صروف ما رأت بي قد علا
يا ظبية أشبه شـيء بالمها
ترعى الخزامي بين أشجار النقا

٥٥- شرح المقصورة ٢٦ لابن هشام اللخمي .
٥٦- الخزانة ٣ : ١١٩ .
٥٧- شرح المقصورة ٦ للمهلبي وانظر فيه نص المقصورة ١٤٩ - ١٥٨ في آخر الكتاب .
٥٨- شرح المقصورة ٨٦ لابن خالويه قال : أنشدنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي غير مرة وقريت عليه وأنا أسمع .
٥٩- بغية الوعاة ١ : ٨٠ .
٦٠- شرح المقصورة ٦٢ لابن هشام اللخمي .
٦١- الوفيات ٤ : ٣٢٦ والوافي بالوفيات ٢ : ٢٤١ .
٦٢- الخزانة ١ : ٤٢٥ ونقل عن ابن قتيبة عن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي : ساقة الشعراء ابن ميادة وابن هرمة وحكم الخضري وقد رأيتهم أجمعين .
٦٣- المغني ، ٦٩٢ .
٦٤- المغني ، ٥٦٧، ٨٥٦ .
٦٥- المغني ، ٥٤٨ .
٦٦- المغني ، ٨٠١ .
٦٧- اعتراض الشرط على الشرط ٤١ .
٦٨- شرح الرضي على الكافية ٤ : ٤٦٥ .
٦٩- شرح قصيدة كعب بن زهير ، ١٥٨ .
٧٠- شرح قصيدة كعب بن زهير ، ١٢٦ .
٧١- ديوان كعب بن زهير ، ٨ .
٧٢- شرح الرضي على الكافية ١ : ٥١١ .
٧٣- شرح الرضي على الكافية : ٣ : ٤٥٦ .
٧٤- الخزانة ١ : ٦ - ٧ .
٧٥ - تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٨ - ١٧٩ .
٧٦- تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٩ - ١٨١ وشرح المقصورة ٤٢ - ٤٩ لابن هشام اللخمي .
٧٧- شرح المقصورة ١٥٧ لابن خالويه .
٧٨- الخزانة ٣ : ١١٩ ووفيات الأعيان ٤ : ٣٢٤ .
٧٩- إعراب القراءات ٧٤ من المقدمة .
٨٠- تذكرة النحاة ١٣٦ .
٨١- شرح المقصورة ١٢ للمهلبي .
٨٢- هذه النسخ الثلاث مع نسخته اعتمد عليها أحمد عبدالغفور عطار كما ذكر في مقدمة تحقيقه لشرح المقصورة لابن هشام اللخمي .
٨٣- شرح المقصورة لابن هشام اللخمي من مقدمة التحقيق .
٨٤- وجدته مرجعاً في فهرس مراجع أحد الكتب المحققة .
٨٥- تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٨٠ .
٨٦- ذكر ذلك أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة تحقيق شرح المقصورة ٤٧ لابن هشام .
٨٧- ذكر ذلك أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة تحقيق شرح المقصورة ٤٨ لابن هشام .
٨٨- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٤٨ .
٨٩- تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٩ وشرح المقصورة ٤٢- ٤٩ لابن هشام اللخمي .
٩٠- إعراب القراءات ٧٥ من مقدمة المحقق .
٩١- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٤٤ من المقدمة .
٩٢- إعراب القراءات ٧٣ - ٧٤ من المقدمة .
٩٣- شرح المقصورة ٤٩ لابن هشام اللخمي من مقدمة المحقق .
٩٤- شرح المقصورة ٤٩ لابن هشام اللخمي من مقدمة المحقق .
٩٥- شرح المقصورة ٤٠ لابن هشام اللخمي من مقدمة المحقق .

٩٦- مغني اللبيب ٥٤٨ .

٩٧- حاشية الأمير على المغني ٢ : ٦٧ .

٩٨- مغني اللبيب ٥٤٨ هامش ٣ .

٩٩- مغني اللبيب ٥٤٨ ، هامش ٤ .

١٠٠- الخزانة ٣ : ١١٩ .

١٠١- حاشية على شرح بانت سعاد ١ : ٧٢٢ .

١٠٢- الأعلام ٣ : ٢٩٧ .

١٠٣- الفهرست ١٢٢ .

١٠٤- إنباه الرواة ١ : ٢٢٣ .

١٠٥- شرح المقصورة ٤٧ لابن هشام اللخمي من مقدمة المحقق .

١٠٦- الجوهر المنضد ٧٨ .

١٠٧- المسائل السفرية ٧ من المقدمة .

١٠٨- نزهة الطرف في علم الصرف ٤٣ مقدمة المحقق .

١٠٩- مروج الذهب ٤ : ٣٢١ .

١١٠- مروج الذهب ٤ : ٣٢١ .

١١١- النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٣ .

١١٢- الوفيات ٢ : ٣٨٤ .

١١٣- الوفيات ٣ : ١٢٠.

١١٤- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٣٣ عن العقود اللؤلؤية .

١١٥- توجد من هذه المعارضة نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٤١ ش .

١١٦- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٢٣ من المقدمة.

١١٧- بغية الوعاة ١ : ٢١٤ .

١١٨- توجد نسخة من هذه المعارضة في دار الكتب المصرية برقم ٧٥٥ مجاميع .

١١٩- توجد نسخة من هذه المعارضة في دار الكتب المصرية برقم ٧٦ مجاميع .

١٢٠- ذكر أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة شرح ابن هشام اللخمي ٣٦ أنها مطبوعة .

١٢١- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٣٠ - ٣٧ من المقدمة.

١٢٢- تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٩ .

١٢٣- شرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٣٧ - ٤٠ من المقدمة .

١٢٤- تاريخ الأدب العربي ٢ : ١٧٩ وشرح ابن هشام اللخمي للمقصورة ٤٦ من المقدمة .

المصادر والمراجع

١ - **أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي**، تحقيق كرنكو، طبع بالمطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦م، بيروت.

٢ - **الاشتقاق لابن دريد**، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ .

٣ - **الأصمعيات للأصمعي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، نشر إدارة المعارف ، بمصر الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ .

٤ - **اعتراض الشرط على الشرط لابن هشام الأنصاري**، تحقيق عبدالفتاح الحموز، نشر دار عمار، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، عمان ، الأردن .

٥ - **إعراب القراءات لابن خالويه**، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، نشر مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م ، القاهرة .

٦ - **الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**، تحقيق لجنة من الأدباء، نشر دار الثقافة، الطبعة السادسة، بيروت .

٧ - **الأمالي لأبي علي القالي**، وبآخره الذيل والنوادر والتنبيه لأبي عبيد البكري، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت : بدون تاريخ .

٨ - **أمالي المرتضى للشريف المرتضى**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية،

١٩٦٧م، بيروت .

٩ - **إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، القاهرة .

١٠- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة ١٩٦٤م، القاهرة .

١١- **تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان**، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرين، نشر دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م، القاهرة.

١٢- **تاريخ بغداد للخطيب البغدادي**، نشر دار الكاتب العربي، بيروت.

١٣- **تذكرة النحاة لأبي حيان النحوي**، تحقيق عفيف عبدالرحمن، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، بيروت .

١٤- **تهذيب اللغة للأزهري**، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر المؤسسة العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤م، القاهرة .

١٥- **جمهرة اللغة لابن دريد**، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد، مصورة عن طبعة مجلس إدارة المعارف الملكية بحيدر آباد، ١٣٤٤هـ .

١٦- **الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد لابن المبرد**، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، نشر مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م، القاهرة .

١٧- **حاشية الأمير على المغني** ، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٨- **حاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي**، تحقيق نظيف محرم خواجه، نشر دار فرانز شتاينر، بفيسبادن، ١٩٨٠م ، ألمانيا .

١٩- **حماسة البحتري**، ضبط وتعليق كمال مصطفى، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٢٩م، القاهرة .

٢٠- **الحيوان للجاحظ**، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر المجمع العلمي الإسلامي ، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، بيروت.

٢١- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي**، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، القاهرة .

٢٢- **الخصائص لابن جني**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الهدى للنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي** طبع بمصر، ١٢٨٤هـ .

٢٤- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، نشر دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦م، القاهرة .

٢٥- **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، بمصر، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ .

٢٦- **ديوان ابن دريد**، دراسة وتحقيق عمر بن سالم، نشر الدار التونسية للنشر، ١٩٧٣م، تونس.

٢٧- **ديوان السموءل مع ديوان عروة بن الورد** ، نشر دار صادر، بيروت.

٢٨- **ديوان كعب بن زهير بشرح السكري**، نشر دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م ، مصر .

٢٩- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخوانساري**، طبعة إيران، ١٣٦٧هـ .

٣٠- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لابن مخلوف**، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣١- **شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه**، تحقيق محمود جاسم محمد، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، بيروت .

٣٢- **شرح مقصورة ابن دريد للمهلبي**، تحقيق محمود جاسم الدرويش، نشر دار الرشد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م، الرياض .

٣٣- **شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي**، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، نشر مكتبة الحياة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، بيروت.

٣٤- **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**، تحقيق يوسف حسن عمر، نشر جامعة بنغازي ١٩٧٨م بنغازي - ليبيا.

٣٥- **شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام الأنصاري**، تحقيق محمود حسن أبو ناجي، نشر مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م، دمشق.

٣٦- **شعراء النصرانية للويس شيخو**، مطبعة الآباء اليوسعيين، ١٩٨٠م، بيروت.

٣٧- **طبقات الشافعية الكبرى للبهاء السبكي**، طبع بمصر، ١٣٠٤هـ.

٣٨- **غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري**، طبع بمصر، ١٣٥١هـ.

٣٩- **الفلاكة والمفلوكون للدلجي**، نشر مكتبة الأندلس، ١٣٨٥هـ، بغداد.

٤٠- **الفهرست لابن النديم**، نشر دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

٤١- **فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي**، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

٤٢- **كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة**، نشر مكتبة المثنى ببغداد، مصورة عن طبعة إستانبول، ١٩٣١م.

٤٣- **لسان الميزان لابن حجر العسقلاني**، نشر دار الفكر بيروت، طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٣١هـ.

٤٤- **مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ، القاهرة.

٤٥- **مروج الذهب ومعادن الجوهر المسعودي**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر دار المعرفة، ١٩٨٢م، بيروت.

٤٦- **المزهر في علوم اللغة للإمام السيوطي**، شرح وضبط وتحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٤٧- **المسائل السفرية لابن هشام الأنصاري**، تحقيق حاتم الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، بيروت.

٤٨- **معجم الأدباء لياقوت الحموي**، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٩- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري**، تحقيق مازن المبارك وزميله، نشر دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م، بيروت.

٥٠- **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي**، نشر دار الكتب المصرية، ١٣٤٨ - ١٣٧٥هـ.

٥١- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري**، طبع بمصر، ١٢٩٤هـ.

٥٢- **النوادر لأبي زيد الأنصاري**، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد، نشر جامعة الفاتح، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، طرابلس - ليبيا.

٥٣- **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي**، طبعة مصورة عن طبعة إستانبول، ١٩٥١ - ١٩٥٥م.

٥٤- **الوافي بالوفيات للصفدي**، نشر لجنة المستشرقين الألمانية، ١٩٦٢ - ١٩٨٠م، فيسبادن، ألمانيا.

٥٥- **وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان لابن خلكان**، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت.

تاريخ أرض القرآن

ألفه بالأردية سيد سليمان الندوي (متوفى ١٣٧٣هـ)

سمير عبدالحميد إبراهيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

الندوي ، سيد سليمان / تاريخ أرض القرآن . - إسلام أباد : منزه برنتك بريس ، ١٩٩٢م .

ولد سيد سليمان الندوي في ٢٣ صفر ١٣٠٢هجرية / نوفمبر ١٨٨٤م ، درس على يد والده وأخيه الأكبر ، ثم استكمل دراسته في " ندوة العلماء " الذي انتقل إليها سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م حيث قضى خمس سنوات ، نال بعدها شهادة التخرج ، وبعد أن تربى على يد علماء كبار مثل شبلي النعماني وغيره ممن شاركوا في تأسيس ندوة العلماء ، انصرف سيد سليمان الندوي إلى البحث والتأليف ، وتولى إدارة مجلة الندوة ، كما شارك أبا الكلام آزاد في تحرير جريدة الهلال ، وبعد وفاة شبلي النعماني أخذ مكانه فقدم إلى مدينة أعظم كره ، وعمل على تأسيس دار المصنفين التي نالت شهرة علمية كبيرة، وتوفي في ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ / نوفمبر ١٩٥٣م ودفن في كراتشي .

من أهم مؤلفاته نقوش سليماني وهو يبحث في مقارنة الأديان ، والعلاقات بين العرب والهند ، والملاحة عند العرب ، والكتاب الذي نعرض له هنا وهو " أرض القرآن " إضافةً إلى مؤلفات أخرى ومقالات وأبحاث عديدة .

صدر الجزء الأول من كتاب أرض القرآن (٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط) في عام ١٩١٥م بينما صدر الجزء الثاني (٢٢٩ صفحة من القطع المتوسط) في ١٩١٨م ضمن سلسلة مطبوعات دار المصنفين في الهند ، ثم أصدرت مؤسسة " ناشونال بك فاونديشن ، باكستان " طبعة جديدة بعد أن حصلت على حقوق الطبع في سنة ١٩٩٢م (منزه برنتنك بريس – إسلام آباد) .

ولما كان المؤلف قد وضع لكتابه عنوان "تاريخ أرض القرآن" فقد عمد إلى استخدام مصطلح "جزيرة العرب قبل القرآن ، وجزيرة العرب بعد القرآن " وهو يقصد بالطبع قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وقد أوضح أسباب تأليفه لكتابه حين ذكر أن المعلومات عن جزيرة العرب قبل الإسلام لم تكن متوفرة ، وكان الاعتماد على الروايات الشفهية ، التي جعلها المسلمون مصدرا لمعلوماتهم عن أحوال جزيرة العرب السياسية والدينية والجغرافية وما إلى ذلك ، بينما كانت الروايات تحتاج إلى تنقيح وتنقية ، وقد جعل الرحالة والجغرافيون اليونانيون والرومان من تلك الروايات المصدر الصحيح وبهذا جعلوا من جزيرة العرب قبل الإسلام عالماً يختلف عما ورد في القرآن الكريم ، نظرا لأن الصورة التي تعرضها آيات القرآن الكريم ، وبيانات الروايات الشفهية ، لجزيرة العرب تختلف تماما عن تلك التي يعرضها الأوربيون ، مما أوجد مجالاً رحباً لاعتراضات لا حصر لها في هذا الصدد .

وهكذا أوضح المؤلف أن " الهدف من تأليف هذا الكتاب هو ذكر أحوال الجزيرة العربية ، أرض القرآن ، ووضعها على محك المعلومات القديمة والحديثة حتى نكشف زيف المعترضين ، وقد لا ينكر مسلم أهمية هذا الموضوع وضرورته ، فقد ورد في القرآن الكريم أسماء عشرات الأمم والقبائل والمدن والأماكن المختلفة في جزيرة العرب ، مما يكشف عن حقيقتها ليس لعامة الناس فقط لكن للعلماء أيضا ، ومع هذا نتعجب لأن أحداً لم يكتب كتاباً عن هذا الموضوع الخاص ، مما دفع غير المسلمين

إلى التجرؤ ، فجعلوا من الحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن جزيرة العرب أساطير Legend ليس إلا ..

بينما يقوم النصارى مثلا بمحاولة إحياء ذكر آلاف الأسماء لأمم وأشخاص وأماكن لا وجود لها الآن ، وربما يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، لكنهم يحاولون إبرازها عن طريق دراستهم " لأرض التوراة " وعن طريق " دائرة معارف التوراة " ... وفي القرآن الكريم ورد ذكر أكثر من عشرين أو ثلاثين أمة ، ورغم ذلك لم نحاول البحث عنها بشكل خاص ، وقد ظهرت مباحث لكنها مباحث ضمنية في كتب التفسير أو في مقدمة التاريخ العام ، لكننا بحاجة إلى أبحاث قائمة بذاتها ومتخصصة في الموضوع ذاته "

ويشير المؤلف العلامة سيد سليمان الندوي إلى أن القرآن الكريم نال اهتمام غير المسلمين ، فكتب المستشرقون الألمان والفرنسيون والإيطاليون والإنجليز أبحاثاً وكتباً عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، وقدموا ملخصات ومختارات من المؤلفات اليونانية والرومانية عن أحوال العرب قبل الإسلام ، أما الأمم والبلاد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم فقد شاهدوا آثارها وأطلالها ، وحلوا نقوش الكتابة التي اكتشفوها واستنبطوا نتائج عجيبة وغريبة ، ورغم أنهم ليسوا بمسلمين بل نصارى ويهود ، إلا أنهم استفادوا كثيراً من القرآن الكريم ، وقام بعض المتعصبين منهم باستخدام المعلومات بطريقة خاطئة لمعارضة القرآن الكريم.

ففي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كتب المستشرق " Reverend Forster الجغرافية التاريخية للجزيرة العربية Historical Geography Of Arabiya فقدم مثالاً واضحاً للجهل ، كما كتب المستشرق Noldeke بحثاً عن العمالقة وعاد ، حاول أن يثبت فيه أنه لا وجود لهم في التاريخ ، وتجرأ بعض مدعي البحث في أوربا ، وبناء على بعض الاكتشافات الأثرية في جزيرة العرب فقالوا إن جزيرة العرب قبل الإسلام كانت أفضل بكثير مما كانت عليه بعد الإسلام ، إلا أن المستشرق الفرنسي "سانت هيلبر " رد على هذا الادعاء بطريقة رائعة.

لقد أوجدت الاكتشافات الأثرية ثورة كبيرة في المعلومات الخاصة بأديان جزيرة العرب قبل الإسلام ، كشفت بدورها عن مناقب وفضائل جديدة للدين الإسلامي الحنيف.

وعلى كل حال فبقدر ما كشف أعداء الإسلام من معلومات جديدة لمعارضتنا ، بقدر ما تكشفت لنا جوانب يمكننا أن نستخدمها لصالحنا ، لبيان مصداقية عقيدتنا ، وبعد أن فشل أعداؤنا في التشكيك فيها ، وبعد أن عرفوا كم هي راسخة وقوية ، تحولوا إلى جانب آخر ، وهو التاريخ والحضارة ، ولهذا وجب علينا أن نواجههم ، كما واجه أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨١هجرية) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هجرية) وابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هجرية) المؤرخين اليهود وغيرهم من المغرضين الذين بحثوا في تاريخ الإسلام والقرآن ، محاولين تطبيق الاكتشافات والأبحاث التاريخية الأوربية ، فكان أن انقلبت أسلحتهم التي أنتجوها في مصانعهم الأوربية ، تصيبهم في عقر دارهم .

ولهذا السبب عمد المؤلف العلامة سيد سليمان الندوي إلى الإشارة إلى المصادر الأوربية الجديدة إضافةً إلى كتب التفسير والجغرافيا وكتب التاريخ الإسلامي ، لتأييد ما ورد في القرآن الكريم من خلال المصادر اليونانية وكذا الاكتشافات الأثرية القديمة في الجزيرة العربية ، وهذه المصادر متوفرة باللغة الإنجليزية سواء كتبت أصلاً بها أو ترجمت من الفرنسية أو الألمانية .

وقد اعتمد المؤلف أحياناً على المصادر الفرنسية الأصلية كما درس التوراة واعتمد على الترجمات الأردية والفارسية والعربية والإنجليزية ، واضطر أحياناً للرجوع إلى الأصل العبري نظراً للاختلاف الشديد في نطق الأسماء وهكذا تفرغ لدراسة العبرية تفرغاً كاملاً لمدة ثلاثة أشهر وجمع عدداً كبيراً من الخرائط أثبت بعضها في كتابه الذي استغرق تأليفه ثلاث سنوات .

وقد تضمن المجلد الأول مباحث عن جغرافية أرض القرآن، والأحوال التاريخية والسياسية للأمم والقبائل العربية والنسب وما إلى ذلك في ضوء ما ورد في القرآن الكريم ، وذلك لرسم صورة واضحة عن دنيا أمة العرب وجزيرتهم قبل الإسلام، وكيف انتشرت حضارتهم إلى اليمن والشام والعراق ، أما المجلد الثاني فيتضمن مباحث عن ألسنة القبائل العربية والأديان والتجارة والأحوال الحضارية وما إلى ذلك مما سنعرضه في حينه .

يوضح المؤلف في بداية كتابه المصادر التي يعتمد عليها في دراسة " أرض القرآن " أي جزيرة العرب وهي :

١ – الأدبيات الإسلامية . ٢ – الأدبيات الإسرائيلية.

٣ – الأدبيات اليونانية والرومانية. ٤ – الاكتشافات الأثرية.

وتتضمن الأدبيات الإسلامية القرآن الكريم نفسه إضافةً إلى كتب التفسير وكتب تاريخ الجزيرة العربية ، ثم الكتب الخاصة بجغرافية جزيرة العرب ، ووضع المؤلف جداول ذكر فيها اسم المؤلف وسنة التأليف واسم الكتاب ونبذة عنه ، بينما يذكر في الأدبيات الإسرائيلية مجموعة التوراة وفي الأدبيات اليونانية والرومانية أهم المصادر الخاصة بجزيرة العرب ، مما كتبه المؤرخون والرحالة والجغرافيون من مثل : هيرودوس (٤٠٦ ق . م) وثيوفراستس (٣١٢ ق . م) وبطليموس (١٤٠م) وغيرهم، وفي الاكتشافات الأثرية يذكر الآثار القديمة في اليمن وحضرموت وتدمر والبطراء (البتراء) ومدائن صالح والصفا والحجر الحجاز والعراق ومصر وغيرها وما يمكن الحصول عليه من معلومات عن جزيرة العرب من قراء النقوش والكتابات القديمة .

ويسوق المؤلف نموذجاً لذلك فيذكر " أنه في زمان الأمير معاوية (٤٠هـ – ٥٠هـ) كان عبد الرحمن حاكماً على مصر، وكان قد اكتشف أطلال قلعة حضرموت "حصن غرابي" واكتشف نقوشاً هذه ترجمتها العربية :

ونصطاد صيد البر بالخيل ، وطوراً — نصيد النون من لجج البحر
يلينا ملوك يبعدون من الخنا — شديد على أهل الخيانة والغدر
نقيم لنا من دين هود شرائعاً — ونؤمن بالآيات والبعث والنشر
إذا ما عدو حل أرضا يريدنا — برزنا جميعا بالمثقفة السمر

وقد نقل العلامة النويري هذه النقوش في كتابه تاريخ مسالك الأبصار ثم عقد المؤلف فصلاً بعنوان " جغرافية جزيرة العرب في التوراة " عهد عاد وثمود ومدين والأيكة وأدوم (من ٢٥٠٠ ق . م – ٨٠٠ ق . م) وفصلاً آخر بعنوان"جغرافية جزيرة العرب في كتابات المؤلفين اليونان والرومان" ثمود الثانية ، وسبأ وقوم تبع ، وأصحاب الحجر (٥٠٠ ق . م – ٢٠٠ م) وهنا يشير المؤلف إلى الأماكن في جزيرة العرب وكيفية ورودها في المصادر المذكورة ففي اليونانية مثلا يذكر كلمة ماكورابا Macoraba وهي مكة ، ربه وكلمة ربه تعني الأعظم ، بينما يثرب في اليونانية Jath-reppa وهو اسم المدينة المنورة قديماً ، وهكذا في تيماء وعمان ومسقط وغيرها ، ثم ينتقل المؤلف وبالمنهج نفسه لذكر القبائل العربية التي وردت في المصادر اليونانية .

وفي فصل بعنوان " جغرافية عهد القرآن " بحث المؤلف الموضوعات التالية : الجزيرة العربية ، حدودها ، مساحتها وظروفها الطبيعية ومحاصيلها والتقسيم الجغرافي للجزيرة العربية أي العروض (اليمامة والبحرين وعمان ، ونجد وحدودها ، واليمن والحجاز وعرب الشام وعرب العراق) .

ومن ثم عقد فصلاً بعنوان أمم أرض القرآن فذكر الأمم السامية مسكنها الأصلي وهجرتها ، ونقل ما أوردها المؤرخ الشهير ابن قتيبة عن أبناء سام بعد تقسيمهم :

"... فمنهم العمالقة ، وهم أمم تفرقوا في البلدان

ومنهم فراعنة مصر والجبابرة " ، كما نقل قول ابن خلدون:.. وكان لهذه الأمم ملوك ودول في جزيرة العرب وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم" كما ذكر أيضاً آراء المؤرخين العرب الآخرين (ص ١٠٨ المجلد الأول)

وفصل المؤلف الحديث عن أنساب الأمم السامية وناقش ما ورد في التوراة عن أمم أرض القرآن (جزيرة العرب) وما ورد في القرآن الكريم ، وما ورد في المؤلفات اليونانية ، وفي معرض حديثه عن العرب البائدة مثل عبل وعبس الأولى والأرقم وغيرها ينقل قصيدة الشاعر الجاهلي النابغة التي يقول فيها :

... إرما ولا عادا أفناهم الليل والنهار

بالقرضت معدهم ثمود بما جنى فيهم قدار

إلى قوله :

أخنت عليهم عروق دهر له على أهله عثار

وفي معرض حديثه عن قوم تبع ينقل ما ورد عنهم في القرآن الكريم ويفصل الحديث عن التبابعة ، فيناقش رأي المؤرخين والمفسرين وأسماء ملوكهم ومدة حكمهم وأحوالهم السياسية والدينية وذكر أصحاب الأخدود في القرآن الكريم ، ثم ينتقل لذكر أصحاب الفيل أو سبأ الحبشة وبهذا ينتهي المجلد الأول .

وفي المجلد الثاني ناقش المؤلف تاريخ بني إبراهيم ، وتجارة العرب قبل الإسلام ، واللغة والدين ، في ضوء ما ورد في القرآن الكريم ، ثم قارن ذلك بما ورد في التوراة والأبحاث الخاصة بتاريخ اليونان والروم والاكتشافات الأثرية.

فذكر بني إبراهيم بدءاً بزوجاته : سارة وهاجر وقطورة ، وأشار إلى أن بني قطورة منهم أهل مدين وأهل دوّان (أصحاب الأيكة) ، وبنو سارة منهم الأدوم (أي أيوب) وبنو هاجر منهم إسماعيل والأنباط (أصحاب الحجر) وقيدار وقريش ، ويفصل المؤلف بعد ذلك الحديث عن بني قطورة ، وبني سارة ، وذلك من خلال مصادر أصلية .

فحين يذكر تاريخ أدوم يرجع إلى كتاب ديني مكتوب بالعبرية ، ترجمه عالم ألماني يدعى " ميخائيل " إلى اللاتينية بعنوان Collaguia ، إلا أن هذا الكتاب له ترجمة عربية قديمة فيها أخطاء تدل على أن المترجم غير عربي ، ونقل المؤلف فقرة من الكتاب نوردها هنا بنصها :

"وأيوب كان ساكناً في أرض عوض في أتخم (تخوم) أدوم وعربيا ، ومن قبله اسمه يوباب وأيوب كان ابن زارا ابن بني عيسو ، وهو كان السادس من إبراهيم ، والملوك الذي ملكوا في أدوم الذي كان ملك على تلك الأرض من قبل بالق بن باعور واسم مدينته دنابا ومن بعده يوباب هذا الذي يسمى أيوب "

وناقش المؤلف ما جاء في بعض كتب التفاسير ، وكيف تأثرت بالروايات الإسرائيلية وأورد أمثلة على ذلك (ص ٣٢) كما فصل الحديث عن أيوب : عصره ووطنه وحكايته في ضوء آيات القرآن الكريم ، وهكذا فصل الحديث عن بني هاجر ، إسماعيل عليه السلام ، وأولاده ، وفصل الحديث عن بني يوط أو نبط أي أصحاب الحجر ، فناقش الأنباط والروايات العربية المتعلقة بهم ، وعهد حكومتهم ومكان حكومتهم وعاصمتهم ، يقول المؤلف :

"إن حدود ملك الأنباط كانت تعم أصلا مجموعة ممالك قديمة ، وملك ثمود (وادي القرى) وعاصمتها حجر ، وملك مدين وعاصمتها مدينة مدين ذاتها ، وملك أدوم وعاصمتها مدينة الرقيم ، فكانت عاصمة الأنباط في البداية مدينة الرقيم (البطراء)حيث لا تزال آثارهم باقية حتى اليوم ، وكان الروم قد سيطروا عليها حين دخلوا مصر والشام ، عندئذ جعل الأنباط من الحجر عاصمة لهم، وكانت تقع في ملك ثمود ولهذا يطلق عليهم في القرآن أصحاب الحجر ... " ص ٦٠ .

وبعد دراسة ما يتعلق بملوك الأنباط وأحوالهم الحضارية وظروفهم السياسية وعلاقتهم باليونانيين

والرومان ، ناقش قول المفسرين الذين قالوا بأن ثمود هم المقصود بأصحاب الحجر في قوله تعالى : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ (سورة الحجر) ووافقهم رأيهم.

وبالمنهج نفسه كتب عن آل غسان وهم فرع من ثابت ابن إسماعيل والأوس والخزرج وهم أيضا فرع من ثابت ابن إسماعيل وقيدار وما أوردته التوراة عن قيدار ، ثم قريش قبيلة مضر بن نزار بن عدنان بن قيدار بن إسماعيل وحين تحدث عن نسبها قال :

"قريش لقب فهر ، ولهذا صار الجيل التالي له يسمى بقريش وله معان متعددة في العربية ومن معناه تقريش أي اكتساب وتحصيل ، ويعتقد أن التجارة كانت الحرفة الأساسية للقبيلة ولهذا أطلق عليها اسم قريش ... " .

وبعد أن ذكر المؤلف التفسيرات الأخرى لكلمة قريش انتقل إلى الحديث عن مكانة قريش السياسية والدينية ، وذكرهم في القرآن الكريم (النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة وأبو لهب) .

أفرد المؤلف بعد ذلك فصلاً عن تجارة العرب قبل الإسلام (رحلة الشتاء والصيف) وفصلاً آخر عن ألسنة العرب قبل الإسلام ، فذكر أن اللغة العربية هي أم الألسنة، وناقش هذا الرأي ، واستشهد بما جاء في معجم ياقوت :

"فأهل المسند عاد وثمود والعماليق وجرهم وعبد بن الصخم وطسم وجديس وأميم ، فهم أول من تكلم العربية بعد البلبلة ولسانهم المسند وكتابهم المسند" .

وفصل المؤلف الحديث عن العربية في الشمال والجنوب ، مبيناً الفرق في الدلالات اللفظية والفرق في القواعد ذاكرها بعض الأمثلة (ص١٢٥ - ١٢٦) وينهي هذا المبحث بدراسة لهجات العرب ملقياً الضوء على لغة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين .

أما المبحث الأخير في الكتاب فتناول فيه المؤلف أديان العرب قبل الإسلام : عبادة النجوم وعبادة الأصنام، ودين الأمم السامية الأولى ودين عاد وثمود ودين الساميين في بابل ودين الساميين في مصر، وأثبت جداول أوضح فيها اسم المدينة واسم الإله الذي كان يعبد فيها ، ثم يذكر ما ورد في القرآن الكريم عن هذا الأمر، وانتقل بعد ذلك إلى موضوع رسل الأمم السامية الأولى ، وأوضح آراء المستشرقين في هذا الصدد ، وأوضح أديان العرب الشماليين (بني إبراهيم) وأصنام العرب الجنوبيين ، كما ذكر وجود أديان أخرى في جزيرة العرب مثل المجوسية والنصرانية واليهودية .

أما المبحث الأخير في الكتاب فكان عن القرآن الكريم وأديان العرب قبل الإسلام ، ويتضح موضوع هذا المبحث من عنوانه فقد تناول فيه عبادة (تقديس) الحكام وكبار الناس ، عبادة قوى الطبيعة ، عبادة النجوم ، وذكر الأديان السماوية في القرآن الكريم وفصل الحديث عن الصابئة ، وعن الشرك ، يقول عن المشركين العرب :

"من الأمور التي كان مشركو العرب ينكرونها تماماً الاعتقاد بالحشر والنشر ، والاعتقاد بالرسالة والنبوة ، فكانوا يتعجبون هل يبعثون بعد الموت ؟! وهل يمكن أن يوجد رجل يبعثه الله رسولاً ؟! ولهذا جاء في سورة "المؤمنون" قوله تعالى : ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ...﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ .. الآية".

وفي نهاية هذا المبحث وبعد أن ذكر المؤلف عبادة الأصنام والقرآن الكريم ، كتب ما يلي :

"... وإنه من العجيب أن توجد الأصنام أيضاً في أوربا ، فقد نقل التجار العرب أصنامهم إلى اليونان ، ومن اليونان انتقلت إلى بقية الدول الأوربية ، وكان جهلة الأوربيين يسجدون لهذه الأصنام أيضا ، فكان صنم اليونان " ليتو " هو نفسه صنم العرب اللات .. وغيره كثير بحث فيه بعض أساتذة العلوم الشرقية ".

معلمة المغرب قاموس مرتب على حروف الهجاء

– الحلقة الثالثة –

نجاة المريني

كلية الآداب – جامعة محمد الخامس – الرباط

تقديم :

المعلمة مشروع علمي كبير، يتجلى فيه مجهود عدد وافر من الاختصاصيين في صنوف المعارف التي تهم المغرب تاريخاً وجغرافية وحضارة وعلماً واجتماعاً واقتصاداً . ولذلك فمجهود تتبع مواد المعلمة بقراءة نقدية لا يذهب هدراً والحمد لله . والتعب الحاصل من قراءة كل جزء على حدة وبإمعان نظر ، هو من التعب المأجور والمثاب عليه . لأنه يعود بالنفع على الطرفين ؛ القارئ الذي يجب أن تقدم له المعلمة خالية من الأخطاء، وعلى مشروع المعلمة الذي يجب أن يتحرى فيه ما أمكن، عدم الوقوع في أي خطأ .

بناء على ما تقدم ، ستغطي هذه الحلقة حرف الباء الذي يشمل الأجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ وقسم من الجزء السادس. وقد تقدمت حلقتان نشرتا بهذه الدورية العلمية ، الأولى بالمجلد ١٦، عدد٣ ، والثانية بالمجلد ١٨ عدد ٤ وراعيت أن يكون ترتيب الملاحظات والتصويبات واحداً في كل الحلقات :

– تصويبات في التعبير واللغة وبعض المفاهيم .
– تصويبات في الأحداث التاريخية .
– ملاحظات على ترتيب المواد .
– ملاحظات عامة .
– بعض ما يستدرك على مواد الأعلام البشرية والجغرافية.

أولاً : تصويبات في التعبير واللغة وبعض المفاهيم :

– ورد في صفحة ٩٥٠ سطر ٢٤ عمود ٢ مادة (باب) هذه العبارة : (... فقد كان اللجوء إلى الاستسقاء من التقاليد الدينية التي كان العمل جارياً به ... إلخ) والتعبير بكان الدالة على الماضي تفيد أن العمل بهذه السنة النبوية قد دخل في باب التاريخ . وأصبح ذكره لمجرد أنه كان شعيرة فما مضى والأولى أن يقال : (كان العمل جارياً بها في كل العصور ولا يزال) .

– ورد في صفحة ٩٦٨ مادة (بادس) عمود ١ هذه العبارة: (... فقد قيل عنه أنه أتى ببعض المعجزات إذ إن بركته كانت تنزل الأمطار عند الحاجة وتحجبها إذا زادت عند الحاجة) وهذا الكلام خطير وإيمان بالخرافات يكاد يصل إلى حد الشرك، لأن حجب المطر وإنزاله هو لله سبحانه وتعالى . وما كان البادسي لينسب ذلك لنفسه وهو في حياته ، وما كان من اللازم على المعلمة أن تثبت هذه الترهات .

– صفحة ٩٨٣ عمود ٢ سطر ٢ ورد مصطلح التاطا (نقض عهد التاطا) وهو من أسباب نشوب البارود بين القبائل المغربية . ولم يكلف محرر المادة نفسه عناء شرح هذا المصطلح الذي سيبقى بلا شك ناقصاً أمام عدد من القراء ما لم يهتدوا إلى المجلد السادس من المعلمة ليجدوا الحديث مفصلاً عن عهد التاطا صفحة ٢٠٦٦ .

– صفحة ٩٩٥ عمود ١ سطر ٣٦ مادة (باسي رونو) وردت لفظة الكولونيالية (المرحلة الكولونيالية) والمقصود بها المرحلة الاستعمارية ولا يستساغ أن نتجاوز الكلمة العربية إلى الكلمة الأجنبية (الفرنسية) ما دامت اللغة العربية متوفرة على المصطلح المراد التعبير عنه .

– صفحة ٩٩٧ عمود ٢ سطر ٣٠ مادة (باسكون بول) وردت هذه العبارة : (التقى مشواره الفلسفي بالأيديولوجيا ... إلخ) وكلمة مشوار غير صحيحة عربياً من حيث إيرادها بمعنى الطريق أو المسيرة ، لأن لفظة مشوار بالكسر المكان الذي تعرض فيه الدواب للبيع . وهو ما نص عليه في مختار الصحاح ومثله في لسان

العرب، وهذه الكلمة من الدارجة المصرية دخلت إلى الصحافة ولا ينبغي أن تقلد المعلمة الأسلوب الصحافي .

- صفحة ٩٩٩ عمود ١ سطر ٤١ مادة (باسكون بول) وردت هذه العبارة : (جاءت الموت لتجعل حداً لفكر متأجج ... إلخ) فالموت لم يرد في التعبير العربي الفصيح مؤنثاً . قال الله تعالى في سورة المؤمنون : ﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت**﴾ وفي سورة الجمعة : ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾ وهكذا في سائر الآيات التي ورد فيها الموت . وفي الأثر : الموت هازم اللذات . وعلى هذا فلا يستعمل الموت بلفظ التأنيث أبداً. غير أن الاستعمال الدارج يؤنث الموت وهو لا يدخل في تحرير المادة بالأسلوب العربي الفصيح .

- صفحة ١٠١٠ عمود ١ سطر ١ مادة (باقشيش) . ورد أن باقشيش هذا رجل فرجة في الساحات العمومية وتختلف أساميه باختلاف المناطق فهو باقشيش وهو الحلايقي في اللهجات المغربية، وربما تختلف أسماؤه باختلافها . وحيث إن المعلمة لا يمكن أن تفرض لهجة بعينها كان من اللازم الاكتفاء بتركيب سليم مثل صاحب الحلقة أو صاحب البساط .

ثم إن إطلاق اسم باقشيش على مادة فيه تمحل ، فالمادة تتحدث عن الحلقة العمومية وما يكون فيها ومن ينشطها وأساليب التنشيط فيها . فلو كان اسم المادة العمومية لكان أليق .

- صفحة ١٠٧٨ مادة (البحرية المغربية) عمود ٢ سطر ٤ وردت هذه العبارة : (... أعاد العلويين النشاط إلى الطريق ... إلخ) والصواب أعاد العلويون النشاط ... إلخ، لأنه فاعل .

- صفحة ١١٧٣ مادة (بركات علي) ورد هذا التعبير: (... وبدائع الغيرة الوطنية والشجاعة التي كان يتسم بهما... إلخ) والصواب اللتين كان يتسم بهما .

- صفحة ١٢١٠ مادة (البرولة) وردت هذه العبارة : (أن المغاربة ضمنوها بعض الميازين في الآلة) واستعمال ميازين جمعاً لميزان غير صحيح والصواب أن ميزان يجمع على موازين .

- صفحة ١٢٧٤ مادة (البعثات الطلابية) ورد عند الكاتب قوله : (... ضمن المتفوقين من مجموعة الخمسة عشرة الذين كانوا بطنجة) قاعدة العدد في النحو من ٣ إلى ٩ (إذا كان المعدود مؤنثاً فإن العدد يكون مذكراً) ومن ١٣ إلى ١٩ إذا كان المعدود مذكراً فإن العدد يكون مؤنثاً .

وأخيراً، فإن هناك ملاحظة عامة على تحرير بعض المواد التي يحررها أصحابها بقلب مفتوح فيمجدون أعمال بعض المستعمرين في ميادين العمل الثقافي في المغرب ولا سيما اهتمامهم بالتراث الأمازيغي . وكان يجب الاكتفاء بالحديث عن الدراسات الوطنية في هذا المجال لأن ما درسه الأجانب كان موظفاً لخدمة المصالح الاستعمارية .

- صفحة ١٨٥٤ عمود ٢ سطر ٤٢ : عبارة هكذا : "ولعبت (أسرة بوليب) أدوار أساسية" . والصواب أدواراً لأنه مفعول به .

- صفحة ١٨٥٨ عمود ٢ سطر ٢٠ : عبارة هكذا : "... منذ الصخور الشاطئية" أي ابتداء من الصخور الشاطئية . وهذا غلط لأن منذ لا تدل على المكان بل للزمان خاصة فلا تقول مشيت منذ الشارع الطويل . بل تقول مشيت ابتداء من الشارع الطويل .

- صفحة ١٨٦١ عمود ١ سطر ٢٠ : بومخيط لتسمية نوع من الأسماك تسميه المعاجم أبو منقار . وإذا كان التساهل يقع بالنسبة لمسميات بعض الحيوانات أو الطيور أو الأسماك بأسمائها الدارجة فإنما يكون ذلك لصعوبة النطق باسمها العلمي المتداول بين علماء الطبيعة . ولكن إذا كانت المعاجم اللغوية قد نصت على اسم معروف فيجب الالتزام به دون غيره .

وكذلك الأمر بالنسبة لأبي ملعقة لنوع من الطيور فلا يعدل عنه إلى بومعيلقة المعروف بالتعبير الدارج . انظر: صفحة ١٨٦٤ وفي الصفحة نفسها بومقيص .

- صفحة ١٨٧٦ عمود ٢ سطر ٢٨ : ورد لفظ الجمع لقبة على هذا الشكل (قبابهم) وهو خطأ واضح .

- صفحة ١٨٨٤عمود ٢ : تكرار إيراد نقوش جمع نقش بعبارة (نقائش) والمفرد بعبارة (نقيشة) وقد نبهنا على

هذا الجمع في ملاحظات سابقة .

– صفحة ١٩١٤ عمود ٢ : ورد هذا التعبير : "العينان صفراء" والصواب العينان صفراوان .

– صفحة ٩٤٩ سطر ٣٣ : الرقّاب بمعنى (حارس متفطن) وجمعه رقباء . ولا أصل لهذا الجمع (الرقاب) في معاجم اللغة . وقال محرر المادة ولعل في الاسم (الرقاب) مضمون اللسان الدارج (الركاب) أي المراقب من بعد . والركاب في الاستعمال الدارج تأخذ بمعنى الرؤية عن قرب . فعندما يقال "ركب عليهم" أي رأوه آتياً من مسافة قريبة . ونقول "ركب على المدينة" أي بدأ يرى مشارفها وبداياتها .

– صفحة ٩٨٣ عمود ١ سطر ١٦ : مادة (البارود) . وردت عبارة هكذا : " ... وهذا ما فتح لها بابا الاستعمار" والصواب : "بابي" كما هو معلوم من القواعد بالضرورة".

– صفحة ٩٩٥ عمود ٢ سطر ٢٣ : مادة (باسي رونو) وردت هذه العبارة : (... ومن أبرز أعماله في الميدان الأفريقاني ... إلخ) والنسبة هنا بطبيعة الحال يجب أن تكون "الأفريقي" لا غير تبعاً لقواعد النسب .

– صفحة ١٠٧٩ : عمود ١ سطر ٤٢ مادة (البحرية المغربية)، وردت هذه العبارة : (... منها ثلاث حراقات وسفينتان من ذوات الصاريين ودزينة من الزوارق) ولو قال محرر المادة واثنا عشر زورقاً لسلم تعبيره من الدخيل الذي لم تسعه اللغة العربية .

– صفحة ١١٣٢ مادة (البربر) وردت هذه العبارة (... فخلافاً لرأي منتشر بأوربا وما زال يتجرجر في الكتب المدرسية ... إلخ) وفعل تجرجر قصد به هنا تردد يعني أن هذا الرأي ما زال يتردد في الكتب المدرسية وهو من أخطاء الترجمة لأن هذا الكلام نقله محرر المادة عن ترجمة لكلام أحد الأجانب . أما فعل جرجر وتجرجر في الفصحى فيفيد صورة مادية محسوسة ومسموعة لصوت غرغرة الماء في الحلق .

ثانياً : تصويبات في الأحداث التاريخية :

– صفحة ١٠٤٢ عمود ٢ سطر ٢١ مادة (البجلية) : ذكر محرر المادة أنه بعد وفاة إدريس الأزهر وزع ابنه عبدالله بن إدريس في بداية القرن الثالث (٩م) المناطق المغربية على إخوته .. إلخ . وقد أخطأ محرر المادة في نسبة هذا العمل إلى عبدالله . لأنه من صنيع أخيه محمد الذي عمل بإشارة جدته كنزة فقسم المغرب بين أخوته . انظر الاستقصا، ج ١ صفحة ١٧٢ .

ثم يقول محرر المادة بعد ذلك : (ومنهم عبدالله بن إدريس الذي اختص بسوس) وهذا تعبير غير دقيق لأن عبدالله اختص بأغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد سطة والسوس الأقصى وتفيد عبارة محرر المادة أن هناك عبدالله الأول الذي قسم المغرب بين إخوته حسب تعبيره وعبدالله الثاني الذي اختص بسوس . فوجب التنبيه على ذلك .

– صفحة ١٣٢١ مادة (بلا فريج) : تطرق كاتب المادة لنشاط الحاج أحمد بلا فريج السياسي في فرنسا وهو لا يزال في مرحلة الطلب ومشاركته في تأسيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا سنة ١٩٢٦م . وقال : وفي نفس الوقت الذي تأسست فيه حركة سياسية مهمة تجندت للدفاع عن قضايا شعوب شمال أفريقيا وهي نجم شمال أفريقيا الذي تزعم تسييرها القائد الوطني الجزائري مصالي الحاج . والحقيقة أن الاسم الحقيقي لهذه الحركة هو حزب النجم الأفريقي ولم يكن للدفاع عن شمال أفريقيا عامة وإنما عن الجزائر خاصة . وكانت جريدة الأطلس لسان كتلة العمل الوطني قد نشرت في عددها الأول بتاريخ الجمعة ١٢ /٢ / ١٩٣٧م مراسلة مطولة عن تعطيل حزب النجم الأفريقي نورد منها ما يلي :

«حملت لنا الصحف خبر ما قررته حكومة باريز من تعطيل حزب النجم الأفريقي ، والمغاربة يعلمون أن هذا الحزب وإن كان اسمه يوهم أن دائرة عمله تمتد في أفريقيا الشمالية كلها فهو لم يشتغل بكيفية مباشرة إلا بالمصالح التي ترجع للقطر الجزائري الشقيق . بل إن عمله لحد الانتخابات الفرنسية الأخيرة كاد يكون مقتصراً على نشر الدعاية لمبادئه في أوساط العملة

الجزائريين بباريز» .
ثم استمرت المراسلة في الحديث عن مؤسس هذا الحزب وهو الأمير خالد الجزائري الذي أسسه بعد نفيه من بلاده واستقراره بباريز، لأنه كان يطالب فرنسا بتنفيذ الوعود التي قطعتها على نفسها للشعب الجزائري مقابل ما بذله الشعب لفرنسا في الحرب العالمية العظمى ، ثم غادر الأمير خالد فرنسا إلى سوريا فوقع حزب النجم تحت تأثير الشيوعيين . ولكن جماعة من القادة المخلصين أبرزهم الزعيم مصالي الحاج استطاعوا إنقاذ هذا الحزب من براثن الشيوعيين وذلك عندما تولى رئاسته بنفسه .

وكان المستعمرون يكنون عداء لهذا الحزب منذ تأسيسه. وصدر حكم بحله من طرف المحاكم الفرنسية بباريس سنة ١٩٢٩م . ولكن أداة التنفيذ لم تقوم بواجبها فبقي الحزب يمارس نشاطه إلى سنة ١٩٣٤م حيث جدد وزير العدل الفرنسي طلب تعطيل الحزب . لكن نجاح الواجهة الشعبية في الانتخابات أطال حياة الحزب بعد تحالفه مع الواجهة المذكورة، ثم في سنة ١٩٣٧م قررت حكومة باريز تعطيل حزب النجم الأفريقي بدعوى قيامه بدعاية الجزائريين إلى الانفصال عن فرنسا .

– صفحة ١٨٨٣ عمود ٢ ورد بخصوص رحلة الملك محمد الخامس إلى طنجة عام ١٩٤٧م والمؤامرة التي دبرت للأبرياء من المواطنين المغاربة بالدار البيضاء وذلك قصد إفساد الرحلة على الملك . فقال محرر المادة بأن مذبحة الدار البيضاء كانت في اليوم الثاني من رحلة الملك إلى الشمال . وهذا غلط لأن مذبحة الدار البيضاء وقعت يوم ٧ أبريل والرحلة كانت يوم ٩ أبريل .

– صفحة ١٩٥٥ مادة (البيضاوي شعيب) . وذكرت المعلمة عن هذا الفنان الشعبي مادة تاريخية مهمة ولكنها لم تعرج أثناء الحديث عن الفنانين العاملين مع بوشعيب البيضاوي على الفنان القدميري الفكاهي المعروف .

ثالثاً : ملاحظات في ترتيب المواد :

– صفحة ٩٩١ مادة (باستور معهد) والسؤال هو هل المعلمة تتحدث عن المعهد الذي يحمل اسم باستور ، أو تتحدث عن باستور الذي يوجد معهد بالمغرب يحمل اسمه . وحيث إن المادة تتحدث عن معهد وليس عن باستور فكان من اللازم أن تكون في حرف الميم وليس في حرف الباء .

– صفحة ١٠٢٤ (الباهية قصر) – بتقديم المضاف إليه على المضاف ومثله (البديع قصر) . وحق هذه المادة أن تكون في حرف القاف . لأن الباهية والبديع وقصر المجاز وقصر عبدالكريم .. إلخ . معرفة بالإضافة التي لا يمكن أن تكون مجردة منها .

– صفحة ١٢٤٩ مادة (البشير)، وفيها ورد البشير القائد ابن الحسن الأصبوبي أو الصبويي . وحق هذه المادة أن تكون في حرف الألف مع الصاد . وهكذا الأمر في مادة (أبي بكر) امتداداً من صفحة ١٣٠٥ إلى ص١٣١٦ . حيث تورد المادة للاسم الشخصي (أبا بكر) كأنه هو اسم الشهرة فيما العكس هو الصحيح . وأوردت المعلمة تسعة أعلام باسم أبي بكر فهل هذا هو كل من سمي بأبي بكر من المشاهير ومثار الاستغراب هو أن المعلمة لا تلتزم بقاعدة مطردة في تراجم الأعلام سواء منها البشرية أو الجغرافية فهي تارة تأتي بالاسم ثم بالاسم العائلي بعده وتارة بالاسم العائلي وهذا الأخير هو النظام الأسلم والأسهل للحصول على المادة في زمن قصير .

– صفحة ١٢٥٧ مادة (البصري) وردت مرتين بالمعنى نفسه مع تغيير طفيف في العبارات .

– صفحة ١٣١٦ مادة (بلاد سيدي علال البحراوي)، تحدث كاتب المادة عن الآثار التي اكتشفت بسيدي علال البحراوي وليس بالمادة تعريف جغرافي أو تاريخي للمنطقة . إذن كان من الأولى وضع هذا التعريف بالآثار في مادة الآثار .

رابعاً : ملاحظات عامة :

– صفحة ٩٤٥ عمود ١ مادة (باب) : وقع الحديث عن وصف الباب تاريخياً وفنياً ونسي كاتب المادة أن يشير إلى (الخرصة) الدقاقة المعدنية التي كانت بالأبواب ومن متمماتها . وكانت (للخرصة) هذه بأبواب المساجد

وظيفة دينية حيث تعلن دقاتها عن حضور وقت الصلاة . فيستجيب الحرفيون وأصحاب المتاجر المجاورة للمسجد للصلاة . ثم هناك ملاحظة أخرى وهي أن الحديث تناول أبواب مدن الرباط ومكناس ومراكش وسلا وفاس وأخذت مراكش حصة الأسد ، وأما مدن تطوان وطنجة والقصر الكبير فقد أهمل الحديث عن أبوابها التاريخية وهو أمر يستدعي الاستغراب ... !

– صفحة ١٠١١ مادة (باكريم بن إبراهيم التاسلاتي الباعمراني): كان حقها أن تضاف إما إلى مادة الباعمرانيين قبلها بصفحة ١٠٠٨ و ١٠٠٩ أو تكون في حرف التاء . ونلاحظ أن المعلمة لا تلتزم بطريقة واحدة في إثبات الأعلام فتارة تقدم الاسم الشخصي وأخرى تقدم الاسم العائلي أو تكتفي بالنسبة إلى المدينة .

– صفحة ١٠٨٨ عمود ١ مادة (بحيرة أمسنا) : لقد تعمد كاتب المادة أن ينال من الدين بدون أن يكون هناك مبرر للحديث عن الدين . فهو يقول : (.. أما مسألة سبعة أعوام الواردة في نص الروض المعطار المنقول عن الاستبصار فلها علاقة بالأساطير والاعتقادات الدينية...إلخ) . فاقتران الدين بالأساطير هو من الجهل الفاضح اللهم إلا إذا كان الشخص لا يعتقد في الدين إلا مجرد أساطير . وللقارئ أن يراجع المادة في المعلمة ليتضح له أن إيراد الأساطير والدين هو مجرد إقحام لهما في المادة للنيل من الدين ليس إلا .

– صفحة ١١٠٢ مادة (البدالي سيدي رحال) : هذا الشخص مشهور عند العامة والخاصة بسيدي رحال وأصحاب طريقته يسمون بأولاد سيدي رحال فوضعه في مادة البدالي هو من باب التعمية على الباحث . وكاتب المادة نفسه يقول بأنه يدعى رحال البودالي أي أن اسم الشهرة هو رحال وأما البودالي فلا يكاد يعرف به . لذلك فوضعه في حرف الراء أولى .

– صفحة ١١٠٩ مادة (بادري عمر) : وردت هذه العبارة (يرتدي الجبادول والشاشية والرزة) الجابادور بالراء لا بالام هو تحريف للاسم الأجنبي (جوب دور Jupe de hors) ومعناه المعطف الخارجي وكان الجابادور يتأنق في خياطته ويختار له نوع من الثياب ممتاز .

– صفحة ١١٣٥ مادة (بربيس) لنوع من السمك : كان الأولى بالمعلمة أن تتمم الوصف الكتابي بنشر رسم حقيقي لهذا النوع من السمك حتى يتضح المقصود. وهذه الملاحظة التي أثبتها هنا لا تختص بهذه المادة وحدها بل هي تسري على كثير من المواد الأخرى . على أن المعلمة تخالف هذه الملاحظة في كثير من المواد فتأتي بصور توضيحية لها فيا ليتها عممت ذلك ولم تخصص .

– صفحة ١١٧٢ مادة (البرقوقيون) : ورد هذا التعبير (... وبعض المنادل والكرزيات التي يضعنها) وكان من واجب كاتب المادة أن يضع شرحاً هامشياً على لفظة الكرزيات مفردها كرزية هي حزام طويل يصل إلى أكثر من ثلاثة أمتار يكون من الصوف لونه أحمر أو أخضر أو أزرق . تديره المرأة البدوية على خصرها ولا زال مستخدماً إلى الآن في البادية بشمال المغرب . والملاحظة نفسها تنسحب على لفظة فلقة صفحة ١٢٩٥ عمود ٢ سطر ١٩ فالفلقة هي آلة الشد على الرجلين لعقاب المخطئ من التلاميذ . والأمر نفسه بالنسبة لصفحة ١٣٧٧ التي ورد فيها مصطلح (الربيعة) لصندوق الصدقات والهدايا الذي عادة ما يكون في بعض الأضرحة ، يضع فيه الزوار بعض النقود أو الشمع .

– صفحة ١١٨٣ مادة (البركة) : لقد أفاض كاتب المادة في موضوع البركة وجاء بكلام لا يمت إلى الإسلام بصلة . كقوله : (إن امتلاك البركة يسمح لصاحبها بالتوسط بين العبد وخالقه بل حتى بين العبد وأخيه) وكقوله : (لذلك فإن البركة لم تكن فقط معتقداً دينياً بل وكذلك دعامة أساسية لحفظ التوازن الاجتماعي) وكقوله: (وكتب المناقب ما هي في الواقع إلا تسجيل لكرامات الشرفاء والأولياء الذين استطاعوا بفضل البركة التي أودعها الله فيهم اختراق الزمن وطي المسافات والأخبار بالمغيبات والتوسل عند الله لقضاء الحاجات) فكيف يسمح الكاتب لنفسه أن يقرن الدين

بالخرافات ، وأن يجعل شريكاً لله في التوسط بينه وبين عباده . إن مرد هذا كله هو عدم الدراية بأسس العقيدة الإسلامية والاعتماد على آراء الأجانب فيما يكتبون عن الإسلام والمسلمين ولو شئنا أن نناقش الأفكار التي وردت في هذه المادة لطال بنا الأمر ولكن تكفي الإشارة .

- صفحة ١٢٩٩ مادة (بقر) : ورد جمع مزرعة على مزرعات. والصواب كما في قواميس اللغة .
- صفحة ١٣٦٩ مادة (بلند) : أثناء الحديث عن معدن الزنك ورد ما يلي : (يستعمل معدن الزنك للغلفنة والصناعات المعدنية) فمن أين استقى كاتب المادة كلمة الغلفنة للدلالة على التغليف الذي هو تغشية الشيء وتغطيته ؟
- صفحة ١٤٤٦ مادة (بنزيان محمد) : وردت هذه العبارة: (معروف بصاحب البر والبحر لما نسب له من كرامات بنجدته للحجاج في البحر وقت الشدة والأهوال). ولو قال محرر الترجمة : وللعامة فيه اعتقاد... إلخ، لخرج من تهمة الإيمان بالخرافات .
- صفحة ١٦٢٧ مادة (بوبريص) : يعني الوزغ مفردها وزغة أو سام أبرص . وقد فضلت المعلمة أن تسميه بوبريص وهو استعمال دارج على هذه الحشرة . كأنه لا اسم له بالفصحى، وحتى لو فرضنا ذلك كان على المعلمة أن تحشد له أسماءه الدارجية التي تختلف في الشمال عنها في الجنوب كما فعلت مع عدد من المسميات التي لا تكتفي فيها باسم واحد .
- صفحة ١٦٤٠ مادة (بوجعران) : وهو الجعل في الفصحى. ولا أدري لماذا العدول عن الفصحى إلى الدارجة التي لا تفي بالغرض لأنها كما قلت آنفاً تتعدد المسميات فيها من إقليم إلى آخر .
- صفحة ١٦٤٧ مادة (بوجنيبة) : أو عقرايشة : أي سرطان البحر وتنطبق عليه الملاحظة السابقة نفسها .
- صفحة ١٦٨٢ مادة (بور ليوطي) : اسم أطلقه الاستعمار على (مدينة القنيطرة) والقنيطرة هو الاسم الحقيقي للمدينة بعد أحداثها سنة ١٩١٤م ولكن الفرنسيين المستعمرين أطلقوا عليها ميناء ليوطي إمعاناً في التغلغل الاستعماري . وكان من حق هذه المادة أن تكون في حرق القاف تفادياً لمتابعة عهد بائد هو عهد الاستعمار.
- صفحة ١٧٠٩ مادة (ابن بوزيد) : ذكر فيها شخص يحمل اسم ابن بو زيد عبدالرحيم بن أبي بكر باشا الدار البيضاء . كان معلماً للغة الفرنسية في عدد من المدن ومديراً بمدرسة السور بسلا (مدرسة الأعيان) توفي بسلا عام ١٩٨٥م .

هذا هو فحوى الترجمة فما هي الغاية منها . وما هو التمييز الذي حصل لهذا الشخص رحمه الله حتى جعله من بين أعلام هذه المعلمة .

وكذلك ترجمة أخرى موالية لهذه وتخص السيد علي بن بوزيد بن الطيب آخر وجهاء هذه الأسرة بسلا برع في الكتابة وجودة الخط وعمل بإدارة الأحباس حتى توفي سنة ١٩٨٤م .

فهل في هذه الترجمة ما يميز هذا الشخص وسابقه عن آلاف الناس من المعلمين والمديرين والتجار والموظفين ؟ !

- صفحة ١٧٤٠ مادة (بوطيور) : فهي مادة غير مجدية لأن تسمية مداشر وقبائل الشمال بأسماء الطيور والحيوانات من طرف رجل أبله ليست بذي بال لذلك فهي مادة زائدة .
- صفحة ١٨٠١ عند الحديث عن أولاد بوعلو . ذكرت المعلمة منهم الفقهاء والموظفين السقدمين . بل حتى من تعاطى منهم الفلاحة ، حيث جاء في التعريف بالحاج بوعلو محمد أنه من (كبار الفلاحين من هذه الأسرة كان يتعاطى الفلاحة ببلاد دكالة أوائل عهد الحماية) . فانظر أي فائدة يستفيدها القارئ من هذا الكلام .
- صفحة ١٨١٩ عند الحديث عن مدرسة بوفتاس بالأطلس الصغيرة، جاءت هذه العبارة : "... ويقال حالياً أن عبدالله أمل المشارط في تلك المدرسة لمدة اثنتين وثلاثين سنة هو الذي أخذ بعض الكتب المحبسة" .

فهل معنى هذا الكلام هو اتهام السيد عبدالله أمل بأخذ الكتب ؟ وحتى لو كان الأمر كذلك فلا يجعل بالمعلمة أن

تتدخل في أمور هي من اختصاص جهات أخرى .

– صفحة ١٨٢٩ مادة (بوالقنادل) وردت هذه العبارة :

"... والاستعانة ببركته على قضاء مآربهم ... إلخ» .

وذلك أثناء الحديث عن زوار ضريح بوقنادل من النساء والرجال . فهل مثل هذه الخرافات تتضمنها مواد المعلمة، إن النافع هو الله القادر على كل شيء وما عداه بشر ضعيف لا يضر ولا ينفع .

ومن الملاحظات المهمة على المعلمة أنها لا تهتم في تراجمها إلا بالموتى . ولذلك فقد نقصت مواد كثيرة ومهمة عن عدد من الأحياء ذنبهم أنهم لا يزالون على قيد الحياة .

ومما يلاحظه القارئ المهتم أن بعض تراجم الأجانب المتعلقة جوانب من حياتهم بالأحداث السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية بالمغرب ، يلاحظ أن كاتب هذه التراجم يتوسع فيها كثيراً بحيث تخرج المادة المكتوبة عن المراد من إيرادها . وذلك بالنسبة للتراجم التالية :

– برنار أوكستان صفحة ١٩٣٠ .

– بيروطون مارسيل صفحة ١٩٣٣ .

– بيريكيم ألبير صفحة ١٩٤١ .

– بيرينكيرد أماسو أفوسطي صفحة ١٩٤٢ .

– المارشال بيتان صفحة ١٩١٩ .

– جورج بيو صفحة ١٩٢٤ .

–فرانسو بيدو دي سانتولون صفحة ١٩٢٥.

– بيريو هانري صفحة ١٩٤٢ .

بعض ما يستدرك على مواد الأعلام البشرية والجغرافية :

ما يدخل تحت هذا الباب كثير، ولكن حسب ترتيب المعلمة الذي لا يخضع لقانون مطرد . فإن حرف الباء مع الحروف الأخرى يختلف ترتيبه . فمادة بني (بني عروس، بني كرفط ... إلخ) توجد مجتمعة في الباء مع النون .

أما مادة (ابن) فعليك أن تبحث عنها في الاسم الذي بعدها (مثل ابن خبازة، ابن عمود، بن عجيبة) عليك أن تنظرها في (خبازة ابن – عبود ابن – عجيبة ابن وهكذا) .

لكن ما يثير الاستغراب وبالتالي القلق أثناء البحث هو أن كثيراً من المواد ذات (ابن) وردت في المعلمة في مادة الباء مع النون (بنهيمة ، بنداود، بنموسى ، بناصر) مثلاً في حين أن (بنسودة) وهي مثلها عليك أن تبحث عنها في سودة – بن. ومادة (بوعشرين) عليك أن تبحث عنها في بني عشرين وأعتقد أن المعروف هو بوعشرين لا بني عشرين .

بناء على ما سبق فلا يمكن التكهن بما نسيته المعلمة من الأعلام البشرية والجغرافية حتى تتم أجزاؤها بحول الله .

وما أوردناه من الأعلام البشرية والجغرافية هو مما تحققنا من عدم إيراده فيها . وهو التالي :

حرف الباء مع الزاي :

البزيوي أحمد بن منصور العلامة القاضي (١٣١٢ – ١٣٩٥هـ) ترجمة بقلم المرحوم عبدالرحمن الكتاني عدد ٢٠٥ – ٢٠٦ من جريدة الميثاق .

حرف الباء مع النون والهاء :

بنهيمة محمد بن الطاهر الفقيه المتوفى بآسفي عام ١٣٧٢هـ . (ترجمة بجريدة الميثاق عدد ١٥٨) .

حرف الباء مع الشين :

البوشراوي محمد الحبيب السوسي ، من العلماء المجاهدين ضد الاستعمار وأحد أساتذة مدرسة تنالت بإقليم أكادير ، توفي سنة ١٩٧٧م . (ترجمة بجريدة الميثاق عدد ٢٤١) .

حرف الباء مع الواو :

بولعيش أحمد بن محمد مصباح الفقيه المتصوف المتوفى عام ١٣٤٩هـ (ترجمة بجريدة الميثاق ع ٣٠٥) .

حرف الباء مع اللام :

بلقات عبدالسلام التطواني العلامة المدرس المتوفى بتطوان عام ١٩٨٣م (ترجمة بجريدة الميثاق عدد ٤٤٩، ٤٥٠ ، ٤٥١) .

البلوي السبتي أبو بكر الأديب، من القرن الخامس الهجري (ترجمة توجد بكل كتب الطبقات) .

البلغيثي عبدالمالك الشاعر الأديب. (ترجمة محررة في كتاب المفيد في تراجم الشعراء والأدباء والمفكرين ص٨٤).

حرف الباء مع الراء :

البربري سابق الشاعر الزاهد (انظر كتاب أشذاء وأنداء للأستاذ عبدالله كنون) .

البطيوي محمد بن عبدالحق (أبو مقرع) العالم الفلكي المشهور كان حياً سنة ٨١٩هـ (ترجمة بجريدة الميثاق عدد ٢٤٥) .

البرجالي محمد من الكتاب المحللين الاجتماعيين .

مادة الباء مع النون :

– بناني محمد عبدالواحد من مواليد طنجة عام ١٩٢٧م . خريج جامعة دمشق في الأدب ومؤلف مدرسي معروف، توفي بسلا عام ١٩٧١م .

– بلبهلول محمد العربي الرحالي : عالم من قلعة السراغنة ومؤسس المعهد الإسلامي بها له مؤلفات مطبوعة وأخرى مخطوطة توفي عام ١٩٨٦م . (الميثاق ع ٥١٦) .

– بنجلون أحمد : من علماء الرباط وخطيب الجمعة بها . توفي سنة ١٩٦٤م . (جريدة الميثاق ع ٥٠) .

– ابن الجناوي إبراهيم : داعية إسلامي عمل بنشاط في جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . توفي بالرباط عام ١٩٧٧م . (ع ٢٣٩ من جريدة الميثاق) .

– ابن الحسن محمد : من علماء مدينة وجدة وموطنه الأول مدينة فجيج . توفي عام ١٩٨٨م . (ع ٥٥٩ من جريدة الميثاق) .

– ابن الخياط عبدالعزيز : علامة من علماء القرويين والده شيخ الجماعة أحمد بن الخياط المشهور توفي بفاس سنة ١٩٧٥م . (ع ١٩٣ من جريدة الميثاق) .

– بلخير الحاج عبدالحق : من علماء فجيج واعظ وفقيه مدرس . توفي سنة ١٩٨٨م . (ع٥٥٦ من جريدة الميثاق) .

– ابن عطية الغالي المراكشي : من علماء مراكش ورئيس فرع الرابطة بها . توفي يوم ١٤ يناير عام ١٩٧٠م (ع١٠٥ من جريدة الميثاق) .

– ابن عبدالصادق عبدالله : حفيد القائد أحمد حدو الريفي. وأحد علماء طنجة تخرج على يده عدد من الطلبة في علوم التفسير والحديث وغيرهما وكان إماماً وخطيباً . امتاز بالتواضع وحسن المعاشرة . توفي بمدينة طنجة سنة ١٩٦٦م (ع٦٥ من جريدة الميثاق) .

– بنعيسى الخلطي : من علماء مكناس . توفي سنة ١٩٦٣م (ع ٣٢ من جريدة الميثاق) .

– ابن عبود محمد بن عبدالسلام : أستاذ ومربٍّ، عمل في ميدان التعليم زمناً طويلاً فأفاد عملاً وتأليفاً ونصحاً وإرشاداً وتكلف بمهمات التفتيش وإدارة التعليم بالشمال ومحافظ لمتحف الآثار والفنون الجميلة بتطوان. وبها توفي عام ١٩٧٢م .

– بنسعود الحاج المكي : من علماء الرباط وعضو المجلس الأعلى للرابطة وكان قاضياً مستشاراً بمحكمة الإستئناف . توفي عام ١٩٦٤م (ع ٦١) .

– بلعطار محمد : من علماء مدينة أسفي فقيه مدرس توفي سنة ١٩٦٩م (ع ١٢٤) .

– ابن عبدالنبي عبدالرحمن : مدير المدرسة الإدارية . توفي سنة ١٩٧١م (ع ١٣٧) .

– ابن المدني عبدالكريم : أديب وعالم سلفي . توفي بالرباط سنة ١٩٧٣م (ع ١٩٧) .

– ابن المودن أحمد : عالم من علماء الرباط . توفي سنة ١٩٧٤م . (ع ١٨٣) .

– بنعياد عمر : من علماء مراكش وأحد الدعاة الإسلاميين ترك خزانة هامة من المخطوطات والمطبوعات . توفي سنة ١٩٨٤م (ع ٤٥٤) .

– ابن شقرون الحاج إدريس : من رواد الحركة الوطنية الأوائل بمدينة فاس . توفي عام ١٩٨٥م . (ع ٤٨٨) .

– ابن عجيبة محمد : من علماء تطوان . مارس مهنة التدريس . وكان يحضر رسالته الجامعية حول العالم الديني أحمد بنعجيبة المعروف . توفي عام ١٩٨١م (ع٣٤٥) .

– بنعلال محمد : من علماء مدينة خريبكة، عدل مدرس . توفي عام ١٩٧٨م (ع ٢٨٧) .

– بنعياد محمد : من علماء شفشاون . خريج الأزهر بمصر ومدير المعهد الديني بمدينته . توفي عام ١٩٨٢م. (ع ٣٨٤) .

– ابن عبدالجليل عمر : مجاهد وطني غيور عمل في صفوف الحركة الوطنية منذ بدايتها ، توفي عام ١٩٨٢م. (ع٣٩٠) .

ناصر الدين على القوم الكافرين للحجري

تحقيق : شورد فان كوننكزفيلد ، وقاسم السامرائي ، وخيرارد فيخرز

عبدالمحسن آل عباس – لندن

الحجري ، أحمد بن قاسم (بعد ١٤٦١م) / ناصر الدين على القوم الكافرين تحقيق وترجمة : شورد فان كوننكزفيلد، وقاسم السامرائي ، وخيرارد فيخرز ، مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، ١٩٩٧م .

صدر في الآونة الأخيرة ، عن المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي في مدريد كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين لأحمد بن قاسم الحجري ضمن سلسلة المصادر الأندلسية رقم ١٢ .

يحتوي الكتاب على مقدمة باللغة الإنكليزية والنص محققاً باللغة العربية وترجمة النص إلى اللغة الإنكليزية وقد أكد المحققون على عدم التدخل في النص بلهجته الأندلسية وتركه كما كتبه مؤلفه أو دون تقويم اللحن وتصويبه، نحو : الأندلس بدلاً من أهل الأندلس أو بلاد فَلَنْضِسْ أي فالاندرز . أو الترجمة الحرفية نحو Harves de Grace إلى مدينة مَرْس الْبَرْكَة؛ وتسمى عندهم بـ : هبْرِ دِغَرَسِي . أو مدينة بُرضيُوشْ أي مدينة Bordeaux أو مدينة بَرِيشْ أي : Paris أو بُنْبَهْ أي . Pump أو إطالة صوت اللين نحو يزمور بمعنى يزمر . أو كتابة السين صاداً أو التاء طاء نحو : يصوع بمعنى يسوع أو يصوط بمعنى يصوت ، أو رَأ بمعنى رأى، أو رحلت بمعنى رحلة ، أو جُمْلت بمعنى جملة وما إلى ذلك مما كان معروفاً آنذاك في الرطانة الأندلسية ؛ ففي الكتاب مادة دسمة لدراسة لهجة أهل الأندلس في القرن الحادي عشر الهجري / السادس عشر الميلادي . وفي ترجمة النص إلى اللغة الإنكليزية أهمية لا تخفى .

والحجري أو ابن الحجري كما يسميه خير الدين الزركلي ، رحمه الله تعالى ، في كتابه الخالد (الأعلام) هو أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم شهاب الدين ابن الشيخ الحجري الأندلسي، باحث ومترجم عن الإسبانية . ولد في قرية الحَجَر، إحدى القرى القريبة من إشبيلية، ثم انتقل إلى إشبيلية . سافر إلى المغرب وأقام في مراكش إلى سنة ١٠٤٦هـ . شغل منصب الترجمان للسلطان زيدان بن أحمد السعدي .

وحج الحجري عام ١٠٤٤هـ إلى مكة المكرمة ، وفي إيابه إلى مصر التقى الشيخ علي الأجهوري الذي نصحه بكتابة مناظراته وجدله مع العلماء والقسيسين والقضاة والأحبار وغيرهم ممن لقيهم خلال رحلاته : (وطلب مني غير واحد من علماء المسلمين أن أعمل تأليفاً بذلك . ولم يتفق العمل إلى أن أمرني شيخنا وبركتنا بمصر المحروسة بالله وهو العلامة .. الشيخ علي بن محمد المدعو زين ابن العلامة الشيخ عبدالرحمن الأجهوري المالكي فأجبته بأكثر مما طلبه ، وجعلت التأليف رحلت) رحلة (سميتها بـ : رحلت الشهاب إلى لقاء الأحباب) واختصر الحجري كتابه هذا نزولاً عند رغبة الأجهوري قائلاً : (وقرأت الرحلة المذكورة) أي رحلة الشهاب (على الشيخ الفاضل المذكور الذي أمرني بمصر بعمل الكتاب ... ، أردت أن أكتب له منها نسخة – كما كان غرضي – أمرني أن أختصر منها نبذة لطيفة ونذكر ما وقع لي من الكلام في الدين ... من المناظرات .. وقد سميت الكتاب بـ : ناصر الدين على القوم الكافرين وهو : السيف الأشهر على كل من كفر . وكان الحجري ، إلى جانب منصب الترجمان ، شاعراً باللغة القشتالية .

تناول عددٌ من الكتاب الحجري وكتابه منهم أبو

عبدالله محمد بن العياش (ت ١١٣٩هـ/١٧٢٦م في كتابه (زهر البستان في نسب أخوال مولانا زيدان)، ومحمد الصغير الإفراني (ت ١١٥١/١٧٣٨م) في كتابيه (نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي (وكتابه) صفة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر .

جعل المؤلف كتابه ثلاثة عشر باباً تحدث فيها عن رحلاته وسفراته ومناظراته وجدالاته إلى جانب علاقاته الشخصية مع رجالات الدول التي زارها وأحبار اليهود وأساقفة الكنائس ، خاصة رئيس أساقفة غرناطة وما وقع له معه في شأن الرق الذي عُثر عليه في صومعة قديمة والألواح الرصاصية التي وجدت في خندق الجنة بقرب مدينة غرناطة .

وتحدث الحجري أيضاً عن قدومه إلى بلاد مراكش، وما اتفق له عند خروجه من بين أيديهم سالماً منهم - أي من جيوش محاكم التفتيش - بعد أن كان في أيديهم متعرضاً للهلاك : من نعم الله تعالى عليّ أن جعلني مسلماً في بلاد الكفار ... وقد جعل الله في قلبي محبة للخروج من بلاد الأندلس مهاجراً إلى الله تعالى والقدوم لبلاد المسلمين وقضى الله تعالى الغرض والمراد وبلغنا إلى مدينة مراكش بالمغرب وبعد ذلك باثنتي عشرة سنة فـرّج الله تعالى على الأندلس بمعنى أهل الأندلس (المسلمين الذين كانوا تحت قهر النصارى وظلمهم فأمر عليهم سلطان البلاد المسمى بفلب الثالث من اسمه بالخروج جميعاً من بلاده) .

ويعتبر كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين من المصادر الأولية لتاريخ إسبانيا السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . ويبحث الكتاب، أيضاً في العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين من جهة وبلدان غرب أوربا من جهة أخرى ، مع التركيز على ما جرى له وعلاقته هو كواحد من أهل الأندلس الذين عانوا وطُردوا من الأندلس ثم أصبح ، بعد ذلك مُمثلاً لسلطان مراكش في هولندا وفرنسا هذا إلى جانب علاقاته الاجتماعية والدينية .

والكتاب الذي بين أيدينا يصور جانباً من الجرائم الوحشية التي ارتكبها جلادو محاكم التفتيش ، ولا يصورها كلها على حقيقتها على اتساع مداها . فلم تكن محاكم التفتيش قد أنشئت لمحاربة العقائد والأديان التي تخالف معتقدات الكنيسة الكاثوليكية فحسب ، بل أنشئت أساساً من قبل السلطات الحاكمة تحت ضغط الكنيسة لمحاربة كل فكرة حتى ولو كانت دنيوية أو علمية بحتة . ورتبوا أنظمة كهنوتية هدفها اضطهاد المسلمين أسموها بأسماء متعددة منها على سبيل المثال : فرسان الهيكل ونظام ماري يعقوب ونظام ماري جرجيس إلى ما غير ذلك.

ديوان محاكم التفتيش :

كيف بدأ ديوان محاكم التفتيش ؟

اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية سنة ٧٢٩هـ لأول مرة ، أيام البابا غريغوريوس التاسع ، اجتماعاً تمهيدياً لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في عقيدته الكاثوليكية وكل من كان على معتقد غير ما يعتقدونه كالبروتستانت وجماعة المفكرين الأحرار والمسلمين واليهود وغيرهم .

وفي سنة ٧٣٤هـ صدرت الأوامر البابوية إلى جميع الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن أو قسيس خاص للبحث عن كل من كان على معتقد يخالف العقيدة الكاثوليكية وتقديمه لمحكمة بابوية خاصة . وخول لكاهن التفتيش الخاص أن يمارس ويعمل بما يراه لازماً، مثله كمثل القوات الخاصة أو من شابههم في بعض البلاد العربية في الأوقات الراهنة . أما قاعات محاكم التفتيش والسجون وغرف العذاب فكانت تقام في الأديرة، وكان يطلق عليها دُور الديوان المقدس .

وهكذا أعلنت كنيسة البابا الحرب المقدسة الصليبية ضد المسلمين وغيرهم في الأندلس والبلدان الأخرى .

ولم يغفل المؤلف غدر الإسبان بحكام أميركا الجنوبية وأهلها وإرغامهم على التخلي عن لغتهم ومعتقداتهم وبعد ذلك قتلهم بحجة تخليصهم من أدران الدنيا، وأنهم ذاهبون

إلى حياة خالدة مع القديسين، كما حدث لأقوام المايا والإنكا وغيرهم ؛ وأن الكنيسة ممثلة برهبانها وقساوستها أمرت بحرق وإتلاف كل ما من شأنه أن يمثل خروجاً عن معتقداتهم الكنسية فهدمت المعابد وأحرقت الرقم التي هي عصارة الفكر لتلك الأقوام .

(وصح أن سلطان إشبانية – وهي بلاد الأندلس – أراد أن يبعث رسولا للقعود في القسطنطينية عند السلطان العثماني مثل ساير ملك النصارى ولم يقبلوه ؛ لما تحققوا من عداوته للإسلام وغدره فيما مضى مما صدر منهم مع سلطان الهنود المغربية بمدينة مِشق أي مكسيك المسمى مُتَشُمه أي Muntazmah ؛ إذ مشوا إليه بهدية وقتلوه . والعهود الذي عاهد الذي عاهد المسلمين الأندلس حين أخذ بلادهم ثم نكثها وأن حين أمر على الأندلس بالخروج من بلاده ؛ كل من علم به أنه يمشي إلى بلاد المسلمين أخذ لهم الأولاد : كل من كان أقل من عشر سنين أو نحو ذلك ؛ وغيرُ ذلك مما ذكر عنهم في أخذ مدينة مِلاَنْ).

ويذكر الحجري الخوف والرعب والهلع الذي أصاب أهل الأندلس من ممارسات محاكم التفتيش فيقول : «وبينما كنت أطالع الكتاب إذ جاء بعض المسافرين من بلادي إلى مدينة غرناطة وعلمت في أيي موضع من الفنادق كانوا فمشيت إليهم والكتاب عندي وبعد السلام والكلام فتحت الكتاب فلما راوه مكتوباً بالعربية دخلهم الخوف العظيم من النصارى ، ... وكان أهل بلدي جميعاً يظنون أن الحرّاقين من النصارى الذي يحكمون ويحرقون كل من ظهر عليه شيءٌ من الإسلام أو يقرأ كتب المسلمين يحكمون فيه ؛ ومن أجل ذلك الخوف العظيم كان الأندلس تخاف بعضهم من بعض ولا يتكلمون في أمور الدين إلا مع من كان ذِمِة ؛ معناه ذو أمنة =، وكثير منهم كانوا يخافون بعضهم بعض؛ ... ولما رأى الأندلس الحالة التي كنت عليها كانوا يقولون فيما بينهم : لا بد لهذا من الوقوع في أيدي الحَرّاقين . وبلغ الحال بي حتى إذا وقفت مع جماعة للكلام نرى كل واحد منهم ينسل حتى نبقى وحدي مفرداً» .

ويذكر الحجري وهو شاهد عيان ، نتفاً من حالة المسلمين هناك « بعد أن دخلوهم جميعاً كرهاً منهم في دينهم ؛ وكانوا يعبدون دينين : دين النصارى جهراً ودين المسلمين في خفاء من الناس ؛ وإذا ظهر على أحد شيءٌ من عمل المسلمين يحكم فيهم الكفار الحكم القوي ويحرقون بعضهم ؛ كما شاهدت حالهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها» .

ويبين الحجري معاملة ما يلاقيه من يقرأ العربية أو يتحدث بها من رجال الكنيسة وجواسيسها، فيقول الحجري ، عندما تيقنوا من معرفته اللغة العربية وذلك ليقوم بترجمة النصوص العربية : «وقال لي : القسيس الكبير أمَرَ أن تمشي إلى معي حَضرْته ؛ قلت في نفسي : كيف الخلاص والنصارى تقتل وتحرق كل من يجدون عنده كتاباً عربياً أو يعرفون أنه يقرأ بالعربية . أما من يظهر عنده القرآن الكريم ، كما يقول الحجري ، «يقتلونه ويأخذون ماله ويحرقونه» .

وفي مكان آخر نرى الحجري يكذب من شدة خوفه على نفسه عندما سأله القسيس مَلْضُنَض عن تعلمه العربية قائلاً : قال : أين تعلمت اللغة العربية ؟ قلت : اعلم أيُهَ السيد إنني أندلسي من الحجر الأحمر وكلامنا فيه فهو بالعربية، ثم تعلمت نقرا بالعجمية ثم مشيتُ إلى مَدْريل – بلد السلطان – فوجدت فيها رجلاً طبيباً أندلسياً من بلاد بلنسية اسمه فلان وعلمني نقرا بالعربية وجائني سهلاً لكوني عربياً في الأصل .

ثم قال لي : وأين معلمك الطبيب ؟ قلت : مات رحمه الله قبل هذا العهد بنحو السنتين أو ثلاثة – وكلما قلت له فيما سألني عن الطبيب أنه كان من بلاد بلنسية كذب ؛ ولكن كانت القراءة بالعربية لأهل بلنسية مباحة في غير دين الإسلام ممنوعة لساير أهل بلاد الأندلس، وتسترت بالكذب من شرهم» .

ومما هو جدير بالذكر هنا ما ذكره الحجري عن اليهود وسيطرتهم على شؤون الناس والتحكم برقابهم، مع العلم أن المسلمين بعد فتحهم الأندلس أعلوا من شأن

اليهود حتى أن بعض مؤرخيهم قد عدّ تاريخهم في الأندلس عصراً ذهبياً ، قائلاً : (اعلم أن اليهود الذين هم بتلك البلاد .. وأكثرهم ببرتقال) البرتغال ؛) وكانوا في الظاهر نصارى وفي خفاء منهم يهود وكانوا يخفون أنفسهم بين النصارى أكثر من الأندلس ؛ ... وإذا أدرك أحدهم أمراً يتحكم على الناس يضر بهم كثيراً لا سيما بالأندلس حتى أن الناس إذا ألحقهم ضرر ممن يحكم ، سواء كان الحكم على النصارى أو على الأندلس يبحثون على أصله ، ويجدونه يهودياً مخفياً أو من سلالتهم : أما من الأبوين أو من جهة أبيه أو أمه؛ لأنهم من أجل الرياسة والطمع كانوا يختلطون في التزويج مع النصارى ويعطون بناتهم ويتزوجون منهم وجميع اليهود فيهم من الكبر الخفي ما لا كنت نظن فيهم ؛ حتى رأيتهم بالبلاد المذكورة ؛ وهي فرنجة وفلنضس) فرنسا وهولندا . (وفيها هم أشهر مما هم ببلاد الفرنج لأن لهم الإذن في نقل السلاح واللباس مثل أهل فَلَنْضِس .

ذكر الأسباب التي قال سلطان النصارى أنها حملته على إخراج المسلمين من بلاده :

وأصدر ملكا إسبانية فرديناند وإيزابيلا مجموعة من المراسيم متتابعة زمنياً تقضي كلها باضطهاد المسلمين .

ففي يوم الثلاثاء في الرابع من محرم الحرام عام ٩٠٧هـ والموافق العشرين من شهر تموز سنة ١٥٠١هـ صدر أمر بمنع وجود المسلمين في مملكة غرناطة ، ويحظر على المسلمين أن يتصلوا بغيرهم ، وكل من يخالف تلك الأوامر فجزاؤه الموت وتصادر أملاكه .

وفي يوم الثلاثاء في الثالث عشر من شهر رمضان عام ٩٠٨هـ والموافق الثاني عشر من شهر شباط سنة ١٥٠٢م صدَر أمر ملكي آخر يحتم على كل مسلم حر يبلغ الرابعة عشرة من عمره إن كان ذكراً والثانية عشرة من سنها ، إن كانت أنثى أن يغادر مملكة غرناطة قبل أول أيار التالي أي لمدة ثلاثة أشهر .

وأما ما ذكرته في هذا الباب مما جوبت به للأمير السلطان زيدان بن السلطان أحمد سلطان مراكش (في شأن الأسباب التي حملت لسلطان النصارى على إخراج الأندلس من بلاده فنذكر هنا شيئاً لم نذكره في النسخ التي سبقت لهذا المختصر .

اعلم إن سلطان البلاد المسمى بفلب الثاني ، من اسمه – أعني ممن سمي من السلاطين بفلب – وبينت هذا لأني طالعت بعض كتب التواريخ للمسلمين فيما وقع لهم من الحروب مع سلطان البلاد المسمى بالفُنْش؛ ولم يبينوا أيهم كان ؟ لأن ببلاد الأندلس كان فيها أكثر من اثنا عشر سلطاناً من سُمي بالفُنْشُ ؛ إلا أنهم يذكرون كل واحد بحسابه من الاسم ، مثل أن يقولوا : الفنش الرابع أو الثامن أو العاشر . والمؤرخورن المسلمون لا يذكرون درجة الاسم . وهذا فلبّ الثاني أمر في بلاده كلها قبل خروجي منها أن يزمموا) أي يُحصوا (جميع الأندلس صغاراً وكباراً ؛ حتى التي في رحم النساء بظهور الحمل . ولا علم أحدُ السر في ذلك .

ثم بعد ذلك بنحو السبع عشرة سنة عملوا زماماً آخر مثل الأول – كما أعلموني بمراكش – ولم يدر أحد السر في ذلك حقيقة ، لكن قال لسان الحال : أنهم أرادوا يعلموا هل كانا في زيادة أم لا ؟ ولما وجدوا زيادة كثيرة أمروا بقرب ذلك بإخراجهم ، وكتب السلطان فلب الثالث من اسمه – كتاباً لقريبه وخليفته بمدينة بَلَنْسِيْه يأمره أن يشرع في إخراج الأندلس . وترجمت نسخة من البراءة أي المرسوم الملكي / الوثيقة للسلطان مولاي زيدان ابن السلطان مولاي أحمد بمراكش، وكان تاريخ الكتاب – والله أعلم في أول عام ثمان عشرة وألف من الهجرة ، قال فيه : «مَرْكشْ ذا قرَسنَا .. قريبنا خليفتنا في سلطنتنا بلنسيه سلام !

قد علمت ما صنع وعمل مع النصارى الجدد الأندلس أهل تلك السلطنة وقَشْتَالَة على طول السنين الكثيرة الماضية من التحريض والإرشاد لإثباتهم في ديننا المجيد وإيماننا ، ولا نفع معهم قليلا ولا كثيراً لأنه لم يُجَدْ فيهم واحد من هو نصراني حقيقة . والغررُ والشر الذي يمكن أن يحدث بسبب ما تعامينا عليهم ؛ وقد ذكره إلينا رجال

علماءُ وصلحاء وأنه لزمنا إصلاح ذلك الأمر لِنَرْضِي به الله؛ ونزل غضبة من أجل هذه الأمة ؛ وأفتوا فيهم أنه يجوز لنا من غير شك أن نعاقبهم في أنفسهم وأموالهم ؛ لأن الاستمرار على سوء أفعالهم خَتم وحكم عليهم أنهم منافقون وأعداء للمقام الإلهي والإنساني ، وهب إننا قادرٌ على أن نجزيهم ونُعاقبهم بما أوجب سوء فعلهم ولومتهم . فمع ذلك اخترت مُعاملتهم على طروق الحلم واللين وترك المواخذة . وبسبب ذلك أمرنا باجتماع المَحفل الذي حَضرت فيه مع العلماء والأكابر في تلك المدينة لعلي نجد سبيلاً لترك إخراجهم من مملكتنا ؛ ونحن في هذا تحققنا وصح من وجه : إنهم بعثوا للتركي الكبير بإصطنبول ومولاي زيدان بمراكش رُسُلَهم يطلبون منهم أن ينجدوهم وأنهم عندهم مائة وخمسون ألف رجلاً مسلمون ؛ مثل الذين ببلاد المغرب الإفرقية ؛ وأيضاً بعثوا لأعدائنا البحرية بالجهة الشمالية التي تحت القطب (أي هولندا) وأنعموا أنهم يعينهم بسفونهم . وأما سلطان إصطنبول قد أصطلح مع سلطان الفرس لأنه كان يشغله ؛ أما سلطان مراكش فقد عزم على تدويخ البلاد وتسكينها ؛ وإذا اتفقوا جميعاً مع هؤلاء نرو نفوسنا في الأمر الذي لا يخفى .

وللقيام بما لزمنا من حفظ مملكتنا ، دفع ما يعرض لها اتفق نظرنا - بعد أن دعوت الله وأمرت بالدعاء له طعاماً ومتكلا في تأييده ونصره لما يجب لمجده وفضله - على إخراج جميع الأندلس الذين هم في تلك السلطنة لأنهم أقراب للغرر ؛ والإنجاز بذلك أمرنا بإشهار هذا الأمر وينادى به .

فأولاً يعرف منه أن جميع الأندلس التي في تلك المملكة رجالاً ونساء بأولادهم في ثلاثة أيام من شُهرة هذا الأمر بالبلاد التي هم ساكنون أن يخرجوا ويمشوا ليركبوا البحر في الموضع الذي يُومر به ؛ وأن يحملوا من العُروض والأثاث ما يستطيعون عليه ؛ ليركبوا في السفن والأغربة التي هي موجودة لحملهم إلى بلاد المغرب ؛ وينزلونهم من غير مضرة لأحد في النفوس والأموال ويعطونهم ما يحتاجون إليه من الطعام ما داموا فيها . ومن أراد أن يحمل لنفسه ما يقدر عليه فليفعل ومن يتعدى عن هذا الأمر فليقتل في الحين .

وأن كل من يوجد بعد ثلاثة أيام التي ينادى بالأمر خارجاً عن بلده يجوز لكل من لقيه أن ينهب ما عنده ؛ ويُسلمه للحكام (أي محاكم التفتيش) وإن امتنع يجوز له قتله .

وأن كل من يسمع الندا لا يخرج من بلده إلى غيره حتى يمشي مع من يقودهم إلى ركوب البحر .

وأن كل من يدفن شيئاً من أمتعته إن لم يستطع الرفود معه ؛ أو يحرق شيئاً من الزرع أو الأشجار ، أن يقتل على ذلك ؛ وأمرنا جيرانه بتنفيذ الحكم فيهم .

ولما يُصلح بالبلاد من معاصر السكر والروز وسقي البلاد ليعلموا السكان الجُدُد ؛ أمرنا بقعود ستت من الأندلس بأولادهم الذين يتزوجوا في كل بلد يكون من مائة دار والأمر في ذلك لتعيينهم فهو لمَول كل بلد ويكون من الفلّحين القدماء الذين ظهر عليهم القرب والميل لديننا ، ويرجى فيهم الثبات عليه .

وإن الرماة والنصارى القدما لا يأخذون شيئا من أموالهم ولا يقربوا إلى نسائهم وأولادهم ولا يكتم منهم أحداً في داره ؛ ومن يفعل ذلك يجعل في مقدف الأغربة ست سنين ويزاد على ذلك ما يظهر لنا .

وليعلموا أن السلطان ما مُراده إلا إخراجهم من بلاده إلى بلاد المغرب ؛ فلا يضرهم أحد بوجه من الوجوه ؛ وأنه ينفق عليهم ويحملهم في سفنه ؛ وإذا بلغوا فليرجعوا عشرٌ منهم ليعلموا لغيرهم وكبراء الأغربة والسفن فَلْيَعْلموا بهذا الأمر .

وأن الصبيان والأيتام من أقل من أربع سنين ؛ إذا أرادوا القعود برضاء وكلائهم والأوصياء فليقعدوا .

وأن الصبيان الذين يكون أولاد نصارى لا يخرجوا ولا لأمهاتهم معهم وإن كانت أندلسية . وإن كان أبوهم أندلسي وأمهم نصرانية فتقعد المرأة بأولادها التي من ستت فاقل وهو يذهب ويخرج .

وشهر هذا الأمر ونودي به في الثاني والعشرين من

شهر شُتنبر من عام تسع وست مائة وألف من ميلاد سيدنا عيسى - عليه السلام - انتهى) .

ثم يمضي الحجري فيقول : (وبعد أن خرجوا أهل سلطنة بلنسيه ؛ فأمر بالخروج للذين كانوا بالأندلسية وغيرها من البلاد القريبة إليها أن يخرجوا . وبعد أن اكتروا السفن - وهم في واد إشبيلية - بعث السلطان أمراً عكس الأول ؛ وقال أن كل من اكترى سفينة ليمشي لبلاد المسلمين أن يأخذوا لهم كل من كان أقل من سبع سنين من الأولاد والبنات . وأخرجوا كل من كان في عشرين سفينة . وأخذوا لأهل الحجر الأحمر نحو ألف من الأولاد وكل من جاز طنجة وسبتة، فأخذوا لهم أولادهم مثل الآخرين .

وتخلت عن مسلمي الأندلس مراكز القوى الإسلامية في تركيا : بايزيد ومصر : قايتباي ، واكتفيا بإرسال الرسائل والكتب إلى فرديناند وإيزابيلا والبابا وملك نابولي طالبين فيها بالطرق الدبلوماسية عدم إرهاق المسلمين .

واشتدت جيوش الحاكم وملوك قشتالة وأراغن في ملاحقة المسلمين ومطاردتهم فشتتت جموعهم وفتكت بهم وأعملت فيهم القتل والنكال والنهب والتحقيق وغير ذلك من أعمال التخريب والعنف ضدهم .

وعندما لوحظ أن كثيراً من الذين تظاهروا باعتناق النصرانية أخذوا ببيع أملاكهم وفروا إلى أفريقية ، صدر أمر ملكي جديد، في التاسع عشر من شهر ربيع الأول عام ٩٠٩هـ والموافق الثاني عشر من شهر أيلول سنة ١٥٠٢م، يحظر على الناس التصرف في أملاكهم قبل مضي عامين كما يحظر عليهم مغادرة مملكة قشتالة إلا إلى مملكة أراغون أو مملكة البرتغال .

وثارت مجموعات ضد التنكيل الإسباني منها مجموعة (البياتين) التي قتل الإسبان زعيمهم مولاي عبدالله وعلقوا رأسه على واحد من بوابات قرطبة لمدة ثلاثين سنة .

وبعد الحرق والقتل والتعذيب بألوان العذاب ومطاردتهم اضطر من بقي من المسلمين في الأندلس ، ممن لم يقدروا أن يهاجروا إلى بلاد إسلامية تحميهم ، أن يتنصروا وأن يتدجنوا وعرفوا بالمدجنين وأسيء الظن بهم وعوملوا معاملة سيئة منكرة اضطرهم الإسبان إلى كل ما هو مناف لدينهم وعقائدهم . واستخدموهم كوقود حرب في فتوحاتهم وخاصة في العالم الجديد أميركا .

واستمر الأمر بمقاومة ما أسمته الكنيسة الكاثوليكية بالكفر أي الاعتقاد بغير المذهب الكاثوليكي أو المروق عنه ، وجزاء من خرج عن الكثلكة الإعدام عن طريق التعذيب أو الحرق وأن تحول المساجد وغيرها من دور العبادة إلى كنائس وبيع وأديرة .

وفي سنة ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م أرسلت الملكة إيزابيلا الكاردينال شيمينيس إلى غرناطة يحمل مرسوماً يخير فيه المسلمين بين التنصير ومغادرة البلاد ، فتنصر يوم ذلك ثلاثة آلاف ، لم يرض الكاردينال عن هذا الخيار، فوسوس إليها أنه يريد إنقاذ أرواح هؤلاء الملاحدة وأن حفظ وعدها وعهدها هو خيانة لعهد المسلمين فهدمت المساجد وحولتها إلى بيع وكنائس وأحرقت المخطوطات التي أودعت فيها عصارة العقل البشري . وعاشت إسبانيا ركوداً وظلاماً بعد أن كانت مركز المدنية ومنبع الفنون والعلوم وقبلة العلماء والطلاب ومصباح الهداية والنور . لم تصل أية مملكة في أوربا إلى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها .

واشتد ديوان التفتيش في تتبع المتنصرين واضطهادهم فمن نطق بالعربية أو استحم أو لبس الأزياء العربية إلى غير ذلك فهو كمن أقام الدليل على ردته وكفره.

وعندما يصدر الحكم بحرق من أدانته الكنيسة يجبر الديوان المتنصرين من المسلمين على حضور تلك (الاحتفالات) ومراقبتهم واكتشاف ما إذا كانوا لا يتلذذون بمناظر المحروقين . وإذا ثبت لأي شخص أن المتنصر قد أظهر تعاطفاً ولو كان امتعاضاً بسيطاً فإن هذا الامتعاض سيودي بحياته حرقاً هو الآخر فهو قد أقام الدليل على نفسه .

وأخذت المحاكم صغار الأولاد والبنات من آبائهم المتنصرين وعهدت بهم إلى المدارس الكاثوليكية والكنائس ليشبوا فيها وهم لا يعلمون شيئاً عن العربية والإسلام .

واستمر المجلس بكتابة التقارير لاضطهاد المسلمين ونفيهم لأسباب أهمها التزايد المستمر للمسلمين في بلاد الأندلس والخوف من أن يصبحوا طابوراً خامساً لقوات سلطان المسلمين في مراكش مثلاً واستمرت الكنائس في القبض عليهم وأذاقتهم سوء العذاب وسالت دماؤهم أنهاراً وأحرقت أجسادهم أكواماً .

وفي الثاني من ربيع الأول من سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م نزولاً عند رغبة أهل غرناطة بقبول شروط الصلح التي عرضها الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ، اضطر أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن أن يسلم مفاتيح غرناطة . وكان هذا آخر أيام الحكام المسلمين في الأندلس الذي استمر زهاء ثمانية قرون منذ عام ٩٢هـ . هاجر بعدها أبو عبدالله إلى المغرب وأقام في فاس إلى أن وافاه الأجل .

كانت شروط تسليم غرناطة سبعة وستين (٦٧ شرطاً) أمنوا فيها على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأملاكهم وحريتهم وإقامة شعائرهم واحترام مساجدهم ومعابدهم وفك أسراهم والسماح لمن يريد الهجرة إلى الشمال الأفريقي وإعفائهم من الضرائب والمغارم وغير ذلك من الشروط التي لم ينفذ منها شرط واحد بعد الاستيلاء على غرناطة .

وأعدو السفن لتهجيرهم وعامل ربابنة السفن أولئك المُهجرين بقسوة ووحشية فسرقوا أموالهم ورموهم في عرض البحر واسترقوهم وباعوهم في أسواق النخاسين .

ولا ينسى الحجري أولئك المسلمين من المُهجّرين من الأندلس ووصف ما عانوه من أهوال وظلم وقساوة وتعسف وكيد وخيانة في أنفسهم وفي أموالهم : (واتفق لكثير من المسلمين الأندلس عند خروجهم أن نهبهم في البحر النصارى أكثرهم الفرنج البحرية الذين اكتروهم دفعوا لهم أجرتهم على أن يبلغوهم في عافية وأمان إلى بلاد المسلمين ؛ وخانوهم كل واحد من الرياس في سفينته ؛ وبعد أخذ كلما كان لهم أخرجوهم في بعض الجزر من بلاد المسلمين) .

واستمر الحال حتى سنة ١٠٠٧/١٥٩٩ - ١٠٠٨هـ إذ أشار دوق دي ليرْما وزير فيليب الثاني الذي كان ضعيفاً وخاضعاً لإرادة الكنيسة ، بأنه يجب استرقاق شباب المتنصرين ونفي كهولهم وأن تصادر أموالهم وأن يؤخذ أطفالهم فيربوا في المعاهد الدينية النصرانية إلى غير ذلك من أعمال الاضطهاد ثم قررت المحاكم إمهال المتنصرين شهراً واحداً لبيع ممتلكاتهم ومغادرة إسبانيا ، ومن يتأخر عن الرحيل بعد انتهاء الشهر أن يُجازى بالموت وأن تصادر أمواله) .

واستمر الديوان في جبروته وطغيانه حتى احتل الفرنسيون إسبانيا وصدر أمر نابليون سنة ١٨٨٠م بإلغائه.

ولكن الديوان عاد للحياة في عهد فرديناند السابع وذلك في عام ١٨٨٤ وظلّ يمارس الاضطهاد والتعذيب والقتل حتى هلاكه .

كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، من الكتب التي تروي تاريخاً طويلاً من التصادم بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأوربية . وينبغي أن لا نتغافل أو ننسى هذا التصادم الذي كان يأخذ شكلاً صامتاً حيناً وحرباً شعواء حيناً آخر. لقد أغفلنا هذا التاريخ وأسقطناه من عقولنا ، ولم نتبصر وندرك ما يحاوله الغرب من طمس معالم ثقافتنا وإطفاء نورها .

بدأ رهبان الكنيسة وقساوستها وأحبار اليهود يشوهون ويعدون العدة لتبشيع الإسلام وأن أهل الإسلام يتبعون مأمون الدجام ضد الإله المسيح - Mamon, Anti christ فلم يتركوا باباً من الكذب والتمويه والبشاعة إلا أدخلوه . يذكر الحجري إحدى مناظراته وجدالاته بعد أن قرأ كتب النصارى واليهود : والتقيت في تلك المدينة برّيش: باريس [برجل من علمائهم ... وكان يُسمى بأبرْت (Hubert) الذي قال له : وما نحبُ منك إلا نقرأ عليك في الكتب التي عندي بالعربية وتبين لي فيها شيئا مما فيها . قلت له : آتني بها ؛ من جملة الكتب جاء بالكتاب العزيز . فسألته : أين اتصلت بهذا القرآن ؟ قال : كنت بمدينة مراكش وهناك تعلمت نقرأ بالعربية . وكان جلوسي هناك

على أمر سلطان فرنجه لنعلمه بحروف الرمز كلما نعلم أنه يقع لسلطان مراكش في ديوانه وحركاته .

ثم ساق قانون ابن سينا في الطب .. وكتباً في النحو مثل الأجرومية والكافية .. وغير ذلك من الكتب. وكنا نبتديء بالكلام في العلم ثم تقع المنازعة بيننا على الأديان .

وقرأت يوماً في القرءان الذي كان له ووجدت بالفرنج مكتوباً بطرة الكتاب من هنا أخذ المسلمون إباحة اللواط . قلت له : من قال لك أنه مباح عندنا ؟

قال : ظاهر من هذه الآية : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ قلت : نحن عندنا أن اللواط أشد ذنباً من الزنا ... وإذا فعل فعل قوم لوط، كان مُحْصناً أو غير محصن يموت مرجوماً شرعاً . وكيف تفسر أنت القرآن والمفسرون له يحتاجون علوماً شتى وأنت لا تعلم لغت العرب ولا النحو فضلاً عن غير ذلك) .

فبعد ستة قرون من أفول الإمبراطورية الرومانية رسخ الإسلام دعائمه الدينية والثقافية ، وفتح أرضًا تمتد من الصين حتى جنوب فرنسا . ومنذ ذلك بدأ خوف رجال الكنيسة الأوربية وملوك الإقطاع من زوال سلطانهم، فجيشت الجيوش بقيادة الرهبان وبدأت الحروب الصليبية، واكتسحت في طريقها كل ما كان مغايراً لمذهبها وعقيدتها، وسفحت دماء النصارى والمسلمين وغيرهم . واستمر الصراع بالدهاء والمكر والسياسة والصبر والأحلام الشرهة المسعورة إلى الغنى والثروة والظفر بالكنوز ، فبدأوا بتطويق أهل الإسلام من الشواطئ ، يتحسسون مواطن الضعف فينقضوا عليها ويستنزفوها وينهبوها ويسيطروا عليها ويستعمروها . باعوا الألاف المؤلفة من أهاليها عبيداً في سوق النخاسة وحملوا في سفنهم الآلاف المؤلفة لتكون بهائم مسخرة بالذل لعمارة الأراضي التي نهبوها من الإنكا والأزتك .

ولما انتهت الحرب بسقوط الدولة العثمانية ، الرجل المريض، دخل غورو قائد الجيش الفرنسي على قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق ووقف ينظر ويستعيد ذكريات التاريخ ثم ركل القبر برجله ، وقال : لقد عدنا يا صلاح الدين . وكأنه يقول ها نحن في حملة جديدة تتبعها حملات .

وقامت حضارة جديدة غذيت بالدم المسفوح ومزجت ثقافتها بالمكر والخداع والغدر والخبث مستغلة سماحة الإسلام مع دينهم ولأنهم أتباع رسولين كريمين موسى وعيسى بن مريم عليهما السلام . هذه الحضارة التي أطبقت وجه الأرض ، حضارة العولمة الإنسانية العالمية ، الحضارة التي بُنيت عقيدتها على البغضاء والحقد والجشع والغدر وسفك الدماء . يصطنعون الحدود ويتحينون الفرص لتقزيم البلاد الإسلامية وتحجيمها بحجة المصالح الأمنية والقومية والاقتصادية ، تارة وبحجة الإرهاب والتطرف والأصولية تارة أخرى ، وأمسكت بخناق كل من يقول برأي يخالف رأيها وجعلت من نفسها قيماً على البشرية حتى في أدق شؤونها . المعركة متجددة مستمرة ذات أقنعة متغيرة تتخذ على الدوام أشكالاً وألواناً وصوراً مختلفة وجبهات متعددة . إننا ومع عميق الأسى لا نعير أي اهتمام لكل ما يتسلل إلى عالمنا من غزو سياسي اقتصادي ثقافي اجتماعي استعماري . وها هم يستظلون وينعمون بأموالنا وثرواتنا ومقدراتنا ويلعبون بمصائرنا .

ينبغي علينا أن نقرأ تاريخنا بعين إسلامية عربية بصيرة لا تغفل . إن جذور قضايانا تكمن في إعادة الانتماء إلى أصول ثقافتنا التي أفرغنا منها إفراغاً كاملاً .

صدقنا الأكاذيب والتزوير دون تمحيص أو تحقيق . إننا نتآكل ونتلاشى ونضمحل . هزموا الجيوش وشردوا الأهالي ومحوا دولتهم وأقاموا دولة تحكم بالحديد والنار بمباركتهم وكلنا نهرول للتسوية من مدريد فأسلو فواشنطن فموسكو ف ... ، ف ... .

كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين وثيقة تاريخية. ولعل الأجيال المقبلة تأخذ العبرة منه وتشق طريقها اللاحب إلى العزة القعساء والمجد الأثيل إن شاء الله .